الحملة الإيطالية على ليبيا

دراسة وثائقية

في

استراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية

للدكتــــور

محمود حسن صالح منسي

أستـــاذ التاريخ الحديث المســـاعد

ورئيس قسم التاريخ بجامعة الأزهـــر

١٩٨٠

اهداءات ٢٠٠١

الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح منصور

الحملة الايطالية على ليبيا

دراسة وثائقية

في

استراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية

للدكتور

محمود حسن صالح منسي

استاذ التاريخ الحديث المساعد

ورئيس قسم التاريخ بجامعة الأزهر

١٩٨٠

رقم الايداع ٨٠/٢٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا ان هدانا الله وبعد :

فقد اتى على العالم الاسلامى حين من الدهر كان فريسة للاستعمار الأوربى ، وعلى الرغم من أن الاستعمار الأوربى فى العصور الحديثة كانت له دوافع عديدة مختلفة الجوانب : سياسية واقتصادية وعسكرية وقومية ، الا اننا لا نستطيع ان ننفى عنه الدافع الدينى الا وهو محاولة النيل من الاسلام والمسلمين • ومن الاقطار الاسلامية التى وقعت بين براثن الاستعمار الأوربى القطر الليبى الذى جرد عليه الطليان حملة عسكرية جرارة لاخضاعه لسيطرتهم ، وظل خاضعا لسيطرتهم أكثر من ثلاثين عاما ، كانت صورة بشعة للاستعمار الحقيقى •

ولقد ظهرت مؤلفات كثيرة تناولت الغزو الايطالى لليبيا خاصة أو ضمن تاريخ ليبيا الحديث بوجه عام ، ومع ذلك فقد وجدت ما يشدنى الى الكتابة عن تاريخ الحملة الايطالية على ليبيا ، بالطريقة التى اتبعها عادة فى بحوثى التاريخية ، الا وهى الاعتماد أساسا على الوثائق الرسمية كمصدر أصلى من المصادر التى استقى منها مادتى العلمية ، ومتبعا المنهج العلمى من حيث التحليل والنقد والمقارنة بين الروايات والآراء •

واذا كان موضوع الحملة الايطالية على ليبيا يشدنى فقد كنت استلهم روح استاذى الجليل والعالم العظيم الدكتور محمد فؤاد شكرى الذى عنى بالكتابة فى تاريخ ليبيا الحديث ، وقد رأيت اننى بالكتابة فى تاريخ الحملة الايطالية على ليبيا انما أرضى روح استاذى العظيم خصوصا لو اننى سرت على نهجه واتبعت خطاه فى موضوعية البحث ، وصدق التعبير فكان هذا البحث الذى أرجو أن أكون قد وفقنى الله فيه وأرجو ان انجح فى تناوله بالشكل الذى يرضى روح استاذى العظيم • أما عن الوثائق ، فقد كانت وثائق وزارة الخارجية البريطانية هى الأساس الذى اعتمدت عليه ، فليبيا جارة لمصر ولابد أن أمر ليبيا يهم الحكومة البريطانية التى كان الوضع فى ليبيا يؤثر على مصالحها الحيوية فى البحر المتوسط ، ولذلك كانت التقارير والمراسلات المتبادلة بين كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر ووزارة الخارجية البريطانية تكشف عن الكثير من المعلومات المتصلة بالحملة الايطالية على ليبيا ، كما ان بريطانيا بحكم مركزها الدولى القيادى بين الدول الأوربية فى الفترة السابقة على نشوب الحرب العالمية وفى الوقت نفسه تستطيع الحصول على كثير من المعلومات المفيدة من كل من الآستانة عاصمة الامبراطورية العثمانية وروما عاصمة المملكة الايطالية وهما الدولتان اللتان وقفتا وجها لوجه ابان الحملة الايطالية

على ليبيا ، علاوة على تقارير القناصل البريطانيين فى كل من طرابلس الغرب وبنغازى عن الاحداث التى كانت تجرى على الساحة الليبية ٠

وفى الوقت نفسه استطاعت وزارة الخارجية البريطانية عن طريق سفرائها المعتمدين فى كل من باريس وسان بطرسبورج وفينا وبرلين الحصول على المعلومات المتصلة بمواقف حكومات هذه الدول الأوربية الكبرى تجاه الحملة الايطالية على ليبيا ٠

من هنا كانت اهمية الوثائق البريطانية ، وبطبيعة الحال لم اغفل المصادر والمراجع الأخرى المطبوعة ٠

وتتضمن هذه الدراسة عشرة فصول ، خصصت الفصل الأول للحديث عن ليبيا تحت الحكم العثمانى وذلك لتوضيح الاحوال العامة فى هذا القطر عشية الحملة الايطالية لمعرفة اثر هذه الأوضاع على النتائج التى حققتها الحملة ٠

اما الفصل الثانى فقد خصصناه للحديث عن الاطماع الاستعمارية الاوربية فى ليبيا بريطانية كانت او فرنسية او المانية مع التركيز على الاطماع الايطالية على اساس ان ايطاليا هى الدولة التى قدر لها فى النهاية ان تستولى على القطر الليبى ٠ وتحدثنا فى الفصل الثالث وعنوانه (مقدمات الغزو الايطالى) عن جهود ايطاليا لتمهيد الطريق امام حملتها المرتقبة على ليبيا بعد ان صح عزمها على غزوها ، وتناولنا فى هذا الفصل مساعى ايطاليا للحصول على تاييد أكبر عدد من الدول الأوربية الكبرى او على الأقل عدم معارضة هذه الدول للخطوة التى ستقدم عليها ايطاليا ، وفى الوقت نفسه مساعى ايطاليا للتغلغل فى مختلف شئون القطر الليبى حتى تسهل السيطرة عليه ، بالاضافة الى الدوافع التى تصيدتها الحكومة الايطالية لتبرير اعتدائها على هذا القطر بحيث تجعل عملها أمرا حتمته ظروف قاهرة تقع مسئوليتها لا عليها هى ولكن على الشعب الليبى أو على الحكومة العثمانية ٠

وفى الفصل الرابع تناولنا عملية الغزو الايطالى ، من حيث الحملة الاعلامية التى سبقت الحملة العسكرية ، ومناقشة دوافع الحملة العسكرية واسبابها والاعداد للعمل العسكرى وموقف الدول الأوربية ازاء هذه النوايا التى كشفت عنها الحكومة الايطالية ، وبعد ذلك الانذار الذى وجهته الحكومة الايطالية الى حكومة الباب العالى ، وموقف الدول عندما لجأت اليها الدولة العثمانية لتجنيبها هذا المأزق ٠

أمـا الفصـل الخامس فقد تحدثنـا فيه عن الحملة الايطاليـة وبعض الأعمال العسـكرية الايطاليـة فى البر والبر والدور الذى قامت بـه المقاومة سـواء التركيـة أو العربيـة والعمليـات العسكرية التى قامت بهـا القوات الايطاليـة ضد الدولة العثمانيـة خارج ليبيـا كما تحدثنـا عن صـدى العدوان الايطالـى فى العالمين العربى والاسلامى وبخاصة مصر وتناولنا فى الفصـل السادس وعنوانـه علاقـة مصر بالصراع التركـى الايطالـى الأمـور المتصـلة بمصر والتى اثيـرت نتيجـة الحملة الايطالية على ليبيـا مثل مسـألة حيـاد مصر واثـره فى مرور قوات عثمانية عبر مصر الى ليبيا ومسألة الحـدود المصرية عنـد السلوم ، وجغبوب ، ومسألة حياد البحر الأحمر ، واسـتعانة ايطاليـا بقـوات اسلامية من ارتريـة ضـد المقاومـة فى ليبيـا ، وأخيـرا موقف الخديو عباس حلمى ابـان الحملة الايطالية على ليبيـا ٠

وفى الفصـل السابع تحدثنـا عن اعـلان ايطاليـا ضـم ليبيـا الى المملكة الايطالية ، ودوافعهـا لهذا الاجـراء ، وصـداه فى الدول الكبرى ٠

أمـا الفصـل الثامن فقد تنـاول الوساطة الدوليـة لانهـاء الحـرب بين ايطاليا والدولة العثمانية ، وعرضنا لمقترحات الدولتين المتحاربتين أو الدول الأخرى لعقـد الصـلح بين الدولتين ٠

وتناول الفصـل التاسـع مفاوضـات الصلح ذاتهـا والمعاهـدة التى أبرمت بين الطرفين فى اوشى ، مع التعليق على بنـود هـذه المعاهدة وملاحقها ٠ وفى الفصل العاشر والأخيـر وعنوانـه (ما بعد الصلح) تحدثنـا عن المقاومة الوطنيـة التى استمرت فى ليبيـا بعـد الصلح وسـحب القوات التركيـة من ليبيـا ، تلك المقاومة التى تحمل عباهـا السنوسيون وقادهـا فى مرحلـة من مراحلهـا عزيز المصرى ٠

ولا شـك أن أهـل ليبيـا سـطروا صفحـة مشرفـة من الجهـاد طـوال فتـرة السيطرة الايطاليـة الى ان نالـوا استقلالهم ، وهذا موضـوع يحتـاج الى بحث خاص يستند أيضـا الى الوثائـق ٠

واننى لأرجـو أن أكـون قـد وفقت فى هذا العرض ، والله من وراء القصد ؟

القاهرة فى جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ
مـارس ١٩٨٠ م

دكتـور
محمود حسن صالح منسى

فهرس الموضـــــوعات

رقم الصفحة

تابع فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

الفصــــل الأول

ليبيا تحت الحكم العثمـــانى

١٥٥١ ـ ١٩١١

اتجاه العثمانيين نحو المغرب العربى وطرابلس الغرب :

عندما أهلت مطالع القرن الســـادس عشر الميـــلادى كانت اســـبانيا فى مقدمة الأمم التى تم توحيدها فى أوروبا واستكملت هذه الدولة وحدتها عندما سقطت فى سنة ١٤٩٢ غرناطة ـ آخر معاقل المسلمين فى اسـبانيا ـ فى أيدى الملوك الكاثوليك ، وترتب على سقوط غرناطة انتهاء الوجود الاسلامى فى أسبانيا ، وصارت أوربا تنظر الى أسبانيا باعتبارها فارسة المسيحية •

وبعـد الاستيلاء على غرناطة وجهت أسبانيا جهودها الى أقطار شـمال أفريقية التى انسحب اليهـا المسلمون فرارا من الاضـطهاد الذى نزل بهم فى أسبانيا ، كما كان من خطة لأسـبان تطويق أقاليم المغرب باحتلال موانيه المطلة على البحر المتوسط امعانا فى الانتقام من العـرب والمسلمين ، ومحـاولة تقويض الكيـان الاقتصادى العربى بانتزاع تجارة المشرق من أيديهم •

وقـد شهدت هذه الفترة من القـرن الســادس عشر حربـا بحرية طاحمة بين الجانبين ، واذا كان البعض يصف هذه الحوادث بالقرصنة فانها لم تكن كذلك الا من جانب الأسـبان لمعتدين ، أما من جانب أهل شمال أفريقية فقـد كانت جهادا بحريا من أجل الاسلام ، وكفاحا ضد استعمار صليبى كشرعن أنيابـه ، ودفاعا عن حرية موانى المغرب العربى وتجارته •

وقد استطاع الأسـبان احتلال عدد من موانى شمال أفريقية ، ومنهـا طرابلس الغرب سنة ١٥١٠ م (٩١٦ هـ) مما دفع أهل الشمال الأفريقى الى طلب معونـة الأتـراك العثمانيين •

وكان فرسان الاسبتارية الصليبيون المعروفون بفرسان القديس يوحنـا قد استقروا فى قبرص منذ سنة ١٢٩١ بعـد انسحابهم من الشام ، ولم يلبثوا أن انتزعوا جزيرة رودس من الدولة لبيزنطية سنة ١٣٠٨ وجعلوا منهـا مركزا لنشاطهم الصليبى فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط يتعرضون منها للسـفن الاسلامية •

وقد تنبه السلطان سليمان المشرع الى خطورة هذه الجزيرة فارسـل اليها حملة استولت عليها سنة ١٥٢٢ فآواهم الامبراطور شارل الخامس فى طـرابلس

المغرب منذ سنة ١٥٣٠ وظلوا فيها الى أن انتزعها منهم الأتراك العثمانيون سنة ١٥٥١ بقيادة دراغوت الذى خلف خير الدين بربروسا وطرد منها فرسان القديس يوحنا فاستقر بهم المقام فى جزيرة مالطة التى اتخذوها مقرا ما يقرب من ثلاثة قرون .

وبامتداد السيادة العثمانية الى طرابلس دخلت البلاد فى مرحلة جديدة ، ولقد استمرت السيادة لعثمانية عليها نحو ثلاثمائة وستين عاما (١٥٥١ ـ ١٩١١) .

وتبعية ولايات شمال أفريقية الثلاث (الجزائر وتونس وطرابلس الغرب ال وكانت تعرف فى كتابات الغربيين باسم نيابات Les Regences Barbaresques لحكومة الآستانة لم تكن تبعية مباشرة لأن حكومة الآستانة لم تكن تتدخل فى الادارة الداخلية للولايات ، ولم يقتصر استقلال ولايات شمال أفريقية الداخلى على الادارة لمحلية بل تجاوزه الى التحكم فى اختيار الولاة حتى تأسست بعض الأسر الحاكمة مثل الأسرة الحسينية فى تونس والاسرة القرهمانلية فى طرابلس الغرب ، بينما سيطر الجند والبحرية سيطرة تامة على نيابة الجزائر . (١)

ويمكن القول بأن الحكم العثمانى فى طرابلس الغرب مر بثلاثة عهود : (٢)

عهد الحكم العثمانى الأول الذى امتد على مدى مائة وستين سنة (١٥٥١ ـ ١٧١١) .

عهد الأسرة القرهمانلية وامتد مائة وأربعا وعشرين سنة (١٧١١ ـ ١٨٣٥) .

عهد الحكم العثمانى الثانى على مدى ست وسبعين سنة من انتهاء حكم الأسرة القرهمانيلة ١٨٣٥ حتى الغزو الايطالى لطرابلس الغرب سنة ١٩١١ .

١ ـ العهد العثمانى الأول فى طرابلس الغرب :ـ

كان عهدا انتشر فيه الفساد والفوضى والاضطرب مما أدى الى تأخر البلاد وتخلفها وضعفها وذلك بسبب الفساد الذى دب فى نظام الانكشارية فى مختلف أنحاء الدولة العثمانية بعد أن كانوا القوة التى حققت

---

(١) صلاح العقاد : المغرب العربى ط ٣ ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(٢) انظر : أحمد صدقى : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى

للدولة أمجادها العسكرية ، بالاضافة الى اهمال لولاة العثمانيين لشئون الولاية لقصر مدة ولايتهم وضعف شخصية أكثرهم وتسلط الانكشارية عليهم ، وعلاوة على ذلك فان الجند العثمانيين كانوا منقسمين فيما بينهم الى طوائف متنازعة متصارعة متنافسة على السلطة مما صرف الولاة عن الاهتمام بشئون الولاية ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل تجاوزه الى انزال كثير من المظالم بالأهالى الذين كانوا من حين لآخر يضطرون الى الانتفاض احتجاجا ، ولكنهم لا يلبثون أن يغلبوا على أمرهم مقهورين .

٢ ـ العهد القرمانلى (١٧١١ ـ ١٨٣٥) : ـ

وقد بدأ هذا العهد عندما نجح أحد قادة الانكشارية وهو أحمد القرهمانلى فى الاستيلاء على السلطة وفرض وجوده على حكومة السلطان العثمانى مما جعله مؤسس أول أسرة حاكمة فى ولايات الدولة العثمانية فى القرن الثامن عشر ، وأصبح الحكم فى ولاية طرابلس الغرب على مدى مائة وأربع وعشرين سنة محصورا فى أسرة واحدة هى الأسرة القرهمانلية تتابع خلالها على كرسى الولاية خمسة ولاة مما أكسب الحكم خلال هذه الفترة نوعا من الاستقرار مما أتاح الفرصة للقيام ببعض المحاولات لاصلاح ما فسد من أحوال البلاد ، الا أن عهد الأسرة القرهمانلية لم يشهد تغييرا جذريا فى أحوال البلاد مما جعل عهد هذه لأسرة لا يختلف كثيرا عن العهد الذى سبقه ، وظلت المساوىء التى كان يتصف بها الحكم العثمانى الأول قائمة ، ومما زاد الحالة سوءا أن هذا العهد شهد بداية التدخل الأوربى فى شئون الولاية .

٣ ـ عهد لحكم العثمانى الثانى (١٨٣٥ ـ ١٩١١) : ـ

وهو أهم العهود فى تاريخ طرابلس لأنه أقرب الى الفترة موضوع هذه الدراسة من ناحية ، ولأن الأوضاع التى كانت سائدة فى طربلس الغرب خلال هذه الفترة وبخاصة فى القسم الثانى منها (١٨٨٢ ـ ١٩١١) مهدت الطريق وساعدت على الغزو الايطالى للولاية ، فهى الفترة التى سبقت الغزو الايطالى للبلاد وشهدت مقدماته وارهاصاته « ففيها ازداد التدخل الأوربى فى شئون الولاية بعد أن صارت الولاية الوحيدة من ولايات الدولة العثمانية فى أفريقية خارج سيطرة الاستعمار الأوربى الذى صار فى الوقت نفسه يحيط بالولاية من كل جانب ، فقد احتلت فرنسا تونس فى غربها سنة ١٨٨١ ، واحتلت انجلترا مصر فى شرقها سنة ١٨٨٢ ثم سودان وادى النيل سنة ١٨٩٦ ، ثم احتلت فرنسا السودان الأوسط فى جنوبها سنة ١٩٠٢ مما جعل وقوع طرابلس الغرب تحت سيطرة الاستعمار الأوربى أمرا لا مفر منه حيث كان الاستعمار الغربى فى ذلك الوقت فى قمة نشاطه ، وبلغ التكالب أقصاه على

المستعمرات بوجه عام وفى القارة الأفريقية بوجه خاص
كما أن هذه الفترة هى التى كان فيها الرجل المريض فى النزع الاخير يحاول فيها التشبث بأسباب الحياة ٠

وفى خلال هذه الفترة من تاريخ طرابلس الغرب انتشر السخط بين الأهالى فان التنظيمات العثمانية التى صدرت منذ نهاية الثلث الثانى من القرن ١٩ كانت تقوم على تدعيم النظام المركزى وتشديد قبضة الدولة على ولاياتها والغاء ما كانت تتمتع به قبل ذلك من امتيازات ، خصوصا وأن ذلك ـ فى نظر الدولة ـ هو الوسيلة الفعالة لمواجهة الأخطار الاستعمارية ، ولذلك فان الحكم العثمانى فى طربلس لغرب كان يتسم خلال هذه الفترة بالمركزية رغم أن النظام اللامركزى كان هو الأنسب بحكم موقع الولاية وتخلف المواصلات، كما أن محاولات الاصلاح العثمانى فى طرابلس الغرب كانت قليلة الاثر ٠

ومما زاد من سخط الاهالى فى الولاية على الأجانب من ناحية وعلى الدولة العثمانية ورجالاتها من ناحية أخرى احتلال فرنسا لتونس واعلان حمايتها عليها فقد اضطرب الأهالى فى طرابلس الغرب وتمكنهم شعور الغضب والخوف من الخطر الاوربى الداهم الذى صار قريبا منهم ، وقامت المظاهرات ضد « الروم الأوربيين » وطالب الأهالى حكومة السلطان باتخاذ الاجراءات الكفيلة بحماية الولاية ومد يد العون لشقيقتهم تونس ، وقد استجابت الدولة فارسلت الفريق « وصفى باشا » على رأس جيش تسانده سفن حربية للمحافظة على سلامة البلاد بعد أن ظهر تقصير الدولة فى الدفاع عن تونس ٠

وقد ترتب على احتلال فرنسا لتونس أن لجأ ما يقرب من مائتى ألف من الثوار التونسيين الى طرابلس الغرب ، ورأت الدولة العثمانية فى وجود هؤلاء للاجئين فى طربلس عبئا عليها خصوصا وأن لسلطان عبد الحميد الثانى كان يفضل عدم الاصطدام بفرنسا ، ويرى قبول الأمر الواقع مكتفيا بالاحتجاج الصورى ، ولذلك حاولت الدولة العثمانية التخلص من عبء المهاجرين التونسيين بتشجيعهم على العودة الى تونس أو توطينهم فى داخلية طرابلس بعيدا عن الحدود مع تونس حتى لا تكون لديهم فرصة لمقاتلة الفرنسيين عبر الحدود الطرابلسية التونسية ٠

حيث أنه بعد عودة معظم هؤلاء المهاجرين بقيت مجموعة منهم استمرت فى شن الغارات على تونس والجزائر تعاونها بعض القبائل الطرابلسية وكان هذا يدفع السلطات الفرنسية الى الهجوم على الحدود الطرابلسية كما بنت فرنسا الحصون طول على هذه الحدود بحيث تصلح كقواعد للتوسع مستقبلا مما أثار ضجة فى الدوائر الدبلوماسية الأوربية وبخاصة الايطالية ٠

ولكن أهالى طرابلس اتخــذوا موقفــا مخالفا لموقف الدولة العثمانية ، فقد كانوا يرحبون بالمهاجرين التونسيين ويشجعونهم على الاستمرار فى الجهاد ضد المغتصب الفرنسى ·

ومن سمات هذه الفترة من الحــكم العثمــانى ازدياد النشـــاط الأوربى فى طرابلس الغــرب اذ حاول القناصل الأوروبيون فى هذه الولاية مثلما فعلوا فى ولايــت الدولة العثمانية عامــة استغلال امتيازاتهــم بحيث صــار لهــم دور كبير فى ادارة الولاية ، وكان من أبرز هؤلاء القناصل القنصـــل البريطانى وارنجتون الذى استمر فى مركزه نحو أربعين سنة ، ومنافســه القنصل الفرنسى روسو ·

وقد حاولت الدولة العثمانية الحــد من نفــوذ هؤلاء القنــاصل ، ومن اجراءاتها فى هذا السبيل تحــديد السلطان عبد الحميد (لخصائص قناصــل الدول الأجنبية القاطنين فى الممــالك السلطانية) وابلاغ الولاة (بالقـــاعدة العمومية التى يجب اتخاذها فى العلاقات بين ماموري الولايات وقناصـــل الدول وسفرائها) واستنادا الى هذه التعليمات السلطانية نشط الوالى احمــد راسم والى طرابلس الغـــرب (١٨٨٢ ـ ١٨٩٦) ، فعمـــل على الحـــد من التصرفات المشبوهة للقناصل ، كما سعى لرفع الحماية الأجنبيـــة عن الرعايا العثمانيين الذين كان القناصـــل يجدون فيهم وسيلة لتدعيم نفـــوذ دولهم ، كما نشط للحيلولة دون بيع أراضى الولاية للأجانب ، وبخاصة الايطاليين ·

وتابــع أحمد راسم الجهود لتحصين الولايـــة ضد الخطر الاوربى وعاونـــه فى ذلك الفريق زكى باشا الذى عينه الباب العالى (قومندانا على العســـاكر السلطانية) وقد زادت الدولة عدد قواتها فى طرابلس فى تلك الفترة من أجـــل التصدى لأى هجوم متوقع من جانب فرنسا أو ايطاليا ، وقدر الرحالة الأوربيون عدد القــوات العثمانية فى الولاية بعشرة آلاف جندى ·

كما اتخذت اجراءات فى عهــد الوالى أحمــد راسم أيضا لتدريب الأهالى على حمــل السلاح حيث كان الأهالى يلحون من أجل ذلك بعد ان أدركوا الخطر الذى يتهدد بلادهم عقب احتلال فرنسا لتونس وبريطانيا لمصر ، ولو ان الأهالى لــم يلبثوا أن أحجموا عن متابعة التدريب بعد أن ترددت شائعات بأن الغرض من جمع العساكر للخدمة فى أقاليم الدولة النائية ، ولا ندرى من كان مصدر هذه الشائعات ، هل هم الترك للتخلص من هذا العمل الذى اقدموا عليه لتهـــدئة الأهالى وخوفا من أن يؤدى تدريب الاهالى الى قيامهم ضد الدولة ، ام الأجانب الذين كان من مصلحتهم عدم تدريب الاهالى على استعمال السلاح حتى يسهل ابتــلاع القطر الطرابلسى عندما تحين الفرصــة ·

ولما كان التعليم من بين الوسائل التى يتغلغل عن طريقها النفوذ الأجنبى الى داخل القطر فقد اهتم بعض ولاته وبخاصة أحمد راسم بانشاء المدارس ، كما أنشأ الوالى حافظ محمد (١٩٠٠ ـ ١٩٠٢) مدرسة للبنات حتى لا يرسل الضباط العثمانيون بناتهم الى مدارس الأجانب كما أبلغ الوالى الضباط بصدور أمر سلطانى بعدم رسال أولادهم الى مدارس الأجانب ٠

كما وقف بعض الولاة مثل حافظ محمد فى وجه شراء الأجانب للأراضى ولو أن الايطاليين تمكنوا من التاثير على حقى بك السفير العثمانى فى روما ليتوسط لدى الدولة العثمانية من أجل التساهل مع بنك دى روما فى شراء الأراضى ٠

ومن الولاة الذين واجهوا النفوذ الأجنبى والخطر الاستعمارى رجب باشا (١٩٠٤ ـ ١٩٠٨) الذى كانت سياسته تقوم على أساسين : مقاومة الاطماع الايطالية ، ونشر التعليم ٠

ولذلك عارض رجب باشا بشدة تأسيس فرع لبنك (دى روما) فى طرابلس ، ولو أن النفوذ الايطالى فى الآستانة نجح فى فرض الأمر على الوالى سنة ١٩٠٥ فطلبت منه الحكومة لعثمانية عدم التشدد خوفا من اثارة القلاقل السياسية ، كما تمكن الايطاليون من التاثير على حقى بك السفير العثمانى فى روما ليتوسط لدى الدولة العثمانية من أجل التساهل مع بنك دى روما فى شراء الأراضى فأوعزت حكومة الباب العالى الى حكومة الولاية بقبول بيع الأراضى الفضاء باسم المدير العام لبنك دى روما ولكن رجب باشا عارض هذا الاتجاه ، وامتنع عن بيع الأراضى للبنك وشجع الأهالى على الشراء بعضهم من بعض ، كما حاول أن تشترى الدولة الأراضى بدلا من البنك بحيث لم يبق أمام البنك الا أملاك الأجانب ، ومن أجل الحيلولة دون تسرب أراضى المواطنين الى الايطاليين وفاء للديون اقترح رجب باشا اقراض الأهالى من البنك الزراعى العثمانى الذى افتتح فرعا له فى طرابلس الغرب ٠

طرابلس الغرب فى عهد الاتحاديين

لقد استقبل الأهالى فى طرابلس الغرب الانقلاب على السلطان عبد الحميد وقيام الحكم الدستورى سنة ١٩٠٨ بترحيب وأمل ، فقد اعتبروه بداية عهد جديد من الاصلاح شأنهم فى ذلك شأن بقية العرب فى أقاليم الدولة العثمانية ، ولكن لم يلبث أن خاب أمل أهل طرابلس بسبب سياسة الاتحاديين الذين اتبعوا الأسلوب المركزى فى الحكم وعينوا فى الولاية موظفين غرباء عنها رغم المطالبة بأن يكون الموظفون من أهل الولاية يعرفون لغتها ، وكانت عدم معرفة الموظفين بلغة البلاد مثار شكوى الأهالى الذين كان عليهم أيضا أن يكتبوا معاملاتهم باللغة التركية دون العربية تنفيذا لسياسة التتريك التى

كانت احدى السمات الأساسية لحكم الاتحاديين ، ورغم أن المادة ٧٢ من النظام الأساسى (الدستور) تنص على أن ينتخب الأهالى المبعوثين من أهالى دائرة الولاية فان الاتحاديين لم يتقيدوا بهذه المادة بدعوى أنها لا تفيد الحتمية ولذلك عمدوا الى ترشيح مبعوثين من الترك فى مختلف الولايات ومن النواب الستة الذين انتخبوا عن الولاية عبد القادر جامى بك نائب فزان الذى كان من غير أهالى الولاية ٠

كما كانت حكومة الاتحاد والترقى تغفل عمدا شئون الولاية فقد صرح زعماء الاتحاديين غير مرة « بأقوال تدل على أنهم لا يريقون دم عسكري واحد لصيانة ولاية طرابلس الغرب أمام ايطاليا أو فرنسا أو غيرها من الدول » كما عقد مندوبو جمعية الاتحاد والترقى اجتماعا فى سالونيك بحثوا فيه مسألة طرابلس الغرب فقر رأيهم على عدم تحصين أساكلها أو اتخاذ التدابير التى تصون الولاية من أى عدوان مفاجىء ، كما قرروا عدم اثارة هذه المسألة كلية فى مجلس المبعوثان ، وعلى أثر هذا القرار نشرت جريدة طنين الناطقة باسم الجمعية مقالا جاء فيه « ان ولاية طرابلس هى من الولايات التى لا تفيد الدولة فائدة يعتد بها فيجب على الحكومة الاقتصاد فى الانفاق على هذه الولاية التى لم يندمج أهلها لليوم فى سلك الجندية » ٠

كما أبطل الاتحاديون الاجراءات العسكرية التى أدخلها بعض الولاة مثل رجب باشا الذى وزع البنادق على أهل الولاية ومرنهم على استعمالها ، ولكن الاتحاديين شرعوا ينزعون البنادق من الافراد بدعوى أنهم قد يقومون فى وجه الخلافة اذا طلب منهم تأدية الضرائب والتكاليف الأميرية ٠

ومع أن الطربلسيين ظلوا يطلبون الانتظام فى سلك الجندية بعد اعلان الدستور العثمانى فقد أصم الاتحاديون آذانهم ولم يجيبوا الاهلين الى ما طلبوه الا قبيل وقوع الاعتداء الايطالى بفترة قصيرة ، ولم تبدأ الاجراءات اللازمة لتجنيدهم الا بعد قيام الحرب ذاتها ، كما نقلت من البلاد كمية كبيرة من السلاح كانت محفوظة للاستخدام عند الطوارىء ولم تفعل شيئا من أجل اصلاح الاستحكامات أو امداد البلاد بالسلاح والذخيرة الى ما قبل ارسال الانذار الايطالى بأيام قلائل عندما أرسلت الدولة احدى الناقلات العسكرية (درنة) تحمل كمية من البنادق والخرطوش الى ميناء طرابلس وهى الناقلة التى احتج الايطاليون على ارسالها ٠

والى جانب ذلك عمدت وزارة حقى باشا ـ التى يحملها المعاصرون مسئولية ما حدث ـ الى تجريد البلاد من الموظفين الأكفاء والقادة المحنكين ، كل ذلك قبل الاعتداء الايطالى بفترة قصيرة رغم التحذيرات التى كان يبعث بها الى حكومته السفير التركى فى ايطاليا حسين كاظم الذى اخطر هذه

الوزارة فى يناير ١٩١١ بنوايا الطليان الحقيقيــة وتدابيرهم الخفية للاغارة على طرابلس .

وقد تولى شئون الولاية من الولاة العثمــانيين فى هــذه الفترة حسن حسنى باشــا (١٩٠٩ ــ ١٩١٠) الذى كان خير عون للأطمــاع الاستعمارية الايطالية فى الولاية حتى لقد أبرق عدد من أعيــان طرابلس الى حكومة الآستانة معبرين عن رأيهم فى تخــاذل الوالى أمام الجهود الاستعمارية الايطالية مؤكدين ارتباطهم بالخلافــة والدولة ، ونبهوا الحكومة العثمانية الى ضرورة تحصين الولاية برا وبحــرا بعد اهمال هذا الأمر وتزويد البلاد بالمؤن والذخائر التى تكفيها لمدة عام على لأقل وذلك بعد أن أخذت الصحف الايطالية تجاهر بالدعوة الى احتــلال الولاية ، ولكن الحكومة بــدلا من تحصين الولاية ، استجابة لطلب الأهالى أمــام الخطر الجاثــم كانت تنقل العساكر العثمانية من الولاية الى اليمن لضرب الثورة الناشـــبة هنــاك .

أما آخــر الولاة العثمانيين قبل الغزو الايطالى فهو ابراهيم أدهم باشــا (١٩١٠ ــ ١٩١١) الذى كان بعكس سلفه يقف من الأطماع والمساعى الايطالية موقفــا صلبا ، ولذلك فانه عندما تولى أمور الولاية وجد البلاد فى حالة سـيئة من الفوضى والارتباك والفساد فى الادارة الحكومية ، وتغلغل النفوذ الايطــالى الذى أدى الى اصابة الأهالى بالهلع خوفا من وقوعهم تحت سيطرة الايطاليين ، ولذلك وقف الوالى ابراهيم بك من هذه الأوضاع موقفــا حازما فجمع الرديف وأخذ فى تدريب المتطوعين لتوفير أكبر عدد من المدربين على السلاح للدفاع عن البلاد ، وكتب الى سلطات الآستانة منبها الى الخطر الايطالى المحدق بالولاية واقترح رســال كمية كبيرة من السلاح وانشاء معمل للسلاح نظرا لعدم وجــود قوة بحرية تؤمن توصيل الأسلحة الى طرابلس فى حالة وقوع هجوم عليهــا ، ولكن الخلافــة العثمانية لــم تول هذا الاقتراح أى اهتمام رغم توالى النذر بالغزو الايطالى لطرابلس الغرب وبرقة .

واتخــذ ابراهيم باشــا عــددا من الاجراءات لمواجهــة النشــاط الايطالــى المتزايــد ، فمنــع بنــك رومــا من اخراج الحجــارة الاثريــة من بعض المناطق ، ورفض عرضــا من بنــك رومــا بانــارة المدينــة بالكهرباء دون مقابـــل وسمح بعــودة صحفى أرجنتينى الى طرابلس رغــم احتجاج الايطاليين بعــد أن كان هذا الصحفــى قــد أبعــد فى عهد ســلفه حسن حسنى باشــا لمهاجمتـــه السياســة الايطاليــة فى صحيفــة كان قد أنشأها فى طرابلس تسمى بروجرسو Progresso أى التقــدم .

وازاء هذه التصرفــات الجــادة القويــة من جانب ابراهيم باشــا ضاقــت بــه السياســة الايطالية ذرعـــا واعتبرته العــدو الاكبــر للمخططات الايطالية ،

فسعت لدى سلطات الآستانة للتخلص منه ، ورغم الخلاصة فى جهوده للاصلاح فقد تعرض لحملة صحفية من جريدة (تصوير أفكار) التى كانت تصدر فى الآستانة ، وقبل أن يتم عاما بولايته استدعاه الي الآستانة رئيس الوزارة التركية حقى باشا المعروف بميوله الايطالية ، ويعتقد كثيرون انه كان متواطئا مع الايطاليين الذين ربطتهم به روابط عديدة منها زواجه من سيدة ايطالية وشغفه بلعب الورق مع أصدقائه الايطاليين ٠

وأصدر أمرا بنقله مما جعل البعض يعتقد بان هذا التصرف من جانب حقى باشا دليل على تآمره لأنه بعد عزل ابراهيم باشا بنحو خمسة عشر يوما حاصر الأسطول الايطالى طرابلس ، ولم تكن الحكومة العثمانية قد عينت بعد واليا يخلفه ويكون على رأس المقاومة ، وان كانت قد عينت نشأت بك واليا بعد نشوب القتال ، كما انتهزت وزارة حقى باشا فرصة استفحال الثورة فى اليمن فسحبت معظم جيشها النظامى من طرابلس الغرب لاستخدامه ضد الثورة ولم تكتف بذلك ، بل أهملت كل الاهمال الفرق الأهلية ، فنقصت قوة الدفاع الطرابلسية الى أقل من خمسة آلاف مقاتل فقط ٠

السنوسية : (٣)

ولا يمكن أن نتحدث عن ليبيا فى هذه الحقبة دون أن نشير الى السنوسية التى لعبت دورا كبيرا فى تاريخ هذه الولاية سواء فى السلم أو فى الدين أو فى السياسة ، وليس هنا مجال الحديث بالتفصيل عن تاريخ السنوسية ؛ ولكن هدفنا هو توضيح دورها فى المجتمع الليبى فى الفترة موضوع البحث وهى الفترة الأخيرة من العهد العثمانى وفترة الغزو الايطالى ٠

والسنوسية احدى الحركات الدينية التى ظهرت كرد فعل للتدهور الذى أصاب العالم الاسلامى فى العصور الحديثة بوجه عام والدولة العثمانية التى كانت تعتبر فارسة العالم الاسلامى والمدافعة عنه بوجه خاص ، وقد عملت السنوسية على نشر الدين الصحيح ودعوة المريدين الى الدين القويم واقتفاء أثر السلف الصالح بتعميم التعليم الدينى ، ووسيلتهم الى ذلك انشاء الزوايا وهى دور عبادة وتعليم ومراكز حياة واجتماع ومقر سلام وأمن ونظام فى جميع الأقطار التى نشطت فيها السنوسية ٠

والى جانب أن الدعوة السنوسية كانت عودا الى الاسلام فى أصله وجوهره فانها لم تقتصر على العبادة والتصوف بل أن يكون المسلمون

(٣) انظر كتاب د٠ محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ٠

عبادا منتجين نشطين يعيشون من كدهم · ويبدو هذا فى الزوايا التى كانت تحوى المساجد والمزارع والمتاجر ، ويقوم الاخوان فيها بالعمل دون تواكل أو كسل حتى بناء الزاوية كان يقوم به أهلها ، وهذا يدحض رأى الكتاب وبخاصة الايطاليين الذين يعتبرونها طريقة دينية صوفية لا أكثر ، ولا تهتم بغير العبادة والزهد والتقشف ·

واذا كانت الأفكار التى تدعو اليها السنوسية تشبه ما كانت تدعو اليه الحركة السلفية فى نجد (الوهابية) فقد كان ثمة بعض أوجه الاختلاف بين الحركتين منها :

١ ـ الشدة والقسوة التى لجأ اليها سلفيو نجد فى محاربة البدع (تبعا لطبيعة الظروف فى نجد) ، وهذا ما جعل الوهابيين يستخدمون القوة والسيف فى نشر دعوتهم ، بينما كانت السنوسية تدعو لأفكارها عن طريق التعليم والهداية والارشاد ·

٢ ـ أن الوهابين حاربوا الخلافة العثمانية لأن الدعوة الوهابية وهى تدعو الى الاسلام الحقيقى كانت تعنى أن الاسلام الذى يحميه السلطان ليس بالاسلام الحقيقى وبالتالى لا يكون هذا السلطان هو الامام الحقيقى للأمة ·

أما السنوسيون فانهم وهم يريدون هداية العالم الاسلامى أجمع ، فان الدولة العثمانية لم تكن سوى قطرا من أقطار هذا العالم الواسع الذى يبغون اصلاحه دون التفكير فى الخلافة كنظام ·

كما أن السيد محمد بن على السنوسى مؤسس الطريقة لم يكن يرى ضررا فى بقاء الخلافة العثمانية كرباط للعالم الاسلامى ، يضاف الى ذلك أنه فى برقة الذى يهم السنوسيون أمرها على وجه الخصوص لم يكن السلطان العثمانى يتعدى السواحل ، بينما بقيت الدواخل فى أيدى شيوخ القبائل ورؤسائها ناهيك عما هو معروف فى أقطار العالم الاسلامى وقتئذ من أن البقاء ضمن أملاك الدولة العثمانية دولة الخلافة فيه ضمان من الوقوع فى براثن الاستعمار الأوربى الذى أخذ يتوغل فى أصقاع كثيرة من القارة الافريقية منها مناطق متاخمة لبرقة وطرابلس مثل الجزائر والسودان الغربى ·

ولو أن هذا لم يمنع السيد محمد بن على السنوسى من توجيه النقد الى دولة الخلافة بسبب اخفاقها فى دفع الأذى عن الجزائر ، وتمكين العناصر التركية من الغلبة على الشعوب العربية واقامة الحكومة الاستبدادية فى

ـلاد تلك الشعوب (مثل محمد على فى مصر وغيره) ، خصوصا وأنه كان يرى أن تكون الخلافة الاسلامية بيد شريف قرشى ، ومع ذلك فانه لم يكن من سياسة السيد السنوسى مناصبة دولة الخلافة القائمة العداء أو الخروج عليها ٠

وعندما قرر السيد محمد على السنوسى وهو فى مكة أن يتوزع الاتباع والمريدون فى مختلف الانحاء لانشاء الزوايا وبيوت العبادة قرر أن يعود هو الى برقة للغرض نفسه وكان انتقاله من الحجاز الى برقة بدء انتشار الدعوة السنوسية فى الأقطار الليبية ، واستقر به المقام أخيرا فى برقة حيث انشأ الزاوية البيضاء (أم الزوايا) فى موقع استراتيجى ، واستقر بها الى أن انتقل الى جغبوب وبقى بها حتى توفى سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩) م ٠ ولقد اهتدى السيد السنوسى بفكره الثاقب ونظره البعيد الى اختيار برقة مكانا صالحا للدعوة واتخاذها مركزا تدار منه هذه الدعوة واقليما يشهد انشاء الامارة السنوسية ، ذلك أن العثمانيين عندما بسطوا سيادتهم على هذه البلاد لم تكن سلطتهم تتجاوز السواحل ، أما دواخل البلاد جنوبا فى فيافى الصحراء فقد صارت بعيدة عن نفوذ الترك ، استتقام الأمر فيها لشيوخ القبائل المحلية ، ونفر العرب نفورا شديدا فى برقة وطرابلس عندما حاولت الدولة السيطرة سيطرة فعلية على تلك البلاد ، وكان ذلك ما دعا العثمانيين الى استمالة زعماء العرب والاعتراف بالسنوسية ليس فقط كدعوة (طريقة) ولكن كامارة (سياسة) أيضا تستعين بها فى ضبط الأمور واستتباب الأمن بعد أن لمست الأثر الذى أحدثه وجود السنوسى بين العرب ، ولتفادى خطورته فانه ما دامت الدعوة للخليفة تقام فى المساجد ، ومادام السنوسيون يعترفون بالخلافة والخليفة فالعثمانيون يقبلونها خصوصا أنها كانت تؤمن استيفاء الضرائب الذى يقوم به الموظفون العثمانيون ٠

يضاف الى ذلك أن السيد السنوسى لمس حال برقة فى أثناء مروره بها ، وأدرك الى أى حد تفشى الجهل بين القبائل وانصرف الناس عن اقامة شعائر الدين مع الامعان فى أعمال السلب والنهب وقطع الطرق على القوافل ، وبذلك كان أهل هذه الاقطار هم أشد الناس حاجة الى الارشاد لمعرفة قواعد دينهم معرفة صحيحة ، ولذلك قرر السيد اقامة الدعوة بها لمكافحة ذلك التدهور المخيف الذى يهدد الاسلام ٠

وكان من نتيجة تقدير الدولة لمركز السيد السنوسى واعترافها بمركزه عن طريق واليها على طرابلس (أشقر باشا) أن ترك العثمانيون من ذلك الحين حكومة دواخل البلاد فى أيدى السادة السنوسيين ٠ وأصدرت

الدولة فرمانات سلطانية أعفتهم من الأموال الأميرية ، بل وذهب بعض المؤرخين الى أن السيد محمد بن على السنوسى لم يلبث أن نال من السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ – ١٨٦١) فى سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥ م) فرمانا جعله بمثابة الامير المستقل بامارته وأعفيت الزوايا من الضرائب ، وفى عهد السلطان عبد العزيز أرسل فرمانا آخر الى والى طرابلس – والذى كانت تتبعه برقة أيضا – ثبتت فيه امتيازات السنوسية كما اعتبرت الزوايا السنوسية حمى يمكن أن يلجأ اليه الناس .

وهكذا اخذت هذه الحركة تنتقل من مجرد دعوة الى الدين الصحيح وارشاد الاتباع والمريدين الى اقتفاء أثر السلف الصالح الى دعامة من دعائم الحكم فى العالم الاسلامى وامارة منضوية تحت لواء الخلافة العثمانية ، ولو ن آراء السيد فى هذه الخلافة جعلته يبتعد ما امكن عن ولاة الدولة ورجالها فى بلاده .

ومنذ أجمع العرب – بعد وفاة السيد محمد بن على السنوسى – على اختيار ولده السيد محمد المهدى خليفة له صارت السنوسية (امارة) وراثية فى عقبه وبقيت هذه الامارة تعترف بخلافة السلطان العثمانى كما اعترفت السلطنة العثمانية بالامارة السنوسية .

ولما كان السيد السنوسى الكبير يتوقع سقوط البلاد الليبية بأيدى (النابولطان) أى أهل نابولى الايطاليين ، فقد كان يحرص على اختيار مواقع الزوايا ، اما على شاطىء البحر بحيث تبعد كل واحدة عن الأخرى بمسيرة ست ساعات ، وأنشأ فى الداخل خلفها زوايا مقابلة لها على نفس البعد ، الا أن انشاء هذه الزوايا وانتشار الطريقة السنوسية وتعاليمها وازدياد عدد اتباعها ومريديها لم يلبث أن أثار عداء السلطات العثمانية وقلقها وخوفها الى جانب نقمة العلماء (التقليديين) الذين انكروا على السنوسى دعواه بأن (الاجتهاد لم ينقطع وبابه مفتوح مادام مستندا الى الكتاب والسنة) .

ولذلك رأى السيد السنوسى أنه من الحكمة اتخاذ مقر جديد لدعوته غير الزاوية البيضاء التى كانت قريبة من الساحل وبالتالى من سلطة حكومة بنغازى فاختار واحة جغبوب التى تقع فى مكان تكثر به القبائل العربية التى قبلت الدعوة السنوسية ، ويمكن الاعتماد على أهلها فى نشر دعوة الاسلام فى مجاهل الصحراء ، خصوصا وانه كان يشعر بقرب استيلاء الاجانب على البلاد فاراد أن يقيم زاويته فى مكان يصعب الوصول اليه ، ورحل الى جغبوب فى أواخر أيامه (٩ من صفر ١٢٧٧ هـ ٧ سبتمبر ١٨٥٩ م) ولم يلبث أن توفى ودفن بها .

وقد استطاع السيد السنوسي قبل وفاته أن ينجح من مركزه في جغبوب في نشر الاسلام بين الزنوج الوثنيين في واداى والاقاليم المجاورة لها حتى جهات تشاد وبلاد تبو والطوارق .

وان اختيار السيد السنوسى للجغبوب لاقامة زاويته الكبرى ليس معناه أن هذه الواحة جزء من برقة لان الواقع السائد فى ذلك الوقت أن بلاد أقطار الاسلام كلها وحدة واحدة ليس بينها حدود ولا تقف عوائق تحول دون انتقال المسلم من قطر لآخر للاقامة ومزاولة مختلف أنواع النشاط ، والدليل على ذلك أن السنوسى أقام الزوايا فى كثير من الاقطار الاسلامية التى لا تربطها بليبيا أية رابطة سوى رابطة الاسلام مثل الحجاز والجزائر وأواسط أفريقية والصومال والعراق .

والمعروف أن السنوسية كانت لا تعرف حدودا دولية ولم تظهر حاجتها الى هذه الحدود الا فى وقت متأخر عندما أغار الايطاليون على برقة وطرابلس واحتلوا هذه البلاد .

ويلاحظ أن العلاقات العثمانية السنوسية دخلت مرحلة جديدة فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى ذلك أن السلطان العثمانى كما هو معروف اتخذ الدعوة الى الجامعة الاسلامية قاعدة لسياستيه العربية والشرقية ، وصار يبذل كل جهد فى سبيل اقامة هذه الجامعة ، ولذلك لم يكن من سياسته استعداء الامارات الاسلامية الكبيرة بل انه وجد فى الاعتراف بهذه الامارات خير طريقة تكفل انضواءها تحت لواء الخلافة . وتضمن عدم خروجها على دولة الخلافة فى وقت كانت الدولة العثمانية فيه أشد ما تكون حاجة الى العصبية الاسلامية تشد بها أزرها أمام مطامع الدول الاجنبية مادامت الامارة السنوسية منضوية تحت لواء الخلافة ، واستطاع السلطان عبد الحميد ـ بفضل تقارير رجال حكومته فى بنغازى ـ أن يطمئن الى السنوسية فعمل على كسب مودة السيد المهدى .

ولكن الدول الاوربية كانت تسعى للوقيعة بين السلطان عبد الحميد والزعيم السنوسي باثارة قلق السلطان من اتساع نفوذهم واستعداداتهم العسكرية . وتعزو الى السيد المهدى الراغبة فى اقامة ملك خاص مستقل على حدود مصر حتى ساحل الاطلنطى ، ومن ساحل البحر المتوسط حتى حدود السودان ، وكانت الدول تلح على السلطان لكى يستدعى السيد المهدى الى الآستانة للاقامة بها وعدم السماح له بالعودة الى وطنه ، وعندما اشتد الضغط الدولى على السلطان رأى السيد المهدى من الحكمة أن يغادر جغبوب الى مكان أكثر أمنا وأبعد منالا فى الجنوب

فانتقل الى واحة الكفرة (١٣١٢ هـ ـ ١٨٩٥ م) وبنى فيها زاوية التاج وعمرها حتى صارت جنة وسط الصحراء .

وقد تعددت الآراء حول تبرير انتقال السنوسى الى الكفرة بين الرغبة فى الابتعاد عن الانجليز الذين احتلوا مصر ، ورغبة فى الابتعاد عن مطارح انظار الدول الاستعمارية فانتبذ هذا المكان القصى فى الصحراء والرغبة فى البعد عن مقر الحكومة (فى بنغازى وطرابلس) حيث أن الدولة أخذت تشستبه فى أمره وتتوجس منه خيفة ادعائه الخلافة لدرجة أن بعض الكتاب الأوربيين صاروا يعزون اليه الرغبة فى تحقيق أهدافه الدنيوية السياسية بانشاء ملك مستقل كامل السيادة يمتد عبر القارة الافريقية .

وعلى كل حال فان السيد محمد المهدى بعد انتقاله الى الكفرة أوفد مندوبا عنه الى الآستانة لكى يؤكد اخلاص السيد المهدى لخليفة المسلمين ويطلب توكيد الفرمانات التى صدرت للسنوسيين وفعلا أصدر الباب العالى أوامره الى متصرفية بنغازى وولاية طرابلس الغرب بتأكيد الفرامات القائمة .

وفى الواقع فان السيد المهدى بانتقاله من الجغبوب الى الكفرة كان يبغى تحقيق غرض أكثر بساطة ووضوحا من انشاء امبراطورية مستقلة ، الا وهو مقاومة جهود بعثات التنصير فى أفريقية الغربية ونشر الهداية بالدعوة الى الاسلام بين الأقوام الوثنيين عن طريق الزوايا ، كما كان السيد المهدى يسعى الى توثيق علاقات الصداقة مع سلطنة واداى ومع بقية الامارات الاسلامية فى جهات تشاد لنشر الاسلام الصحيح والتعاليم السنوسية وتجنب الأخطار التى هددت هذه البلاد ، وتتمثل فى عزم الفرنسيين على التوغل فى القارة وبسط سلطانهم على الامارات الاسلامية فى أفريقية الغربية .

ولا شك فى أن الاستعمار والنشاط التنصيرى فى أفريقية كان يحقد على السنوسيين بسبب ما صار لهم من قوة اعتبرها الاستعمار والنشاط التنصيرى عقبة فى سبيل نجاحهم وخصوما عنيدين يحولون دون تحقيق أهدافهم فى اقتسام القارة الافريقية الذى صارت الدول الاوروبية تتكالب عليها خصوصا فى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر ، فبريطانيا بعد احتلال مصر والسودان صارت ترى فى السنوسية عائقا فى وجه مخططاتها فى غرب أفريقية ، وفرنسا بعد احتلالها للجزائر وتونس صارت تتوغل فى قلب أفريقية حتى وصل نفوذها الى واداى التى دانت للسنوسية مما جعل الاصطدام بينهما أمرا لا مفر منه .

وكذلك ايطاليا عندما بيتت النية على اغتصاب القطر الليبي صارت تسعى لكسب مودة السنوسيين على أساس أنه بدون ذلك لن تحقق غرضها عندما تحين الفرصة المناسبة ، كما كانت ألمانيا تسعى لاستمالة السيد المهدى للعمل ضد فرنسا فى أفريقية الغربية ٠

واذ أفسدت السنوسية على الاستعماريين وبعثات التنصير عملهم فى أواسط أفريقية طفقوا يذيعون الأكاذيب ويلصقون التهم بالسنوسية مثل التعصب ضد المسيحية واغتيال الرحالة والمستكشفين ، ثم ـ بعد فشل مساعى الدول لاجتذاب السيد المهدى ـ أخذوا يسعون لدى السلطان ويضغطون عليه لابعاد السيد المهدى عن القطر الليبى ، فقد رفض السيد المهدى الاستجابة لمساعى الألمان وتحريضهم له على تحريك الثورة فى الجهات التى خضعت للفرنسيين ، كما حاول الايطاليون استمالته لتحريك الثورة ضد الفرنسيين فى تونس التى كان الايطاليون يطمعون فى الاستيلاء عليها قبل فرنسا واذا كان السنوسيون قد رفضوا أن يكونوا أداة فى يد دولة أوربية ضد دولة أوربية أخرى فانهم مع ذلك لم يقفوا موقفا سلبيا من التوغل الأوربى فى الاقطار الاسلامية فى أفريقية ، فبذل السيد المهدى جهده لتنظيم المقاومة ضد الفرنسيين الزاحفين حول بحيرة تشاد حتى انه انتقل من الكفرة الى مكان قريب من موقع العمليات فى زاوية قرو فى برقة سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩) م ٠ وتولى قيادة السنوسيين فى الجهاد سيدى محمد البرانى والسيد عمر المختار ورغم احرازهم بعض الانتصارات الا أنهم لم يستطيعوا الصمود أمام معدات الحرب الحديثة وتم للفرنسيين احتلال كانم ولو أن السيد المهدى استمر يشجع الاقطار التى خضعت للفرنسيين على استئناف الجهاد ضد المستعمر ، الا أن السيد المهدى توفى فجأة وهو فى قرو فى ٢٣ صفر سنة ١٣٢٠ هـ (أول يونية سنة ١٩٠٢ م) ونقل جثمانه الى الكفرة ٠

وكانت الظروف التى تحيط بالسنوسيين السبب فى سرعة اختيار خليفة للسيد المهدى ـ ولما كان محمد ادريس بن السيد محمد المهدى صغير السن فقد أوصى السيد المهدى بزعامة السنوسية لابن أخيه السيد أحمد الشريف على أن يكون فى نفس الوقت وصيا على محمد ادريس الخليفة الشرعى ٠ وفى ١٢ ربيع الأول ١٣٢٠ هـ (١٩ يونيو ١٩٠٢) جرى الاحتفال بانتخاب الاخوان وكبار السنوسيين للسيد أحمد الشريف (على سجادة الامامة ٠) وكان ذلك فى الكفرة التى عادت وظلت مقرا لحكومة السنوسيين ومركزا لنشاطهم ٠

وقد وضع السيد أحمد الشريف السنوسى نصب عينيه الاحتفاظ بصداقة سلطنة وادای وولائها للسنوسيين ومساعدتها على الصمود فى وجه الزحف الفرنسى ٠

ومن ناحية اخرى نـزل السنوسيون الى ميدان الجهـاد ضد الفرنسـيين، فى جهات التبستي وبرقو وانيدى ، وأظهـروا من الجلـد والعزيمة ما مكنهم من انزال خسـائر بالفرنسيين الا أن الفرنسيين بفضـل اسـلحتهم الحديثة وقواتهم المتدفقـة أحـرزوا انتصارات هامة سنة ١٩٠٦م وما بعدهـا مما مهد لهم احتلال واداى نهائيـا سنة ١٩٠٩ م .

وبمجرد أن دانت لهم هذه البـلاد اسرع الفرنسـيون الى هـدم زوايـا السنوسيين والغائها الامـر الذى اثـار اهتمام الدولة العثمانية التى صـار يعنيها وهى دولة الخلافـة مؤازرة السنوسيين المنضوين تحت لوائـها ، وقـد أسـفرت المفاوضات بين السيد أحمد الشريف والتـرك سنة ١٩١٠ م عن ارسال جنـد من النظاميين الى برقـو والتبستي وتأسيس قائمقامية فى الكفـرة ، كمـا دعـا السنوسيون الاتراك الى برقو فأرسـلوا اليوزباشى رفقى الذى رفع الرايـة العثمانية الى جانب الرايـة السنوسية فى ون بالقـرب من عين كلك ، فانـه لمـا كانت السنوسية لا تتمتع بوضـع دولى يمكنها من الاحتجاج لـدى الدول الغربيـة فقد رأت السنوسية بزعامة السيد أحمد الشريف أن تمكن الدولـة العثمانية من أن تقيـم قائمقاما لهـا فى الكفـرة ومديرا فى الجغبـوب لأن رفـع العلم العثمانى فى ذينك المكانين يجعل الدولة صاحبـة الحـق الشرعى فـى الاحتجاج لـدى الدول .

واستمرت المناوشـات دائـرة بين السنوسيين والفرنسيين ، واسـتطاع الفرنسيون فى ديسمبر ١٩١٣ م انزال هزيمة كبيرة بالمجاهدين فى قـرو ، ولـو أن البعض يـرى أن تدعيـم النفـوذ العثمانى فى الكفـرة وما أشـيع عن ايفـاد مهندس عثمانـى (نظمى بـك) الى الكفـرة لاختيـار موقـع مناسـب لبنـاء ثكنـات لايـواء القوات العثمانيـة التى سترسل الى هذه النقطـة البعيـدة سيؤدى هذا الى حـدوث خلافـات بين السلطات العثمانية المحلية وطائفـة السنوسية التى وصفت فى تقرير السـفير البريطانى فى الآستانة بأنها تهدف الى اقامـة دولة داخـل الدولة (٤) .

الا أن الدولة العثمانية فى أثنـاء ذلك أخـذت تتجـه نحـو مسالمة فرنسا وغيرهـا من الدول الغربيـة عندما اكفهـر الجـو السياسى فى أوربا ، وأخـذت الحالة تتحـرج فى البلقـان ، فتعذر على المجاهدين بسـبب ذلك الحصول على الأسـلحة والذخائـر والمـؤن اللازمـة للمضى فى قتـال الفرنسيين فى تلك الأصقـاع النائيـة . رغـم أن السنوسيين من رعايـا السلطان كانـوا لا يزالون يعترفـون بسيادته الشرعيـة عليهم .

---

(٤) وثيقـة رقـم ٦٠٨ من لوثـر السفير البريطانى فى الاستانة الى جـراى وزير الخارجية بتاريخ ٢٩ اغسطس سنة ١٩١٠ م .

وبالاضافة الى ذلك فان الفرنسيين بعد أن تم لهم اخضاع واداى وبرقو وقرو اضطروا من جانبهم الى الوقوف عند حدود برقة الجنوبية بسبب الارتباطات الدولية التى قيدت حركتهم فى هذه الجهات مثل الاتفاق الانجليزى الفرنسى الذى أبرم فى باريس فى ١٤ يونيو ١٨٩٨ م لبيان حدود ممتلكاتهما ومناطق نفوذهما على جانبى نهر النيجر ، وهو الاتفاق الذى أكده تصريح لندن فى ٢١ مارس ١٨٩٩ م ، وأخيرا التوكيدات المتبادلة بين الفرنسيين والايطاليين فى ديسمبر ١٩٠١ م بشأن تعيين مناطق نفوذ الدولتين فى أفريقيا الشمالية الغربية ، فاحتفظت ايطاليا لنفسها بمقتضى هذا الاتفاق بمنطقة برقة وطرابلس بينما تعهدت فرنسا من جانبها بالتزام ما جاء فى ارتباطاتها السابقة مع انجلترا فى ٢١ مارس ١٨٩٩ م على أن تمتنع ايطاليا فى نظير ذلك عن التدخل فى شئون مراكش وعرقلة نشاط فرنسا وسياستها فى هذه السلطنة ، وبذلك لم يعد فى امكان فرنسا بسبب هذه الاتفاقات الاعتداء على حدود برقة الجنوبية ٠

اما السنوسيون فقد اضطروا من جانبهم الى ترك النضال ضد فرنسا عندما أعلنت ايطاليا الحرب على الدولة العثمانية ، وأخذ الاسطول الايطالى يطلق قذائفه على موانى طرابلس وبرقة وصار على السنوسيين أن يهبوا للدفاع عن البلاد التى نشأت فيها دعوتهم وكانت مقرا لامارتهم ٠

الفصـل الثانـــى

الاطمـاع الاستعمارية الأوربيـة فى ليبيـا

على الرغـم من أن ايطاليـا هى الدولة التى قـدر لهـا ان تسـتحوذ على ليبيـا ، فان الاطمـاع الاستعمارية فى القطـر الليبى لـم تكن مقصـورة على ايطاليـا ، بـل راودت دولا اوربيـة أخـرى وان صـارت ليبيا فى نهايـة الأمـر من نصيب ايطاليـا بعـد أن توصلت الدولة الأخيرة الى اتفاقيات مـع الدول الأوربية الأخرى التى سـلمت بحق ايطاليـا فى هذه البـلاد ٠

الاطمـاع البريطانيـة :

كانت ليبيـا موضـع اهتمـام بريطانيا منذ منتصف القرن الثامن عشر وأوائـل القرن التاسع عشر ، ولعب قناصلها دورا هاما فى تاريخ الولايـة وخاصـة وارنجتون كما حرصت بريطانيا على اقامـة قنصليـات لها فى أكثـر مـدن الولايـة ٠ وبفضـل هذه القنصليـات صـار النفوذ البريطانى واضحـا بين القبائـل ٠

ولقـد سـعت بريطانيا ـ مثل فرنسـا ـ لتقويـة مركزهـا فى البلاد بشتى الوسـائل ، من ذلك انـه فى سنة ١٨٢٤ م عندما رغـب يوسف باشـا القرهمانلى فى تقويـة أسـطوله تقـدم القنصل البريطانى وارنجتون بكل عـون ، كمـا قـدم يوسف باشـا للمكتشفين والرحالة رسـائل توصية الى زعيم البورنـو سـنة ١٨٢٣ طالبـا منـه الاستمرار فى اسـداء العـون اليهم كما كان يفعل فـى السـابق ٠

ولمـا كانت الدول المجتمعة فى مؤتمر برلين ١٨٨٤ م قـد رأت أن الادعاءات الاستعمارية فى أفريقيـة لا تتحقق الا بالاحتلال الفعلى فقد ترتب على ذلك حدوث تكالب بين الدول الأوربيـة على المستعمرات فى أفريقيا ، وصارت السياسـة الاستعمارية للدول الأوربية جـزءا هاما وأساسيا من السياسـة الخارجيـة لهذه الدول ، وكانت مصالح الدول هى التى توجـه هذه السياسـة ٠٠

وعقب احتـلال فرنسـا للجزائر سنة ١٨٣٠ ثـم تونس سنة ١٨٨١ زاد اهتمام بريطانيا بليبيـا ، وخصوصـا بعـد احتـلال بريطانيا لمصر سنة ١٨٨٢ حيث صـارت ليبيا هى الفاصـل بين مصر البريطانية وتونس والجزائـر الفرنسيتين ، ومن ثـم أخـذت بريطانيا تفكر وتخطط لمستقبل ليبيـا ، ويظهر هذا فى التقرير الذى وضعـه الرحالـة البريطانـى (كوبـر) الذى قـام

برحلة الى مناطق ليبيا الداخلية في سنتي ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ متسترا وراء دراسة الآثار ولكنه في الحقيقة كان يدرس الأوضاع في القطر الليبي ، وعرج في تقريره على مستقبل طرابلس فكانت آراؤه وافكاره تعبيرا صادقا عن الاطماع البريطانية فيها ، فقد اهاب كوبر ببريطانيا ان تتحرك على أساس أنها لا يمكن أن تسكت اذا ظهر أن فرنسا تفكر في ابتلاع اقليم جديد على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط ، ونصح ساسة بلاده بالعمل على جعل طرابلس — عند زوال الصفة التركية عنها — تحت سيطرة دولة لا تصطدم مصالحها ماديا مع مصالح بريطانيا . وطبعا هذا الشرط لا يتوفر في فرنسا .

وعلى هذا الأساس سار النشاط البريطاني في ليبيا في اتجاهين :

الاتجاه الأول : يتمثل في النشاط الدبلوماسي المتصل بمستقبل ليبيا .

والاتجاه الثاني : ويتمثل في تدعيم النفوذ البريطاني في القطر الليبي عن طريق ارسال بعثات كشفية تتستر وراء الهدف العلمي ، من قبل الحكومة البريطانية والهيئات الجغرافية لدراسة خطوط القوافل التي تربط بين طرابلس ووسط افريقية ، ذلك انه لما انتشرت المستعمرات البريطانية في وسط أفريقية فكرت بريطانيا في ربط هذه المستعمرات بميناء طرابلس على البحر المتوسط كاقصر طريق لربط هذه المستعمرات ببريطانيا عبر جبل طارق الذي تسيطر عليه .

وقد ظلت خطوط القوافل هذه في خدمة الاستعمار البريطاني الى أن استولت فرنسا تمبكتو على ثنية النيجر ، ومدت بريطانيا خطا حديديا في نيجيريا امكن بواسطته نقل البضائع من داخل نيجيريا التي سولتها ففقدت خطوط القوافل اهميتها البالغة .

كما اهتمت بريطانيا بتدعيم العلاقات التجارية بينها وبين القطر الليبي ، فانه من المعروف انه حتى قبيل الغزو الايطالي كانت بريطانيا متفوقة حتى على ايطاليا في تجارة ليبيا الخارجية ، كما اتخذت الاطماع البريطانية صورة جديدة تتمثل في البعثة اليهودية التي اوفدتها المنظمة اليهودية للاراضي الى ليبيا سنة ١٩٠٨ م لدراسة امكانيات انشاء مستعمرات زراعية في برقة ، وبعد زيارة البعثة لبرقة اصدر مؤتمر المنظمة المنعقد في لندن سنة ١٩١٠ م قرارات بشأن المشروع منها القيام ببنك يهودي لشراء الاراضي وقبول اليهود فيها كلاجئين عثمانيين ، والحصول لهم على رخصة في الزراعة من اجل ((جلب السيادة والبركة لتلك البقاع واستثمار رؤوس الاموال اليهودية في الممالك العثمانية مما يساعد على رفع شأن الدولة العثمانية وزيادة ثروتها)) .

الا أنه يبدو أن الجهود اليهودية لاستعمار برقة لصالح بريطانيا لم تلبث أن توقفت بسبب تغلب وجهة النظر الصهيونية القائلة بالتركز على فلسطين ثم بسبب الغزو الايطالى لليبيا ٠

ويلاحظ أن بريطانيا كانت تركز بوجه خاص على برقة لمجاورتها لمصر لدرجة قيام شائعات فى أثناء الغزو الايطالى بان بريطانيا تريد ضم برقة لمصر (كما سيأتى بيانه فى حينه) ومن ثم عملت بريطانيا على تنمية العلاقات الاقتصادية مع برقة ٠ وقد كشفت مراسلات القنصلية الايطالية فى بنغازى عن اهتمام المبعوثين الايطاليين ورصدهم للنشاط البريطانى فى برقة ٠

الأطماع الفرنسية :

على الرغم من أن فرنسا كانت تهتم بولاية طرابلس الغرب الا أنه كان اهتماما هامشيا ، ولذلك لم تتبع خطة ثابتة ، ولكنها أخذت الأمر بمزيد من الجدية منذ احتلت الجزائر سنة ١٨٣٠ م حيث تقدمت فى السنة ذاتها ببعض المطالب الى يوسف باشا القرمانلى منها الامتناع عن مطالبة الأوربيين بأية مطالب ، والامتناع عن تقوية اسطوله كما طالبت بأن تكون لها حقوق الدولة الافضل رعاية ، وقبل الباشا مطالب فرنسا ٠

ومنذ احتل الفرنسيون الجزائر سنة ١٨٣٠ م ثم تونس سنة ١٨٨١ م وهم يولون ولاية طرابلس الغرب اهتماما خاصا مرسوما على ضوء سياستهم التوسعية الاستعمارية فى ذلك الوقت ورغبتهم فى تخطيط الحدود بين تونس والجزائر من جهة وطرابلس الغرب من جهة اخرى بما يتفق والمصالح الفرنسية مع توفير الامن للوجود الفرنسى فى تونس والجزائر واتاحة الفرصة لفرنسا لمد نفوذها عبر الصحراء حتى السودان الأوسط ، ولذلك كانت فرنسا تتطلع للسيطرة على فزان بل وفكرت فى السيطرة الكاملة على طرابلس الغرب ، فعملت على تثبيت نفوذها فى عاصمة ولاية طرابلس باقامة منشآت تنصيرية ، واهمها مدرسة للذكور وأخرى للاناث ومستشفى ، علاوة على منشآت مماثلة فى بنغازى ، كما سيطرت على بعض الشركات التى تؤدى خدمات حديثة ، فكانت ادارة فنار طرابلس فرنسية وكانت هناك ادارة بريد فرنسية ، كما سعت فى منطقة الحدود التونسية الطرابلسية الى ضم واحة غدامس لما لها من اهمية استراتيجية وتجارية الى تونس ؛

اهتمـــام ألمانيـــا :

شـجع انتصـــار ألمانيا على فرنسا سنة ١٨٧٠ م الكثيرين على الاعتقاد بأن ألمانيـا لابـد أن تتقـدم نحـو ليبيـا ، يـدل على ذلك أن عـددا من الرحالة الألمـان أخذوا يترددون على تلك البـلاد مثل بارت وفوجيل وملتزان ونخيتجال ورولفس ، ولكن يبدو أن التقـارب بين ألمانيا وايطاليـا أدى فى النهايـة الى أن تصرف ألمانيا نظرهـا عن طرابلس الغرب التى كانت تتطلـع اليها حليفتها ايطاليـــا ٠

الاهتمـــام الامريكـــى :

فكـر فيـدال ــ القنصـل الأمريكى فى طرابلس سنة ١٨٧٥ م فى امكانية الحصـول على مينـاء فى ليبيا يكون قاعـدة للاسطـول الامريكى ٠ وقـد وقـع اختيـاره على طبـرق لهذا الغرض ، الا أن الأمـر لـم يتجاوز التفكير خصوصا وان فيدال نقـل فى السنة التالية ٠

الأطمـاع الايطاليـة :

بعـد أن حققت ايطاليـا وحدتها تحت زعامـة بيت سافوى سنة ١٨٧٠ م سـعت لكى تتخـذ لنفسـها (مكانا تحت الشمس) بالنزول الى ميدان الاستعمار ومشاركة الدول الأخـرى فى تكوين امبراطورية استعمارية فى أفريقيـة ، تلك القـارة التى أخـذت الدول الأوربية ــ فى القرن التاسع عشر وفى الربـع الأخير منه على وجـه الخصـوص ــ تسعى من أجل الاسـتحواذ على أقاليمها ، خصوصا وانـه كانت هنـاك ظروف تحيط بالملكة الايطالية وتدفعها الى النزول الى ميـدان الاستعمار لتحصل على نصيبها من المستعمرات ، ومن هذه الظـروف تزايـد عـدد سكانها باطراد وعجز الأراضى الصالحة للزراعـة عن استيعابهم ٠ وحاجـة الصناعـة الايطاليـة الناشـــئة الى مقوماتها الأساسية من مـواد خـام وأسـواق ٠ ورغبـة الايطاليين فى استخدم رءوس أموالهم فى استثمار موارد البلدان التى ينزحـون اليها يضـاف الى ذلك أن جهـاد ايطاليا من أجـل التحرير والوحـدة السياسية تكلف نفقـات باهظـة وقـع كاهلها علـى أهـل الجنـوب على وجـه الخصـوص مما أدى الى انخفاض مستوى المعيشـــة فى شتى الجهـات ٠

ومن ثـم ارتفعت فى مجـال السياسـة الايطالية وترددت شـــعارات تنادى بأن التوسـع ضرورة (قومية) لتشـغيل الايـدى العاملة وتوفير (مكان تحت الشمس) للشعب الايطالـى واستعادة مجـد رومـا التليـد ، واعتقـــد الاستعماريون الايطاليون أن التوسع الاستعمارى سـيكون عاملا أساسيا فى حل المشـاكل المسـتعصية فى ايطاليا وفى مقدمتها الاقتصـاد والبطالة ، وثمة أمـر

على جانب كبير من الاهمية فى دفع الايطاليين نحو الاستعمار ألا وهو الشعور بالنقص الذى نشأ بين الايطاليين من مدة طويلة نتيجة عجزهم عن تحقيق شىء من التوسع فى الوقت الذى تسابقت فيه الدول الغربية العظيمة الى امتلاك المستعمرات فى انحاء المعمورة وتكوين امبراطوريات استعمارية شاسعة بينما أفلتت من أيدى لايطاليين فرص عديدة جعلتهم يشعرون بأنهم لا يزالون فى مصاف الدول الصغيرة ، فكان لابد من القضاء على هذا الشعور .

ولما كان من المتعذر على الأمم أن تعزو أفعالها الى الشعور بمركب النقص كان لابد وأن يبحث الايطاليون عن أسباب أخرى وذرائع تفسر وتبرر عملهم العدوانى أمام العالم كما سنرى .

ومن الفرص التى ضاعت على الايطاليين أنه فى يناير سنة ١٨٧١ م عندما تعكرت العلاقات بين الحكومة الايطالية فى فلورنسة (العاصمة وقتئذ بعد تورين وقبل روما - وبين باى تونس ، واستعد الاسطول الايطالى لمغادرة سبيتزيا يحمل جنودا لانزالهم فى تونس أسرع الوزير الفرنسى يشرح للسلطات الايطالية تحرج مركز الفرنسيين فى افريقية الشمالية بسبب الاضطرابات القائمة فى الجزائر وتخشى فرنسا اذا أصرت ايطاليا على ارسال حملتها الى تونس أن يتسع عليها الخرق فى الجزائر فى وقت كانت لا تزال قواتها مشغولة بالدفاع الأهلى فى داخل فرنسا ذاتها ، فقرر الايطاليون العدول عن هذا الغزو (الى جانب خوف الايطاليين من الأسطول العثمانى). لذلك كان شعور الايطاليين بالخيبة عظيما عندما وجدوا فرنسا تحتل تونس سنة ١٨٨١ م من غير أن تحرك بريطانيا أو ألمانيا ساكنا ، وكانت دهشة الايطاليين كبيرة لأنهم ما كانوا يعلمون بان تونس كانت الثمن الذى نالته فرنسا فى نظير موافقتها على استيلاء انجلترا على قبرص .

وبرز من الاستعماريين الايطاليين ثلاثة هم : كرسبى ، جيوليتى ، الجنرال بلو الذين كانوا دعاة حرب حتى أن الصحف الايطالية أطلقت عليهم لقب ((فرسان الاستعمار الثلاثة) .

-وعندما تطلع الاستعماريون الايطاليون الى الاستعمار فى أفريقية تطلعوا الى الساحل الشمالى للقارة بوجه عام والى تونس بوجه خاص التى هاجر اليها آلاف من الايطاليين لكى تتخذ منها ايطاليا قاعدة للتوسع فى الشمال الافريقى ، فقد كانت تونس تتمتع بميزات عديدة تجعل منها مستعمرة مناسبة مثل خصوبة أرضها وقربها الشديد من شواطىء صقلية بحيث يمكن لايطاليا اذا ما استحوذت عليها أن تغلق البحر المتوسط عند خاصرته .

ولكن ايطاليا لم تكن الدولة الأوربية الوحيدة التى تطلعت لامتلاك تونس ، فقد تطلعت اليها أيضا فرنسا التى سيطرت منذ سنة ١٨٣٠ على القطر المجاور لتونس ألا وهو الجزائر ، وصار يهمها أن يمتد نفوذها على بقية الشمال الافريقى، فتبتلع أقطاره قطرا قطرا ، وقد صار المستشار الالمانى بسمارك يشجع فرنسا فى الخفاء على تملك تونس لاحداث وقيعة بين الجارتين الكاثوليكيتين فرنسا وايطاليا ، وبذلك يحول دون تحالفهما فتبقى فرنسا فى عزلتها التى كانت ركنا أساسيا فى سياسة بسمارك الخارجية ، وفى الوقت نفسه يمهد السبيل لكسب ايطاليا الى جانب التحالف الثنائى ، هذا بالاضافة الى شغل فرنسا خارج أوربا بمشروع يستنفد طاقاتها فلا يكون لديها فرصة للتفكير فى استرداد أراضيها السليبة منذ حرب السبعين ألا وهى الالزاس واللورين •

ولذلك فانه عندما أقدمت فرنسا على احتلال تونس سنة ١٨٨١ (معاهدة باردو) بموافقة بعض الدول الكبرى أو بغض نظرها على الأقل أصيب الاستعماريون الايطاليون بصدمة كبيرة ، وطفق كرسبى فى سنة ١٨٨٢ يلوم فرنسا لاعتدائها على حقوق أختها اللاتينية فى تونس ، كما أدى نزول القوات الفرنسية فى تونس الى هياج الرأى العام الايطالى الذى أخذ يتساءل عما اذا كان هناك ما يمنع فرنسا - بعد ذلك - من أن تبتلع طرابلس أيضا بل وأن تنزل قواتها على شاطىء شبه الجزيرة الايطالية •

وكان من نتيجة ذلك انضمام ايطاليا الى التحالف الثنائى (ألمانيا والنمسا) سنة ١٨٧٩ ، فصار ثلاثيا منذ سنة ١٨٨٢ فقد كانت المملكة الايطالية الوليدة فى حاجة ماسة الى مساندة أوربية قوية لمواجهة مشاكلها الداخلية والخارجية •

ولانضمام ايطاليا الى النمسا عدوتها القديمة التاريخية فى محالفة مغزى كبير فهو يؤذن ببداية سياسة المحالفات التى صارت ايطاليا تعتمد عليها فى دبلوماسيتها كما أن دخول ايطاليا فى محالفة مع دولة النمسا لم تكن لها معها روابط صداقة قديمة بل ولا تزال بينهما بعض أسباب النزاع الذى كان من شأنه أن يجعل هذه المحالفة غير مستقرة ومعرضة للانهيار فى أى وقت (وسنرى ذلك فى تتابع العلاقات الدولية حتى نشوب الحرب العالمية الأولى وانضمام ايطاليا الى الحلفاء دول الوفاق الثلاثى وتخليها عن ارتباطها بدول التحالف) كما يدل على أن هدف ايطاليا من انضمامها الى المحالفة الثنائية هو رغبتها فى استخدام هذه المحالفة فى رفع مركزها وشأنها بين الدول والضغط على فرنسا وهى الدولة التى تقف حجر عثرة فى طريق توسعها فى شمال افريقية لأن هذه المحالفة كانت موجهة أصلا ضد فرنسا •

ومنذئذ تحولت ايطاليا بانظارها الى طرابلس الغرب للسيطرة عليها كبديل

التونس ، وفى الوقت نفسه تطلعت أنظارها بفكرة التوسع الاستعمارى فى شرق أفريقية خصوصا وأن الظروف كانت معاونة لايطاليا لكى ترث الممتلكات المصرية فى تلك الأصقاع .

ذلك أن تصفية الثورة العرابية وخضوع مصر للاحتلال البريطانى ، وهيمنة سلطات الاحتلال على شئون مصر الداخلية والخارجية ، وازدياد أهمية البحر الأحمر بالنسبة لبريطانيا وفرنسا فى وقت انهارت فيه الصداقة البريطانية الفرنسية وتعرض أمن البحر الأحمر للتهديد نتيجة انتشار الثورة المهدية فى السودان الشرقى ، وتحسن العلاقات البريطانية الايطالية ، كل هذا جعل من الطبيعى أن تجد بريطانيا فى ايطاليا القوة أو الدولة التى يمكن أن توازن فرنسا فى منطقة البحر الأحمر ، ولذلك أخذت بريطانيا تشجع ايطاليا على توسيع نطاق ممتلكاتها على الساحل الأفريقى للبحر الأحمر والتى كانت فى ذلك الوقت محدودة لا تتجاوز ميناء عصب . (١)

الا أن تطلع ايطاليا الى شرق أفريقية وانشغالها فى تأسيس مستعمرات لها هناك فى الفترة التالية لم يجعل طرابلس الغرب تغيب عن تفكيرها فكانت الحكومة الايطالية تتصرف فى كل ما يتعلق بهذه الولاية العثمانية فى العلاقات الدولية وكان تبعيتها لها فى المستقبل أمر مفروغ منه ولذلك كانت تأخذها الغيرة اذا اقتربت أطماع الدول الأوربية الأخرى منها لأن ذلك من شأنه أن يجعل طرابلس تضيع من الدولة الأوربية التى سوف تتملكها عاجلا أو آجلا ألا وهى ايطاليا .

بل ان مانشينى وزير الخارجية الايطالية صار يسعى لتحقيق ضالته المنشودة (بالتقاط مفاتيح البحر المتوسط فى البحر الأحمر) وذلك : ـ

(أ) بسط نفوذ ايطاليا على سواحل البحر الأحمر الافريقية بالاتفاق مع بريطانيا .

(ب) ثم بالتوغل الايطالى فى السودان المصرى غربا الى دارفور حتى يصل النفوذ الايطالى تدريجيا باتجاهه شمالا الى سواحل طرابلس الغرب .

(جـ) وبذا تستطيع ايطاليا ن تبسط سيطرتها على سواحل البحر المتوسط الجنوبية وهو الهدف الذى كان مانشينى يسعى الى تحقيقه

---

(١) انظر : د. السيد رجب حراز : ارترية .

أولا وآخرا كما يتضح من قوله « ان مفاتيح البحر المتوسط انما توجد فى البحر الأحمر » ومعنى ذلك أن التقاط هذه المفاتيح يكون عن طريق الزحف من سواحل البحر الاحمر الافريقية والسودان ودارفور الى طرابلس الغرب ٠

وكان هذا هو رأى معظم الساسة الايطاليين فى ذلك الوقت وعلى رأسهم فرنشسكو كرسبى نفسه منشىء الامبراطورية الايطالية الأفريقية فى القرن التاسع عشر حيث كانوا يؤمنون بان سواحل البحر المتوسط هى المكان الطبيعى لبسط نفوذ ايطاليا ، فاذا تعذر البدء ببسط النفوذ الايطالى فى شمال أفريقية لسبب أو لآخر فانه يمكن الوصول الى هذه الغاية بتاسيس هذا النفوذ على ساحل البحر الأحمر الافريقى ، ومما ينهض دليلا على الاعتقاد السائد وقتئذ بان أفريقية الشمالية هى المكان الطبيعى للاستعمار الايطالى ، ان كرسبى كان فى مقدمة الساسة الايطاليين الذين رحبوا بالتعاون مع بريطانيا فى قمع الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ ، ربما لكى يستطيع فيما بعد أن يساوم بريطانيا فى امور شمال أفريقية ٠ (٢)

الا أن هزيمة ايطاليا المروعة على يد الاحباش فى واقعة عدوه سنة ١٨٩٦ جعل ايطاليا تتخلى مؤقتا عن استكمال احلامها فى امبراطورية واسعة فى شرق أفريقية مكتفية بالصومال وارترية لكى توجه انظارها وتركزها على الشمال لافريقى وعلى طرابلس الغرب بالذات ٠

---

(٢) انظر : محمد مصطفى صفوت : الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه ص ٥٩ ٠

الفصل الثالث

مقدمات الغزو الايطالى

بعد الصدمة التى تلقاها الطليان على يد الاحباش فى عدوه سنة ١٨٩٦، وقرارهم بتركيز جهودهم الاستعمارية فى القطر الليبى أخذوا يعدون العدة ويسلكون السبل الممهدة لتحقيق هذا الهدف فى النهاية ، ويمكن القول بأن مساعيهم فى هذا السبيل اتخذت ثلاثة أهداف أو مسارات ٠

الاتجاه الأول (سياسى) : يتمثل فى السعى للحصول على تأييد أكبر عدد من الدول الأوربية الكبرى أو على الأقل عدم معارضة هذه الدول للخطوة التى ستقدم عليها ايطاليا ، وذلك تجنبا لقيام صعوبات دولية فى وجه العمل الايطالى ٠

الاتجاه الثانى : وهو يسير فى خط متواز مع الاتجاه الأول ويتمثل فى التغلغل فى مختلف شئون القطر الليبى وتدعيم هذا التغلغل وبخاصة فى المجالات الاقتصادية والثقافية حتى يتدعم النفوذ الايطالى هناك وبذلك يصير من السهل السيطرة عليه سياسيا وعسكريا ٠

وفى أثناء هذه المساعى والمحاولات تعمل السلطات الايطالية على اصطياد الحجج والذرائع التى يمكن أن تواجه بها العالم لتبرر اعتداءها العسكرى على القطر الليبى وتجعل عملها أمرا حتمته ظروف قاهرة خارجة عن ارادتها وتقع مسئولية هذه الأعمال على الشعب الليبى أو الحكومة العثمانية صاحبة السيادة على هذا القطر ، والتماس هذه الأعذار هو الاتجاه الثالث الذى سار فيه نشاط الحكومة الايطالية بعد أن صح عزمها على الاستحواذ على القطر الليبى واخضاعه لسيطرتها التامة ٠

أولا : الاتفاقات الدولية :

لا شك أن وجود ايطاليا ضمن المحالفة الثلاثية قد عزز مركز ايطاليا الا أن هذه المحالفة من جهة أخرى لم تساعد الايطاليين على تحقيق شىء من مآربهم فى أفريقية ، بل ان فكرة اخضاع ايطاليا لطرابلس الغرب كانت فى سنة ١٨٩٥ لا تجد معارضة من أحد سوى دول الوسط (المانيا والنمسا) ٠ وجاءت هزيمة عدوه سنة ١٨٩٦ لتحدث تأثيرا آخر فى أعضاء المحالفة الثلاثية ، ولم يعد اتجاه بسمارك الطيب نحو أمانى روما الاستعمارية يحظى بالتأييد السابق ، فقد أعان خليفة المستشار الحديدى عشية الحرب الحبشية أن

« التحالف الثلاثى ليس جمعية لتنمية الممتلكات » كما أعلن الالمان بعد ذلك لومهم ونقدهم اللاذع لايطاليا لهزيمتها على يد (عدو بربرى) .

وفي الوقت نفسه لم تلبث أحلام ايطاليا فى (البلاد الايطالية لم تحرر Italia Irredenta) فى تريست والترنتيتو تراودها مرة أخرى وبالتالى تولد الشعور بالكراهية نحو النمسا ، ومنها يمتد ليشمل حليفتها المانيا ، حيث لم يظهر فى الافق ما يوحى بان النمسا على استعداد لاخلاء هذه المناطق والتخلى عنها لايطاليا ، ولما كان جهاز ايطاليا العسكرى والاقتصادى ضعيفا بدرجة لا يمكن معها نجاح أية مغامرات خارجية الا بمساعدة فعالة من الخارج، كان من الطبيعى أن يتطلع الاستعماريون الايطاليون من أجل العون الى جهة أخرى غير التحالف الثلاثى .

ولذلك اتجه الايطاليون صوب بريطانيا التى كانت علاقاتها بايطاليا قد تحسنت فى سنة ١٨٨٥ لدرجة أن بريطانيا كانت مرتاحة لترك مناطق ممتلكات مصر فى شرق أفريقية لكى تسيطر عليها ايطاليا التى تستطيع - فى رأى البريطانيين - الوقوف فى وجه تقدم المهدية الى تلك الجهات دون أن يكون هناك خوف على المصالح البريطانية .

ومنذ اعلنت فرنسا سيادتها على تونس وشروعها فى تحصين بيزرته هددت ايطاليا بالنزول فى طرابلس كعمل مضاد من شأنه أن يفقد بيزرته أهميتها كجزيرة محصنة ومصدر خطر لا يهدد ايطاليا فحسب ، بل وبريطانيا أيضاً ، وكان هذا واضحا فى خطاب كريسبى رئيس الوزارة الايطالية الى بريطانيا سنة ١٨٨٧ ، والذى أعلن فيه :

ان المسألة هى خلاصنا والاحتفاظ بتفوقكم فى البحر المتوسط .

واهتمت الدوائر البريطانية بوجهة النظر الايطالية هذه لدرجة أن رئيس وزراء بريطانيا بعث ببرقية الى الحكومة البريطانية أشار فيها الى أنه « اذا تغير الوضع القائم فى حوض البحر المتوسط فسيصبح احتلال ايطاليا لطرابلس ضرورة ملحة حتى لا يصير البحر المتوسط بحيرة فرنسية » ، الا أنه نصح الحكومة الايطالية بالتريث حتى لا تتعقد الأمور خاصة وأنه اذا حاولت ايطاليا النزول فى طرابلس فان تركيا سوف تعلن الحرب عليها مما سيؤدى حتما الى تدخل روسيا فى شئون تركيا بحجة الدفاع عنها ، هذا الى جانب أن الهجوم على طرابلس من شأنه أن يبعث المسألة الشرقية من جديد رغم أن الوقت لم يحن بعد لذلك .

وطمأن رئيس وزراء بريطانيا الحكومة الايطالية بانها لن تخسر شيئا

مطلقا بانتظارها ما دامت فى النهاية ستحصل على طرابلس ، وكل ما فى الأمر « فإن الصياد الماهر يجب أن يتريث فلا يطلق الرصاص حتى تصبح الفريسة فى متناول مدى مقذوفه » .

وتوصلت الدولتان ـ بريطانيا وايطاليا ـ الى عقد اتفاقية سرية فى ١٢ فبراير سنة ١٨٨٣ اتفق فيها الطرفان على العمل للمحافظة على الوضع القائم فى البحر المتوسط والادرياتيك وايجه والأسود ، والحيلولة دون حدوث تغيير فيها يضر بمصالحهما عن طريق الضم أو الحماية أو اية وسيلة أخرى ، وأنه اذا استجال ذلك فإن الطرفين متفقان على ما يجب عمله فى هذه الشأن ، وستؤيد ايطاليا اعمال بريطانيا وتصرفاتها فى مصر ، وفى مقابل ذلك ستساند بريطانيا الأعمال التى ستقوم بها ايطاليا فى اية ناحية من سواحل شمال أفريقية ولا سيما فى طرابلس الغرب وبرقة ، وذلك فى حالة استيلاء دولة ثالثة على أى جزء من تلك السواحل (وطبعا وجدت هذه الحالة عندما احتلت فرنسا مراكش) .

وعندما حل موعد تجديد الاتفاقية فى سنة ١٩٠٢ أصرت ايطاليا على عدم تجديدها الا اذا اعترفت بريطانيا بحق ايطاليا فى احتلال طرابلس الغرب وبرقة ، فاعترفت بريطانيا بذلك مقابل تعهد ايطاليا بمساعدة بريطانيا فى المسالة المصرية وعدم اتخاذ اية خطوات عدائية نحو الامبراطورية البريطانية.

وفى مارس سنة ١٨٩٩ وقعت انجلترا وفرنسا إتفاقا يحدد نفوذ كل منهما فى شمال أفريقية ، وعندما استفسرت ايطاليا افهمتها بريطانيا بأن « اقليم طرابلس ـ بعد ادخال بعض التعديلات على حدوده من جهة فزان ومصر وبحيرة تشاد ، وهى تعديلات سبق أن وافق عليها السلطان العثمانى ـ قد ترك (اقليم طرابلس) خارج مناطق النفوذ التى اتفقت بشأنها الدولتان (بريطانيا وفرنسا) .

ولعل ايطاليا أيضا كانت لا تجد فى إتجاهها نحو بريطانيا ما يتعارض مع ارتباطها بالمحالفة الثلاثية التى ما زالت قائمة (مع ألمانيا والنمسا) ، لأن بريطانيا لم تكن بعد قد وقفت موقفا عدائيا من ألمانيا ، ولم تكن قد دخلت بعد فى محالفات ضد ألمانيا ؟

يضاف الى ذلك أنه منذ كارثة الحبشة بل وقبل ذلك صارت ايطاليا تعتقد أن الوضع فى البحر المتوسط والنشاط فى أفريقيا يعتمدان على موافقة بريطانيا وتأييدها ورعايتها .

وفى نفس الإتجاه الذى سارت فيه السياسة الايطالية اعلن رئيس وزراء

ايطاليا أنه يسعى لتدعيم التحالف الثلاثى ، وأن الصداقة مع بريطانيا تعتبر تكملة ضرورية لابد منها لهذا التحالف ، وكان ذلك بعد محاولة من جانبه لاضافة بند لمعاهدة التحالف الثلاثى يحرر ايطاليا من الالتزام بمحاربة فرنسا اذا كان ذلك سيؤدى الى التورط فى حرب ضد انجلترا •

وفى الوقت الذى كانت فيه ايطاليا تقترب من بريطانيا كانت تبتعد عن حليفتيها فى التحالف الثلاثى وبخاصة النمسا ، فانه الى جانب الأقاليم الايطالية التى لم تحرر Italia Irredenta والتى كانت فى حوزة النمسا (التيرول ـ استريا ـ تريست) كانت ألبانيا مسرحا رئيسيا للصراع بين الدولتين (ايطاليا والنمسا) ، فالنمسا تقدر أهمية البانيا ، وبخاصة من الناحية الإستراتيجية ، حيث أنها تساعدها فى مواجهة الصرب والجبل الأسود وعملاء روسيا ، بل وايطاليا أيضا ، بالاضافة الى أن ألبانيا تغلق الطريق أمام خروج السلاف الى الادرياتيك ، وتبعد الايطاليين عن الساحل الشرقى لهذا البحر •

وفى الوقت نفسه كانت النمسا ترى ن من يستولى على البانيا سوف يسجنها (النمسا) فى قفص ، واذا حدث ذلك الاستيلاء من جانب ايطاليا فان النمسا لن تعود دولة كبرى ، واعتبرت أن أمن الادرياتيك أمر حيوى بالنسبة لها حيث أنه منفذها البحرى الوحيد للتجارة العالمية •

وفى سنة ١٩٠٧ صرح كونراد رئيس الأركان النمسوى للامبراطور بأن « مستقبلنا سيكون فى البلقان ، ولكن العقبة أمامنا هى ايطاليا التى يجب أن نسوى حسابنا معها أولا » •

أما الايطاليون فانهم ـ من ناحية أخرى ـ كانوا يرون أن البانيا حيوية لدخول البلقان ، وفى الوقت نفسه لاغلاق مضيق أوترانتو عسكريا ، وبذلك يمكن أن تصبح البانيا جبل طارق جديدة ويصبح الادرياتيك بحيرة ايطالية •

وتوثقت العلاقات البريطانية الايطالية باطراد فى أعقاب تقسيم مناطق النفوذ فى شرق افريقية سنة ١٩٠٤ ، ففى سنة ١٩٠٧ التقى فكتور عمانويل الثالث بملك بريطانيا ادوارد السابع ، بعد أن كانت ايطاليا قبل ذلك بعام (أى فى سنة ١٩٠٦) قد تخلت عن مساندة ألمانيا فى مؤتمر الجزيرة ، وفى سنة ١٩٠٩ رحبت ايطاليا بقيصر روسيا عند زيارته لراكونيشى حيث تم الاتفاق ليس فقط على أن تؤيد كل منهما الأخرى فى مشروعاتها ومخططاتها فى الدولة العثمانية ، بل أيضا فى الدفاع عن المبدأ القومى فى البلقان ضد تسلط حكومة فيينا •

وفى الوقت نفسه تابعت إيطاليا مساعيها لكسب تأييد الدول الأوربية

لأطماعها فى طرابلس بمحاولة كسب دول كل من المعسكرين الأوربيين : وعلى هذا الأسـاس فانه بعد انضمام ايطاليا للتحالف الثلاثى نص فى الاتفـاقية على أنه فى حالة حصول النمسا على مكاسب فى البلقان فمن حق ايطاليا الحصول على مغانم مقـابل ذلك (ودون تحديد) ٠

اما بالنسبة لطرابلس الغـرب بالتحديد فقد أضافت ايطاليا فقرات جديدة الى معاهدة التحالف الثـلاثى عندما تجـددت سنة ١٨٩١ حيث نص على أن « تتعاون الدول الحليفة على الاحتفاظ بالوضع القائم فى الشمال الأفريقى ، وانه اذا وجدت الدولتان (ايطاليا والمانيا) استحالة الاحتفـاظ بالوضع القـائم فان ألمانيا تتعهـد بمساندة ايطاليا فى أى عمل ايجابى تقوم به الأخيرة للحصول على امتيازات ويكون هدف هذا العمل من جانب ايطاليا هو المحافظة على التوازن الدولى ، كما نص الاتفاق على أنه « فى ظروف كهذه يتحتم على الدولتين معا ــ المـانيا و ايطاليا ــ أن تحاولا الاتفاق مع بريطانيا » ٠

وعندما تجدد التحالف الثلاثى سنة ١٩٠٢ ظل هذا البنـد كما كان سـنة ١٨٩١ ٠ وفى الوقت نفسه حصلت ايطاليا من النمسا على تصريح بأن النمسا مع أنها تريد المحافظة على الوضع القـائم فى الأقطار الشرقية ــ الا أنهـا ليس لها مصالح معينة تريد الحصول عليها فى طرابلس الغرب وبرقة ، ولذلك تقررت النمسا عدم الوقوف فى وجه المصـالح الايطالية اذا ما اضطرت المملكة الايطالية الى اتخاذ تدابير حازمة عند تغيير حالة البلدان الشرقية ، واعتبرت ايطاليا هذا التصريح بمثابة وعـد ٠

كما حصل جيوليتى رئيس الوزارة الايطالية ــ خـلال رئاسته الثانيـة (١٩٠٣ ــ ١٩٠٥) ــ على تعهـد من ألمانيا بعـدم التدخل فى حالة قيـام ايطاليا بغزو طرابلس ، كما استطاع جيوليتى خلال رئاسته الثالثة (١٩٠٦ ــ ١٩٠٩) الحصول على اعتراف من النمسا بموافقتها على احتلال ايطاليا لطرابلس بشرط ألا تمتد الحرب الايطالية الى تركيا و البلقان ٠

فرنســـا :

وفى الوقت نفسه بذلت ايطاليا مسـاع مع فرنسا موازية لمسـاعيها مع انجلترا بعـد سياسة المجافاة التى كانت تتبعها ايطاليا نحو فرنســا عقب احتلال الأخيرة لتونس ، ذلك انه لمـا كانت فرنسا هى منافسة ايطاليا الكبرى فى الشمال الافريقى ، فقد أدرك الايطاليون بأنهم لا يستطيعون تحقيق مآربهم اذا ظلوا على خلاف معها ، ولم تلبث أن تضافرت عوامل عدة لاحـلال الوئام محـل الخصـام والتقريب وجهـات النظـر بين الدولتين فـان الـرأى العـام الايطالـى كـان شـديد الميـل الـى التقـارب والتفاهـم مـع

الدولــة الديمقراطيـــة اللاتينيـــــة الكاثوليكيـــة (أى فرنســا) ، ويتغيــر من المحالفة مع المانيا والنمسا ، بالاضافة الى أن المحالفة الثلاثية والنمسا عضو فيه لا يمكن أن تحقق مطالب الايطاليين القــومية في الأراضي الايطالية التي لم تحرر ، ولذلك عملت فرنسا على تسـوية خلافاتها مع ايطاليا تدريجيا .

وفي ٢٨ سبتمبر ١٨٩٦ اعترفت ايطاليا باحتلال فرنسا لتونس وتضمنت وثيقــة الاعتراف امتيازات قضائية واجتماعية للجالية الايطالية في تونس ، ولم يكد يمضي عامان على هزيمة عدوة حتى كانت ايطاليا قد أوقفت حروبهــا الجمركية مع فرنسا سنة ١٨٩٨ .

وفي سنة ١٩٠٠ عقدت اتفاقية سرية اعترف فيها الايطاليون بحقـــوق فرنسا في مراكش مقابل تاييـــد فرنسا للمخططات الايطالية في ليبيا .

وفي ديسمبر سنة ١٩٠١ عقد الطرفان اتفاقا تناول شئون البحر المتوسط ، وبمقتضى هذا الاتفـــاق أصبحت برقة وطرابلس منطقة نفوذ ايطالية ، وفي مقابل ذلك وافقت ايطاليا على اطلاق يد فرنسا في مراكش بعد ان كانت ايطاليا في المدة الاخيرة تظهر شيئا من النشاط الضـــار بمصالح فرنسا في مراكش ، ولم يلبث هذا الاتفاق أن تعزز في بداية سنة ١٩٠٢ عندما أعلن السفير الفرنسي في روما أن قيام صراع بين الأمتين اللاتينيتين قد صار مستحيلا . وفي نفس العـام تبادل الطرفان تعهدات سرية بانه اذا ما صارت إحدى الدولتين هدفا لعدوان مباشر فان الأخرى تلتزم الحياد الدقيق .

كما نصت الاتفاقية على أن الحقوق التي اعترفت بها فرنسا لايطاليـــا في طرابلس تشمل فزان أيضا ، كما اتفق على ضرورة سرية هذا الاتفـــاق حتى لا يثير دسائس بعض الدول ولا سيما المانيـــا ، وهكذا زالت اسباب التوتــر بين الدولتين ، واطمأنت ايطاليا على أطماعها في طرابلس من ناحيـــة فرنســـا ، ومن ناحية أخرى فان هذا التفـــاهم أنهى في الواقع دور ايطاليا في التحــــالف الثــلاثي .

وتوثقت أواصر الصداقة بين الدولتين (ايطاليا وفرنســـا) في الأعوام التالية ، وتوج هذا التقـــارب بزيارة ملك ايطـــاليا لباريس وزيارة الرئيس الفرنسي لوبيه لروما سنة ١٩٠٤ ، وبذلك صار من استطاعة ايطاليا أن توجه كل اهتمامها الى القطر الليبي وهي مطمئنة ، وعندما وقف السنيور تيتـــوني في مجلس الشيـــوخ الايطالي لسنة ١٩٠٤ معلنا أن الدول قد اعترفت بالوضع الممتـــاز الذي تتمتع بـــه ايطاليا في طرابلس كان محقـــا فيما قـــال ، اذ لـــم تعترض على تصريحه دولة من الدول .

التفاهم مع روسيا (التفاهم الايطالى ـ الروسى) : ـ

بعد أن تفاهمت ايطاليا مع كل من المانيا والنمسا وبريطانيا وفرنسا بشأن اطماعها فى طرابلس اتجهت بمساعيها صوب روسيا ولذلك فان جيوليتى فى أثناء رئاسته الثالثة للوزارة الايطالية انتهز فرصة زيارة قيصر روسيا نيقولا الثانى لايطاليا سنة ١٩٠٧ وجعل موضوع الأطماع الايطالية فى طرابلس أحد الموضوعات التى دارت حولها المداولات بين القيصر وملك ايطاليا فى راكونيتشى سنة ١٩٠٩ ، وفى المفاوضات الرسمية بين جيوليتى ووزير خارجيته تيتونى من ناحية ووزير خارجية روسيا من ناحية أخرى ، وقد تم التوصل الى اتفاق بين الدولتين نص على أن تتعهد روسيا بأن تنظر بعين العطف الى مصالح ايطاليا فى طرابلس مقابل ان تتعهد ايطاليا بالنظر بعين العطف الى مصالح روسيا فى المضايق ، وأن يعمل الطرفان على حل مسائل البلقان وفق المبدأ القومى ضد تسلط حكومة فينا .

ويلاحظ على سياسة ايطاليا الاوربية انها كانت تقوم على أساس تبادل المصالح الاستعمارية بينها وبين الدول الاوربية وخصوصا دول الوفاق (طرابلس مقابل مصر لبريطانيا ومراكش لفرنسا والمضايق لروسيا) ، ولكنها حصلت على تأييد المانيا والنمسا دون تعويض معين بل فى نطاق اتفاق عام ويشمل العلاقات الخارجية الأساسية .

كما يلاحظ أيضا أن ايطاليا فى سياستها الأوربية حاولت الجمع بين المتناقضات ، ففى سبيل الحصول على تأييد الدول الاوربية الكبرى لأطماعها فى تونس تفاهمت مع كل من المانيا والنمسا من ناحية ، ومع فرنسا وبريطانيا وروسيا من ناحية أخرى ، مع ما كان بين هذه الدول من أحقاد وخلافات سياسة أساسية على ضوء التكتلات الأوربية ، أى أنه يمكن القول أن ايطاليا نجحت فى الحصول على تأييد كل من الكتلتين الأوربيتين المتنافستين المتصارعتين : التحالف والوفاق .

ثانيا ـ التغلغل الايطالى فى ليبيا :

بعد أن توصلت ايطاليا الى الحصول على اعتراف الدول الأوربية الكبرى بأطماعها فى طرابلس وبرقة وتأييدها لها رات ايطاليا أن عليها أن تدعم مركزها وتغلغلهاف ى الولاية تمهيدا للاستحواذ عليها ، وحتى تخلق لنفسها حقوقا فى الولاية حتى يصير الاستيلاء عليها أمرا سهلا .

ولا نريد أن ندخل فى تفاصيل هذا التغلغل حتى نركز على الموضوع الرئيسى ولكننا نلاحظ أن التغلغل الايطالى فى ليبيا فى الفترة السابقة على

(م ـ ٣ الرسالة)

الغـــزو اتخذ مظاهر شتى : سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، فقـد اهتمت القنصلية الايطالية بالبحث عن عملاء تربطهم بها وبالدولة الايطالية عن طريق منحهم الجنسيةالايطالية ووضعهم تحت الحمايةالايطالية ليستفيدوا منالامتيازات التى كان يتمتع بها الأجانب وهذه ظاهرة متفشية فى ولايات الدولة العثمانية فى تلك الفترة وكان القناصـل يرون فى هؤلاء وســيلة لتثبيت نفوذ الدولة التى دخلوا تحت حمايتها ٠

وعـــلاوة على ذلك حاولت ايطـــاليا شراء بعض الاراضى ذات الموقـــع الاستراتيجى الهـام فى الولاية وذلك عن طريق القنصلية الايطالية بالتعـــاون مع شركـة وابورات قومبانية ايطاليـا ٠

كما نشط التغلغل الايطالى فى المجـال الثقافى بالعمل على نشر اللغـــة والثقافة الايطالية فى ليبيـــا ، وهو أسلوب تقليدى للتغلغـــل الاســتعمارى الأوربى عن طريق التعليم والتنصـير وبعض الأعمال الخيرية فانشأت ايطـاليا عـددا من المدارس الايطالية فى المدن الرئيسية ومدرسة ابتدائية للاناث ومدرسة عليا أسمتها مدرسة العـلوم والتجـارة ومدرسـة ليلية لتعليم الكبار ، وكانت المناهج فى هذه المدارس تدرس بالايطالية وتنفق عليها الحكومة الايطالية ، ورغم معارضـــة بعض الولاة مثل راسم باشـا لهذا النشاط فقد تعلم فى هذه المدارس كثير من الفقـراء واليهود وصاروا تجارا وربطوا معاملاتهم بايطاليا ٠ هــذا بالاضافـة الى انشاء بعض المستشفيات وملاجىء الايتـام فى أهـم مـدن الولاية وبخاصـــة طرابلس وبنغازى الى جانب نشـاط البعثات التنصيرية التى كان نشاطها يسير موازيا لنشاط المدارس والمستشفيات والملاجىء ٠

وحين تولى جيوليتى الوزارة لأول مرة سنة ١٨٩٢ ثم للمرة الثـــانية ١٩٠٣ ـ ١٩٠٥ اهتم بالتغلغل الايطالى فى طرابلس عن طريق ايفـــاد بعض الخبراء العسكريين والسياسيين تحت أسماء مستعارة ، وكذلك بعض الجواسيس وكان يرأس هؤلاء وأولئك القنصـــل Gallo وذلك لموافاة الحكومة الايطالية بتقـــارير مفصلة عن أوضاع البـلاد ومحاولة ربط بعض أعيان البلاد بايطاليا والسعى بالوقيعة بين المواطنين وحكومة الولاية وتوسيع شقة الخـــلاف بينهما باستغلال الخصومات والخلافات السياسية وتذمـر الزعماء المحليين من السلطات التركية وذلك لتهيئة أذهان الأهالى لتقبل عملية الغزو المنتظر ٠

ومن أجـل استثمار رؤوس الأموال الايطالية فى ليبيا حاولت ايطاليـــا وضع البـلاد تحت سيطرتها الاقتصادية وذلك عن طريق افتتاح فـرع لبنـــك روما أولا لكى يكون عونا للشركات الايطالية ورغم معارضة والى طرابلس فان النفـــوذ الايطالى فى الآســـتانة نجح فى فرض الأمر على الوالى سنة ١٩٠٥،

حين تم تأسيس فرع للبنك فى طرابلس ، وقد ذكر الزاوى أن البابا اكتتب بالثلثين من مجموع رأس ماله ، وقد تأسس هذا الفرع بدعوى الخوف من القلاقل السياسية ، واتخذ الايطاليون من البنك مركزا للدعاية واسندوا ادارته الى براشيانى وهو من أشد المتعصبين ضد العرب وتشعب نشاط بنك روما فكان السبيل لكسب العملاء ومدهم بما يلزم من مال لتنفيذ مخططات الاستعمار الايطالى • وباسم هذا البنك كان مبعوثو ايطاليا يمارسون نشاطهم فى كل أنحاء البلاد •

ولذلك فانه عقب انشاء البنك وبسبب تخاذل حكومة الباب العالى فى الآستانة ، وتآمر بعض ذوى النفوذ فيها مع الايطاليين مثل حقى بك الذى تمكن الايطاليون من التأثير عليه فى أثناء توليه منصب السفير العثمانى فى روما لكى يتوسط لدى حكومة الباب العالى من أجل التساهل مع بنك روما والسماح بشراء الأراضى فى طرابلس ان طلبت حكومة الآستانة من حكومة الولاية (رجب باشا) أن تقبل بيع الأراضى الفراغ باسم المدير العام لبنك روما ، وعمل رجب باشا من ناحية أخرى على تشجيع الاهالى على الشراء بعضهم من بعض كما حاول أن تشترى الدولة الأراضى بدلا من البنك بحيث لم يبق أمام البنك الا أملاك الأجانب ، كما اقترح الوالى اقراض المواطنين عن طريق البنك الزراعى العثمانى الذى افتتح فرعا له فى طرابلس للحيلولة دون تسرب أراضى الأهالى للايطاليين ، ولا شك أن هذا الموقف الحازم من رجب باشا كان وراء عزله من الولاية •

كما افتتح فى مارس ١٩١٠ فرع لبنك روما فى بنغازى وأقيم احتفال بهذه المناسبة دعى اليه المتصرف وعدد من الموظفين الترك الى جانب موظفى بنك روما وتلى فى الاجتماع قرار الحكومة العثمانية ثم ألقيت خطبة بالتركية والايطالية تتضمن امتنان الجالية الايطالية وتأكيد الود الذى تتسم به العلاقات التركية الايطالية ، ولو أن الاهلين كانوا يعبرون بشدة عن معارضتهم لازدياد النفوذ الايطالى (الذى يهدد بالخطر استمرار الحكم الاسلامى فى هذه الولاية) • (١)

وتزايد نشاط ايطاليا التجارى فى الولاية بعد افتتاح بنك روما وسعت السياسة الايطالية للقيام بانشاء بعض المرافق الهامة ، وقد احتج الأهالى على ذلك ، وقدموا عريضة للوالى أعربوا فيها عن تخوفهم من الانباء التى أذيعت بأن الدولة منحت الايطاليين امتيازات لتمديد السكك الحديدية وانشاء ميناء طرابلس ، وطالبت العريضة بتأسيس شركات أهلية برأسمال محلى

---

(١) وثيقة رقم ٣ بتاريخ ١٢ مارس ١٩١٠ من الكولونيل جونز الى سير ادوار جراى •

لتنفيذ المشاريع الهامة ، كما حذرت العريضة من استخدام الرأسمال الايطالي على الخصوص والبنوك الإيطالية التى تقرض فقراء الناس بشروط مغرية لكى تستولى بالتدريج على أراضيهم الزراعية بقصد توسيع الممتلكات الايطالية فى الولاية .

والمتتبع لاخبار الولاية يجد أن الشعب لم يسكت بل كان يتحرك فى مواجهة أمرين : الخطر الأوربى المتزايد والواقع الفاسد الذى كانت الدولة العثمانية تعانى منه ، وظهرت حركات شعبية مثل حركة سيف النصر فى فزان وحركة غوقة فى الجبل الغربى ، الى جانب الحركة السنوسية فى برقة ، وكان احتلال فرنسا لتونس سنة ١٨٨١ وانجلترا لمصر سنة ١٨٨٢ دافعا قويا للحركة الشعبية بعد أن صار الخطر يحدق بهم من الشرق والغرب ، ووصل الأمر الى حد تكوين ما يمكن اعتباره جمعية سرية جعلت لها قانونا أطلقوا عليه تسترا (فوائد ونصائح خيرية) ، ومن أهدافها مراقبة الخطر الأوربى واصلاح أوضاع الولاية بتعميم التعليم ورفع مستواه ، والغيرة على الوطن والدين والجنس واللغة ، وكان للجمعية جناح عسكرى له نظامه الخاص (نظامنا مه عسكرية) ، وكان أعضاء الجمعية يتصلون بالناس ويتحدثون معهم فى المواضيع التى تهمهم مثل الخطر الأوربى وأزمة الاسلام والاصلاح .

وقد اقلق نشاط الجمعية السلطة العثمانية والقناصل الاجانب فسعوا الى تصفيته فقبض على أعضائها ووجهت الى زعمائها تهم (خيانة الدولة العلية بالقاء الفساد والاختلال الموحيان لسلب راحة العموم وتسهيل أسباب دخول الأجانب فى هذه الولاية التى هى من الممالك الشاهانية المحروسة) .

وصدرت عليهم الأحكام بالنفى أو السجن ، كما كان الأهالى يعبرون عن مشاعرهم وشكواهم ومطالبهم فى برقيات وعرائض يبعثون بها الى سلطات الآستانة .

وازداد اشتداد الخطر الأوربى والايطالى بالذات على طرابلس فى السنوات الثلاث الأخيرة من الحكم العثمانى ، واهتم الأهالى كثيرا بذلك فارسل عدد كبير من أعيان طرابلس برقية الى الآستانة ، يعلنون فيها عزمهم على الدفاع عن بلدهم الى آخر قطرة من دمائهم حتى ولو تقاعست الحكومة ، ويطالبون بتحصين البلاد والوقوف فى وجه المخططات الاستعمارية ، وذكر الأعيان فى برقيتهم هذه أن الشعب الطرابلسى كان قد عقد العزم على اعلان الحرب الاقتصادية على الايطاليين بمقاطعة تجارتهم وتجارهم الا أنهم فضلوا التزام الصبر حتى لا يشوشوا على الحكومة أمرها وعلى رجال السياسة مداولاتهم .

ويذكر الزاوى ان الصدر الاعظم رد على هذه البرقية بان (الحكومة العثمانية ستدافع عن طرابلس ما استطاعت الدفاع وان واليها بكر سامى بك سيسافر اليها عما قريب .

وقد أشرنا الى العريضة الموجهة الى والى طرابلس من الأهالى معبرين عن مخاوفهم من منح امتيازى انشاء ميناء طرابلس وتمديد السكك الحديدية فى الدواخل لشركة ايطالية وما اشيع من ان سفير الدولة العثمانية فى روما أيدها .

ولم يقتصر النشاط الوطنى ضد الأطماع الايطالية وفساد الادارة العثمانية على طرابلس وبنغازى بل كان هناك نشاط مماثل فى الخمس فقد أخذ متصرفها (رشيد) ينبه الاذهان الى حقيقة نوايا الطليان ويحذر الاهالى من نشاط بنك روما الذى يهدف الى ايقاع الاهالى فى شراك الديون ليتخذ الطليان من ذلك ذريعة للتدخل بدعوى المحافظة على مصالحهم المالية فى البلاد .

وعندما حضرت الى القطر الليبى بعثة سفورزا ووصلت فى تنقيبها عن الفوسفات ودراسة الآثار القديمة الى مدينة الخمس اشتدت حركة المقاومة بزعامة بشير السعداوى كبير كتاب مجلس الادارة وانعقد مؤتمر من الزعماء بدعوة من المتصرف واتخذ المؤتمر قرارات منها منع كل معاملة مع بنك روما ومنع بيع الأراضى لذلك البنك أو الاقتراض منه كما طلب المؤتمر بان يأتى بريد الآستانة على ظهر سفينة عثمانية بدلا من السفينة الايطالية التى كانت تحضره عادة ، ثم ابرق المجتمعون بهذه القرارات الى ابراهيم باشا والى طرابلس والى الصحف الأوربية مثل الطان الفرنسية والتايمز الانجليزية ، كما طلب بشير السعداوى ، وزملاؤه فى المؤتمر بتجنيد الطرابلسيين بكل سرعة واستبقاء الأسلحة بايدى الأهالى ، وكان نتيجة هذا النشاط من جانب الزعماء الطرابلسيين ان صارت ايطاليا تخشى انتشار حركة المقاومة ضدها ما جعلها تعجل بالاعتداء على طرابلس قبل ان تستكمل البلاد استقرارها .

ولما عزل ابراهيم باشا عن الولاية ولم تعين الحكومة بدله احتج نواب طرابلس فى الآستانة على استمرار هذا الوضع الغريب فى الوقت الذى يستعد فيه العدو للهجوم على البلاد ، فعينت الدولة بكر سامى واليا عليها فى رمضان سنة ١٣٢٩ هـ (سبتمبر ١٩١١) وصدر له أمر بالسفر ولكن الاحتلال وقع قبل ان يصل بكر سامى الى طرابلس .

وظهر من زعماء الحركة الشعبية فى طرابلس الشيخ سليمان البارونى

الذى عانى - بسبب آرائه فى سياسة الدولة العثمانية - من الاضطهاد والسجن والنفى فى العهد الحميدى ، وعهد الاتحاديين (الدستورى) عاد الى البلاد وتقدم لانتخابات مجلس المبعوثان وفاز على منافسيه لشعبيته وثقة الاهالى فيه ، وامضى فى عضوية المجلس ثلاث سنوات قبل الغزو الايطالى ، كانت حافلة بالنشاط والاهتمام بشئون الولاية التى يمثلها ٠

ولعله بتأثير هذا الالحاح الوطنى ان السلطات العثمانية بدأت فى اتخاذ بعض الاجراءات - ولو انها متأخرة - من أجل تدعيم الولاية وتقويتها ، منها ما اشار اليه الكولونيل جونز القنصل البريطانى فى بنغازى الى حكومته من ان أحد ضباط الاركان العثمانيين (جمال بك) وصل الى بنغازى بتكليف من رئيس أركان القوات فى طرابلس ، وذلك فى مهمة تفتيشية واختبار حالة القوات العسكرية فى الاقاليم ورفع تقرير عنها ، وعلم القنصل البريطانى ان الضابط العثمانى سيتقدم الى درنة وطبرق والسلوم بعد بنغازى لنفس السبب ، كما أشار القنصل البريطانى الى ان الضابط العثمانى لم يكلف بهذه المهمة الفنية فحسب بل انه مكلف أيضا بالاجتماع بمتصرف بنغازى ، والتباحث معه حول التعديل المقترح على وضع الحكومة فى هذا الاقليم ويقوم هذا التعديل على رفع المتصرفية الى ولاية (من متصرفيتين تكون الأخرى فى درنة) (١) ٠

(٢) رسالة رقم ٤ من الكولونيل جونز (بنغازى) الى سير ادوار جراى بتاريخ ١٢ يونيو ١٩١١ ٠

الفصـــل الرابع

الغـــزو الايطـالى

الحملة الاعلاميــة :

قبـل أن تسير ايطاليـا ضـد القطر الليبى حملتها العسكرية شنت عليه وعلى الدولة العثمانية صاحبة السيطرة عليه حملة اعلامية تمهيــدا للغـــزو ، ولخلق الجـو المناسب لهذا الغـزو على الأصعدة الليبية والعثمانية والايطاليـة والدولية أى تهيئة الرأى العام ٠

وقـد قـام جيوليتى رئيس الوزارة الايطالية بتعبئة الصحافة لهذا الغرض باظهار الاهتمام بشـئون الولاية عن طريق نشر المقـالات والأبحاث عنهـــا ، واخبار الجالية الايطالية وانشطتها ، مع القيـام بحملة للتشهير بالشعب العربى فى ليبيـــا وبالحـكم العثمانى فيها ، وحفلت هـــذه الحملة بدعايات كاذبة ، فادعوا أن الولاية بلا قانون وليس فيهـا سلطة حاكمة ، وأن الأهالى يقتـــلون الأجانب (بما فيهم الايطاليون) وأنهم متأخرون متخلفون ٠ واستغل جيوليتـى وجـود بقايا لتجـارة الرقيق فوجه حملة ضــــد ليبيا التى « لا تزال تمـــارس تجارة الرقيق فى بنغازى ومن المستحيل السكوت على وجود مثل هذه الوصمة على أبـواب أوربـا » ٠

ونسجت القصص الخيالية عن الرقيق والجزيرة واتهمت الصحف الايطالية العـرب بأنهم يمنعون المسيحيين من ممارسة شعائرهم الدينية رغم اعتراف الرحالة الأجانب بالتسامح الذى يلقاه المسيحيون فى كنف الأهالى المسلمين ، بـل ووصلت الحملات الاعلامية الى درجة الحديث عن الخطـر الذى يهدد مصالح ايطاليا والجالية الايطالية فى ليبيا ٠

وقد أتت هذه الحملات الاعلامية ثمارها فى التأثير على الرأى العـــام الايطالـــى حتى أثـارت بينهـــم مشــاعر مســعورة محمومـــة مفعمــة بالروح الصليبية الاستعمارية ، حتى يتعلل الساسة الايطاليون بالضغط الشعبى الايطالى ، فهذا السكرتير العـام للوزارة الايطالية يبلغ سفير بريطانيا فى روما بأن الضغط الشعبى تأييـدا للعمـــل الايطالى فى طرابلس الغـرب ســيكون من الصعب جدا على الحكومة الايطالية مقاومته ٠ (١)

وازدادت الحـــرب الاعلامية واشتد سـعيرها عنـــدما عاد جيوليتى الى

---

(١) الوثيقــة رقم ٥٨ (سرى) فى ١٦ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من رود (رومـا) الى جراى -

رئاسة الوزارة الايطالية فى مارس (آذار) ١٩١١ حتى أن سير رنل رود سفير بريطانيا فى روما كتب الى حكومته بأن « الصحافة فى ايطاليا مشغولة هذه الأيام بنشر كل أنواع الشائعات الخيالية المتصلة بطرابلس ، فقد نشرت أخبارا عن مفاوضات قيل أنها بدأت مع الحكومة التركية من أجل انشاء محمية ايطالية فى طرابلس يدفع عنها مبلغ معين من المال ، ومن أجل اثارة حرب أعصاب وصفت صحيفة ايطالية أخرى تشكيل القوة العسكرية التى سوف ترسل لتوجيه الضربة الى طرابلس ، وأخذت الصحف الايطالية تنشر على الرأى العام أنباء التحركات العسكرية البرية والبحرية واستدعاء الضباط » • (٢)

كما نشرت الصحف الايطالية أنباء عن استعدادات وتحركات بحرية وبرية ، « فمثلا قيل أن مصانع نابولى طلب منها تقديم تقدير لأثمان بعض المواد الحربية والسرعة التى تستطيع تقديمها بها ، وان السفن الكبرى تشحن بالمؤن وان سفنا حربية معينة صدرت لها الأوامر باتجاه صوب الموانى الايطالية الجنوبية ، وان بعض الوحدات قد اختيرت خصيصا للحملة وانها سوف تتجمع بين مسينا وبالرمو » • (٣)

ولو أن وكالة الأنباء الايطالية أعلنت أن كل الشائعات حول الاستعدادات العسكرية من أجل طرابلس لا أساس لها •

دوافع الحملة الايطالية وأسبابها :

ان استدعاء الحكومة العثمانية لابراهيم باشا والى طرابلس لاحلال وال آخر مكانه ، ورحيل بيستالوتزا Pestalozza قنصل ايطاليا العام فى أجازة مقصودة أو موعز بها قد دعا بعض الدبلوماسيين الى الاعتقاد بأن هذا الاجراء سوف يؤدى الى تحسن ملموس بين الجالية الايطالية فى طرابلس وبين الادارة العثمانية وبالتالى يخف حدة التوتر بين الدولة العثمانية وايطاليا على أساس أنه طالما كان هذان الموظفان (الوالى العثمانى والقنصل الايطالى) باقيين فى منصبيهما فلن تتوقف حوادث الاحتكاك المثيرة للغضب التى أدت الى سوء العلاقات بين ايطاليا والدولة العثمانية •

ويذكر السفير البريطانى فى روما أن كل طرف من الطرفين كان يرى أن أخذه بالمبادرة فى استدعاء مندوبه أمر لا يتفق مع الكرامة ، وجاءت زناة زوجة

---

(٢) الوثيقتان ١٤٢ فى ١٤ سبتمبر (ايلول) ، ١٥١ فى ٢٢ سبتمبر من رود الى جراى •

(٣) الوثيقة ١٤٩ فى ١٩ سبتمبر ١٩١١ من رود الى جراى •

القنصل الايطالى مبررا لعودته الى ايطاليا « ومن المحتمل أن الحكومة العثمانية أبلغت بأنه لن يعود الى طرابلس مما جعل من السهل على هذه الحكومة أن تستدعى واليها » (٤) .

ولكن استدعاء الوالى العثمانى ورحيل القنصل الايطالى لم يؤد الى تحسين العلاقات بين الطرفين لأن التوتر كان أعمق من ذلك بكثير ، ويعترف سفير بريطانيا فى روما بأنه رغم تقديره للصعوبات التى كانت المشروعات الايطالية فى طرابلس تعانى منها فانه لا يمكن القول بأن هذه المتاعب كانت كافية لتبرير الاستيلاء بالقوة على الولاية ، بل كان السفير البريطانى يرى أن الحجج التى قدمها وزير الخارجية الايطالية الماركيز دى سان جوليانو لتبرير الانذار الايطالى واعلان الحرب على الدولة العثمانية كانت حججا غير مقنعة . (٥)

وفى الحقيقة لقد كانت الدوافع عميقة الجذور وترجع الى ايطاليا ذاتها أكثر مما ترجع الى الدولة العثمانية ، وهذه الدوافع تتصل بمخططات ايطاليا الاستعمارية منذ تمت وحدتها ورغبتها فى الحصول على مستعمرات كمنفذ لهجرة السكان المتزايدين ، ومصدر للحاصلات والمواد الخام ، وسوق للسلع الايطالية ، وميدان لاستثمار رءوس الأموال الايطالية (وقد سبق الحديث عن كل ذلك) . ومن هنا كان حرص ايطاليا على امتلاك القطر الليبى وقد ورد الدافع الحقيقى لاقدامها على هذه الخطوة بالغة الخطورة فى ذلك الوقت ضمن الحجج التى ذكرها وزير الخارجية الايطالية فى محادثة له مع سفير بريطانيا فى روما فى يوليو (تموز) ١٩١١ وضمنها فى رسالته السرية بتاريخ ٣١ يوليو (تموز) الى وزير الخارجية البريطانية ، « ويكمن هذا الدافع فى التوسع والامتداد الكبير الذى يوشك أن يحدث فى امبراطورية فرنسا فى شمال أفريقية وكيف أن هذا من شأنه أن يقلب ميزان القوى فى البحر المتوسط » ، واعتبر السفير البريطانى أن هذا الامر كان له وزنه لدى رئيس الوزارة الايطالية .

وقد اعترف جيوليتى رئيس الوزارة الايطالية للقائم بالأعمال الفرنسى فى روما فى يوليو (تموز) ١٩١١ وضمنها الأخير فى رسالته السرية بتاريخ ٣١ يوليو تحت حمايتها فانه لن يستطيع أن يتمالك نفسه ، وستكون ايطاليا مضطرة للتحرك والتصرف (فى ليبيا) . (٦)

ولم يقتصر ادراك هذا الدافع على سفير بريطانيا فى روما بل أدركه

---

(٤) الوثيقة ١٢٥ (سرى) فى ١٧ أغسطس ١٩١١ من رود (روما) الى جراى .

(٥) الوثيقة ١٦٧ (سرى للغاية) فى أول أكتوبر ١٩١١ من رود الى جراى .

(٦) الوثيقة ٦٥ فى ٢٧ سبتمبر ١٩١١ من رود الى جراى .

أيضا لوثــر سفير بريطانيا فى الآستانة الذى أدرك أن ايطاليا ترى أنه فى حالة حل المسألة المراكشية بين ألمانيا وفرنسا فان على ايطاليا أن تحصل على (تعويض) مقابل تنازلها عن الاهتمام بمراكش ، مما دفــع بالصــدر الأعظـم الى التعبير للسفير البريطانى عن دهشته لانه لا يرى بأى حق تحصل ايطاليا على مكافأة عن الاضرار التى نزلت بمصالحها (الوهمية والخيالية) فى مراكش على حســاب الدولة العثمانية (٧) ٠

أما وقد رأت ايطاليا أن الوقت المناسب قد حان ، فقــد قررت أن تعجـل بالاستيلاء على القطر الليبى ، فقد كان جيوليتى رئيس الوزارة الايطالية يعتقد أن « النمســا أو دولة أخرى (ولا شك أنه كان يقصد المــانيا) تسعى لتنميــة مصالحها التجارية فى طرابلس وســوف تدخـل هناك اذا امتنعت ايطاليــا أو تأخرت عن فعل ذلك » ٠ فقد كان رئيس الوزارة الايطالية يعتقــد أنه اذا لم تستغل ايطاليا ادعاءاتها فى طرابلس الغــرب فان دولة أخرى سوف تسبقها ، ولمــا كانت طرابلس هى الاقليم الوحيـــد الباقى من ساحل أفريقية الشمالى دون الخضــوع لنفوذ أية دولة غربية ، فقد ساورته المخاوف من أن الدولة التى تدخلت أكثر من غيرها لعرقلة النفوذ الفرنسى (وهى ألمانيا) « قد تكون لهـــا مخططات فى منطقة اذا لم تكن مرغوبة فى ذاتها كممتلكات الا أنهـــا توفــر وسيلة فعــالة لخلق المتاعب فى المناطق المجاورة لها فى أفريقية » ، (يقصـــد مضايقة انجلترا فى مصر وفرنسا فى تونس والجزائر) ٠ (٨)

وبالاضافة الى ذلك كانت الظروف الدولية مشجعة ، والفرصة الســـانحة قد لا تتكرر ، فموقف فرنسا الحيادى مضمون ومؤكد ، وامبراطورية النمســا والمجر تمتد بصرهــا الى الشاطىء الشرقى للادرياتيك وعليه تركز اهتمامها ، وهى تميل الى رؤية اهتمام ايطاليا ونشاطها يتجهان الى مكان آخــر ، وألمانيــا التى ستحصل على مكاسب فى أفريقية (مقابل مراكش) لن تستطيع الاعتراض ، وأحوال طرابلس ذاتها مواتية حيث من الصعب امداد الحامية العثمانية الموجودة بهــا بالمؤن والأسلحة لمساعدتها على مقاومة أى غزو ، والدولة العثمانية فى شغل بمشاكلها فى أقاليم أخرى من امبراطوريتها ٠

واذا كانت الدوائر السياسية فى ايطاليا تعتبر التوسع بوجه عام وفى القطر الليبى بوجه خاص عملا وطنيا تدعو اليه العاطفة الوطنية والمصالح الوطنيـــة لأنه يحقق أهدافا قومية ويجعل الشعب الايطالى يشعر بالرضا لاحســـاسه بأن بلاده تتقدم على عمل من شـــأنه ارضاء نعرتهم القومية ، فان الدوائر الدينية فى ايطاليا كانت تؤيد الوطنيين خصوصـــا وأن نفوذ الحزب الدينى كان قويــا

(٧) الوثيقــة ٦٣١ فى ١٢ سبتمبر ١٩١١ من لوثـر (الآستانة) الى جراى ٠

(٨) الوثيقــة ١٦٧ (سرى للغاية) فى أول أكتوبر ١٩١١ من رود (روما) الى جراى ٠

فى صقلية وجنوب ايطالية وهى المناطق التى تعتبر القطر الليبى سوقا لمنتجاتها ومنفذا للفائض من سكانها ٠ (٩)

ومن الأدلة الدامغة على دور الدوائر الدينية فى ايطاليا فى التحريض على غزو القطر الليبى ما جاء فى رسالة السفير البريطانى فى روما بعد نزول القوات الايطالية الغازية الى البر من أن « الحزب الكاثوليكى فى ايطاليا من أشد المؤيدين لضم طرابلس ، ويتضح هذا من أحاديث الأعضاء البارزين من رجال الدين الذين لا يتركون فرصة تمر فى الوقت الحاضر الا ويظهرون أنفسهم بمظهر الايطاليين الوطنيين الغيورين ، ومعظم مالية الفاتيكان فى يد بنك روما الذى أسهم ماديا فى اثارة الرأى العام والذى يعتبر مسئولا عن توريط حكومته ، كما يقال أن الحبر الأعظم (البابا) نفسه أظهر رضاء عظيما لنجاح الأسلحة الايطالية (أى الحملة) ، ولكن من الناحية الرسمية والعلنية فان الكنيسة مضطرة الى الاعلان أن التزاماتها عالمية وليست مقصورة على ايطاليا ، وأن مصالح الكاثوليك العديدين فى الامبراطورية العثمانية قد تنزل بها الأضرار اذا ما بذلت أية محاولة لاظهار الحملة على طرابلس بأنها دفاع عن العقيدة الكاثوليكية ٠ وادراكا من الكنيسة لتلك الحقيقة فان السلطات الدينية وجدت أنه من المناسب اصدار بيان رسمى فى صحيفة أوسيرفاتورى رومانو Osservatore Romano الناطقة بلسان الفاتيكان تحذر فيه من (اصطناع معركة على أساس كاثوليكى ، بعد أن عبر عدد من الخطباء الدينيين والعلمانيين عن آرائهم – فى الحديث عن الصراع التركى الايطالى – بطريقة تجعل الناس يعتقدون أنها حرب مقدسة شنت باسم العقيدة والكنيسة ومؤازرتهما ، ونحن مكلفون باعلان ان مقر الكرسى البابوى لا تقع عليه أية مسئولية فى هذا التفسير لأن واجبه أن يظل بمنأى عن هذا الصراع) » ٠ (١٠)

هذه هى العناصر الأساسية التى يمكن أن نرجع اليها الحملة الايطالية على القطر الليبى ، والتى يمكن أن نعتبرها الدوافع الحقيقية للغزو ، أما ما قيل غير ذلك من الأسباب فهى مجرد ادعاءات وذرائع اتخذتها السلطات الايطالية واجهة لتغطى بها الدوافع الحقيقية ، ولتبرر عملية الاعتداء أمام الرأى العام العالمى ، ولكى تحمل الدولة العثمانية المسئولية الكاملة عن الحملة ٠

ومن هذه الادعاءات والذرائع ما ادعته ايطاليا من أن الدولة العثمانية لا تنظر الى ايطاليا كدولة كبرى ، وانه صار من واجب ايطاليا أرغام الدولة العثمانية على

---

(٩) المصدر السابق ٠

(١٠) الوثيقة ٢١٣ فى ٢٤ اكتوبر ١٩١١ من رود الى جراى ٠

احترامها ، (١١) كما أن الحكومة الايطالية كانت تشكو من عدم توفر الأمن للأرواح والممتلكات الايطالية فى طرابلس واهمال مصالحها الاقتصادية فى الولاية (١٢) • وجاء فى مذكرة رفعتها السفارة الايطالية الى حكومة الباب العالى أن عائلات ايطالية عديدة غادرت طرابلس وأن حياة الايطاليين هناك مهددة بسبب ما يقوم به أعضاء من جماعة الاتحاد والترقى وبعض الضباط الأتراك من تحريض للأهالى واثارتهم ضد ايطاليا • (١٣)

كما كان من الأمور التى تذرعت بها الحكومة الايطالية المقالات المعادية لها والمسيئة اليها والتى نشرت فى احدى الصحف الطرابلسية وهى صحيفة (المرصد) ، وهذه المقالات كانت تميل الى الحط من شأن الجيش الايطالى ، ومحاولة اثارة الاهلين ضد الجالية الايطالية مما دفع ايطاليا الى تقديم شكوى رسمية الى السلطات العثمانية فى الآستانة التى أصدرت بيانا شجبت فيه محتويات المقال الموجهة ضد الجيش الايطالى • وقد رحبت الصحف الايطالية ـ الحكومية والمعارضة على السواء ـ بهذا البيان واعتبرته ترضية لايطاليا ، ولقد اعتبر السفير البريطاني في روما ان اصدار الحكومة العثمانية لهذا البيان مقترنا باستدعاء ابراهيم باشا الوالى العثمانى من طرابلس ، والذى شكت الحكومة الايطالية من تصرفاته يعتبر دليلا ملموسا على أن الحكومة العثمانية قد أدركت أن الفرصة سانحة فى ذلك الوقت لعدم اثارة غضب ايطاليا وسخطها (١٤) ، (تجنبا للعواقب الوخيمة) •

يضاف الى ذلك حادث الفتاة الايطالية التى اعتنقت الاسلام فى اطنة وتزوجت من مسلم ، ورغم أن الايطاليين فى الآستانة كانوا يرون أن الفتاة أرغمت على اعتناق الاسلام ، فقد كانت هذه الحادثة بسيطة وعادية أو تافهة كما وصفها الصدر الأعظم ، ولا يمكن اعتبارها مبررا كافيا لعمل عدوانى •

واذا صح عزم ايطاليا ـ لكل هذه الأسباب الحقيقية والذرائع ـ على توجيه حملة عسكرية لغزو القطر الليبى ، ومن أجل ضمان ضعف المقاومة لهذا الغزو ، وجهت الحكومة الايطالية مذكرة مؤرخة فى ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩١١ رفعها مارتينو القائم بالأعمال الايطالى فى الآستانة الى حكومة الباب العالى تطلب فيها الحكومة الايطالية امتناع الحكومة العثمانية عن ارسال قوات

---

(١١) الوثيقة ١٦٧ (سرى للغاية) فى أول أكتوبر ١٩١١ من رود الى جراى •

(١٢) الوثيقة ٢٢٩ فى ٢ أكتوبر ١٩١١ من لوثر (الآستانة) الى جراى •

(١٣) الوثيقتان ٢١١ فى ٢٥ سبتمبر ، ٦٥١ (سرى) فى ٢٦ سبتمبر ١٩١١ من لوثر (الآستانة) الى جراى •

(١٤) الوثيقة ١٣٠ فى ٢٤ اغسطس ١٩١١ من رود الى جراى •

عسكرية أو سفن حربية أو أسلحة الى طرابلس حيث أن مثل هذه الخطوة من شأنها « زيادة ثورة الأهالى و (تعصبهم) ضد الايطاليين » وحذرت المذكرة الايطالية من مغبة عدم الاستجابة لهذا المطلب (١٥) .

الاعـــداد للحمـــلة :

عندما عاد جيوليتى الى رئاسة الوزارة الايطـــالية فى مارس (آذار) ١٩١١ وضع نصب عينيه ما أسماه (تصفية القضية الليبية) ، وركز جهـوده عليها ، وأشـــار الى موضوع احتلال طرابلس فى النقطة الثالثة من بيـــانه الوزارى ، لكنه أبقى الخطة سرية « لأن السرية عامل ضرورى وحيوى فى تصفية المسالة على الوجه المطلوب » ، بعد أن كان قد عمل بكل همة خلال زيارته السابقة من أجل تهيئـــة الظـروف التى تؤدى الى نجاح الخطــة .

ومن أجـل تنفيـــذ عملية الغزو أخذ جيوليتى ـ بمساعده ســان جوليانو وزير الخارجية الذى كان مقتنعا معه فى الرأى ـ فى الاعداد لوضع الخطة موضع التنفيـــذ ، مع ضمان أكبر قدر من النجاح لها ، فكلف الجنرال بوليـو Pollio رئيس أركان الجيش الايطالى بوضـع الدراسة اللازمة للحمـــلة التى ستوجه لاحتلال طرابلس والتوغل فى أرجائها « على أن تتم عملياتنا بقـــوات متفـوقة تفوقا ساحقا لا يترك ـ منذ البداية ـ أى شك فى النتيجة ، لأن ذلك التفـوق سيكون عاملا حاسما وأساسيا فى استسلام الأهلين والاتراك للأمـر الواقع » . ولذلك طلب جيوليتى من بوليو مضاعفة عدد الجند فأصبح ٤١ ألفا بعـــد أن كان مقدرا للحملة ٢٢ ألفـا ، وزيد عدد القوات تدريجيا فى أثناء المعـــارك حتى وصل مجموع القوات الايطالية المقاتلة على الجبهة الطرابلسية الى ثمانين ألف جندى وضابط .

وفى لقاء بين السفير البريطانى فى روما وسكرتير عام وزارة الخارجيـــة الايطالية كان الأخير متحفظا جدا فيما يختص بطرابلس ، ولكن السفير البريطانى استطاع أن يستنتج من حديثـــه أنه يـــرى أن العمل فى طرابلس لن يرجـــا طويلا (١٦) .

كما خرج السفير البريطانى فى روما من محادثاته مع وزير الخارجيـــة الايطالية وكبار موظفيها بانطباع بأنه عندما تســـوء العـلاقات وتتوتر بين

---

(١٥) الوثيقـة ٦٥١ (سرى) فى ٢٦ سبتمبر ١٩١١ من لوثـر الى جراى .

(١٦) البرقيـة ٦٢ فى ٢٤ سبتمبر ١٩١١ من رود الى جراى .

ايطاليا وتركيا فلن يكون من الصعب العثور على ذريعة أو مبرر مقبول ظاهريا ، وأنه اذا وجدت الحكومة الايطالية هذا المبرر أو الذريعة فمن المحتمل حدوث الاعتداء وتوجيه الضربة وبذلك تواجه الدول بالأمر الواقع قبل أن يكون لدى الدولة العثمانية وقت لتنظيم المقاومة أو يكون لدى الدول الأوربية فرصة لتقديم تحفظات واعتراضات (١٧) ٠

وأخذت الصحفالايطالية تنشر الأنباء عن تحركات السفن الحربية الايطالية بقصد التجمع فى جنوب ايطاليا ، فقد غادرت بعض المدمرات نابولى صوب الجنوب ، كما أن السفينة الحربية غاريبا لدى ومعها بعض المدمرات الأخرى وصلت الى مسيفاه كما صدرت تعليمات الى سفينة ركاب بأن تكون على أهبة الاستعداد فى سيراكيوز وألغيت رحلة سفينتين أخريين كانتا تزمعان الابحار الى نيويورك ، وتم الاستيلاء على السفن التى كانت تعمل على الخط الملاحى بين برنديزى والآستانة استعدادا للحملة ، ولو أن الحكومة الايطالية كانت تنكر كل ما يشاع من أن الاستعدادات والتحركات العسكرية كانت من أجل الحملة على طرابلس وذلك بقصد التمويه ومفاجأة الحامية التركية والأهلين (١٨) ٠

وفى الوقت الذى كانت الاستعدادات الايطالية تجرى فيه على قدم وساق كانت الحكومة الايطالية تجرى اتصالات دبلوماسية بالدول الأوربية الخمس الكبرى : بريطانيا وفرنسا وروسيا وألمانيا والنمسا ، لضمان الحصول على تأييد هذه الدول للخطوة التى تزمع ايطاليا الاقدام عليها ، أو الوقوف موقفا سلبيا على أقل تقدير وعدم ادانة الغزو الايطالى للقطر الليبى ، وقد تردد أن ردود الدول الأوربية جميعا كانت مشجعة باستثناء امبراطورية النمسا والمجر التى اتسم موقفها بالتردد (١٩) ٠

وفعلا كان الجو السياسى فى أوربا فى سنة ١٩١١ مهيأ لذلك ، اذ انتهت مساومات فرنسا مع ألمانيا حول مراكش وشرعت القوات الفرنسية فى احتلال المدن المراكشية كما شرعت القوات الاسبانية فى احتلال اقليم الريف ٠ ويمكن القول بأن موقف الدول الأوربية جميعا عندما قامت الحكومة الايطالية بسبر غورها قبل أن تشرع فى هجومها على طرابلس ـ كان يتفق والسياسة العامة لكل دولة من الدول الأوربية ازاء الأحداث فى أوربا بوجه عام وازاء سياسة التكتلات بوجه خاص ٠

---

(١٧) الوثيقة ١٤٣ (سرى) فى ١٤ سبتمبر ١٩١١ من رود الى جراى ٠

(١٨) رسائل رود (روما) الى جراى فى ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ سبتمبر ١٩١١ ٠

(١٩) الوثيقة ١٤٠ فى ١٩ سبتمبر ١٩١١ من رود الى جراى ٠

موقف بريطانيـــا :

فبريطانيا ـ وهى قطب الرحى فى الوفاق الثلاثى (مع فرنسا وروسيا) ، وهى التى أخـذت تنفـر من السياسة الألمانية ، كان يهمها ترضية ايطاليا لعلها تتخلى عن ارتباطها بالمحالفة الثلاثية (مع ألمـــانيا والنمسا) لكى تنضم الى الوفاق • وقد أدركت الحكومة الايطالية هذا التلهف من جانب بريطانيا ، ولذلك فانه عندما التقى السفير الايطالى فى لنـدن ـ امبريالى ـ ب/رثر نيكولسون وكيل الخارجية البريطانية ليبلغه بقـرار حكومته تســوية المسألة الطرابلسية فورا (بالغـــزو) أشـار السفير الايطالى الى أن أية دولة أجنبية تحاول معارضة ايطاليا فى هذه المســـألة « فان هذه الدولة لا يمكن أن تتوقع كسب صـــداقة ايطاليا لسنوات طويلة » ، كما ذكر الســـفير الايطالى أنه اذا قامت الحكومة البريطانية ـ تعبيرا عن صداقتها التقليدية لايطاليا ـ باعلان تاييدها الأدبى لايطاليا فى هذه اللحظة فان ذلك سيكون ترضية عظيمة للحكومة الايطـالية ، كما سيكون له أثره الطيب على أفراد الشعب الايطالى ، وكان السفير الايطـالى يستند فى هذا المطلب الى أن وزير الخارجية البريطانية قد سبق أن أعلن بأن « ايطاليا تستطيع الاعتماد على تاييدنـا الادبى » (٢٠) •

وتاسيسا على ذلك أصـــدر جراى وزير خارجية بريطانيا بيانا فى ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩١١ عقب زيارة المركيز امبريالى سفير ايطاليا فى لندن له والتى شرح خلالها شكاوى ومتاعب ايطاليا من الحكومة العثمـــانية ، وقد جاء فى بيـان وزير خارجية بريطانيا الذى أعلن فيه موقف حكومته من المســـألة الطرابلسية أنه « قد عقدت اتفاقية فى سنة ١٩٠٢ بشأن طرابلس بين حكومة جـلالة الملك والحكومة الايطالية ، وقد تبين لنا أنه يستحيل على ايطاليـــا أن تتحمل المعاملة غير العادلة او أن تتغاضى عن مصالحها فى طرابلس ، وعلاوة على ذلك فان الصداقة التقليدية بين الحكومتين والبلدين وصلت الى درجة تجعـل **الحكومة البريطانية تتعاطف مع أية خطوة قد تجد ايطاليا نفسها مضطرة لاتخاذها لحماية المصالح أو لتصحيح الأخطاء التى وقعت بحق الرعايا الايطاليين فى أى جـــزء من العالـم ••• »** •

ثم عاد البيان البريطانى مستدركا خوفا من أثر هذا الاعلان بتأييد ايطاليا فيعتبر أن « ضم طرابلس بالقوة خطوة متطرفة قد تؤدى نتائجها غير المبـــاشرة الى صـدمة للدول الأخرى بما فى ذلك نحن ، نظرا لضخامة عدد رعايانا المسلمين، ولذلك نامل بشدة أن توجه الأمور بطريقة لا تصدم الدول الأخرى بأقـل قـدر ممكن ••• ••• » •

---

(٢٠) مذكره من نيكولسون الى جراى فى ٢٦ سبتمبر ١٩١١ •

وهذه العبارة رغم ميوعتها تفصح عن سبب هذا الاستدراك من جانب الحكومة البريطانية ألا وهو خوفها من الأثر السيء الذى سيحدثه اعلانها تأييد ايطاليا على رعايا بريطانيا المسلمين وهم كثر . وليس أدل على ميوعة هذه العبارة التى تضمنها بيان وزير الخارجية البريطانية من أن المركيز امبريالى نفسه استفسر من وزير الخارجية البريطانية عن المعنى الدقيق المحدد المقصود من تحديد ايطاليا لنطاق النتائج المترتبة على عملها فى طرابلس ، قاطعا خط الرجعة على الوزير البريطانى باعلان أن الانسحاب من طرابلس أمر مستحيل ، رد وزير الخارجية البريطانية بأنه من المتعذر التنبؤ بنتائج العمل الايطالى ولكنه يأمل فى أنه اذا حدثت تطورات أن توجه الأمور بطريقة تجعل الصدمة خفيفة بقدر الامكان وأن تكون النتائج محلية محدودة بقدر الامكان أيضا (أى تقتصر النتائج على القطر الليبى فقط ولا تؤثر على غيره من ممتلكات الدولة العثمانية) . وعندما سأل السفير الايطالى الوزير البريطانى عما اذا كان من المحتمل أن تتدخل بريطانيا فى حالة نشوب الحرب بين ايطاليا وتركيا أجاب وزير الخارجية البريطانية بأنه يتحدث انطلاقا من مبدأ عدم التدخل (٢١) .

ويتجلى موقف الحكومة البريطانية أيضا عندما لفت مستشار السفارة التركية فى لندن (لغياب السفير التركى توفيق باشا) نظر سير آرثر نيكولسون الى الحملة العنيفة التى تشنها الصحافة الايطالية بشأن طرابلس لدرجة أن هذه الصحف ــ كما ذكر المستشار التركى ــ تورد التفاصيل الدقيقة عن حملة عسكرية ايطالية مقبلة ، وعبر مستشار السفارة التركية عن أمل حكومته فى أن تقول الحكومة البريطانية كلمة للحكومة الايطالية لكى تتصرف بحكمة وحتى لا تدفع بالمسألة الى الحافة التى يمكن أن يترتب عليها عواقب وخيمة ، فماذا كان رد الحكومة البريطانية ؟ لقد أجاب نيكولسون وكيل الخارجية البريطانية بأنه يدرك أن للحكومة الايطالية شكاوى متعددة الجوانب ضد السلطات التركية، وأنه يعتقد أن أفضل السبل هى أن تسرع حكومة الباب العالى بتسوية هذه المسائل المعلقة بطريقة ودية ، وان الحكومة البريطانية لا تستطيع أن تتدخل بالطريقة التى اقترحها مستشار السفارة التركية حيث أن مثل هذا التدخل قد يعتبر أمرا غير مرغوب فيه « وليس هناك سبب يبرر تدخلنا فى مسألة لا تخصنا ، وليس لنا الحق فى ذلك فليس هذا شأننا » .

وعندما أشار مستشار السفارة التركية الى أن العواقب ستكون على نطاق عالمى رد نيكولسون بأنه من السابق لأوانه التحدث عن النتائج المحتملة ولكن « فى الوقت الحاضر يجب أن نقف جانبا وأضاف أن الايطاليين هم الذين شكوا أولا الينا من المعاملة التى يلقونها وتلقاها المصالح الايطالية فى طرابلس

(٢١) البرقية ١٧٨ فى ٢٩ سبتمبر ١٩١١ من جراى الى رود .

ولم نبذل أى مسعى وقتئذ لدى الآستانة ، ولا نستطيع التدخل الآن لدى روما(٢٢)». (أى أنه ما دامت بريطانيا لم تتوسط لدى الآستانة لحل مشكلات ايطاليا مع الدولة العثمانية فى ليبيا ، فانها لا تستطيع التوسط بعد ذلك لدى ايطاليا لاتخاذ موقف معين من المشكلة) . ولقد شعر المستشار التركى بخيبة أمل كبيرة من موقف الحكومة البريطانية .

ولعله فى مقابل ذلك ومن أجل التعبير عن امتنان الحكومة الايطالية أن أعرب سفير ايطاليا فى لندن لسير آرثر نيكولسون بأن الحكومة الايطالية سوف تراعى بدقة سياسة الباب المفتوح فى طرابلس وأنه لن يكون هناك مجال لاعادة تخطيط الحدود (بين ليبيا ومصر) (٢٣) .

موقف فرنسا :

أما فرنسا فقد كان موقفها أكثر صراحة فى تأييد ايطاليا ومشروعها لغزو طرابلس ، فان التأييد الايطالى لفرنسا فى مراكش ما زال ساخنا واثره لم يبرد بعد ، ولم يقتصر موقف التأييد على الحكومة الفرنسية بل انه كان يتمثل أيضا فى حملة التأييد القوية فى الصحف الفرنسية . فقد استفسر وزير الخارجية الالمانية عما اذا كانت الحكومة الفرنسية تميل للاشتراك مع الحكومة الالمانية فى توصية روما بالتعقل والحكمة فيما يختص بالمسألة الطرابلسية حيث أن مسألة المحافظة على الاستقرار فى الدولة العثمانية أمر يهم الحكومتين الفرنسية والألمانية على السواء ، ولكن الحكومة الفرنسية على لسان مسيو بول كامبون أبلغت وزير الخارجية الالمانية بانها (أى الحكومة الفرنسية) لا تستطيع اتخاذ الخطوة المقترحة بالاشتراك مع الحكومة الالمانية وحدها نظرا للتاكيدات التى سبق أن أعطتها الحكومة الفرنسية للحكومة الايطالية بشأن طرابلس ، ومع ذلك فانه اذا عرضت الحكومة الالمانية مثل هذا الاقتراح على جميع الدول وقبلته هذه الدول فان الحكومة الفرنسية تكون عندئذ على استعداد — **بقدر ما تسمح به ارتباطاتها والتزاماتها السابقة مع الحكومة الايطالية** — للانضمام الى بقية الدول (٢٤) ، أى أن الحكومة الفرنسية كانت تضع لتدخلها لدى روما شرطين أولهما الا يقتصر التدخل على المانيا وفرنسا بل يكون تدخلا جماعيا تشترك فيه بقية الدول الأوربية ، وثانيهما أن يكون التدخل فى نطاق ارتباطات والتزامات فرنسا السابقة نحو ايطاليا ، وهى ارتباطات تقوم على اطلاق يد ايطاليا فى القطر الليبى .

---

(٢٢) الرسالة رقم ٢٦٢ بتاريخ ٢٢ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من جراى الى لوثر (الآستانة) .

(٢٣) الرسالة رقم ١٤٩ بتاريخ ٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من جراى الى رود (روما) .

(٢٤) البرقية رقم ٧٦ من جوشن (برلين) الى جراى .

فانه عندما ترددت الانباء عن احتمال ارسال حملة عسكرية ايطالية الى طرابلس لم تتأثر الصحافة الفرنسية ، بل قابلت هذه الانباء بهدوء فهذه صحيفة الماتان Matin تعلن أنه فى المهمة الصعبة التى توشك ايطاليا أن تقوم بها سوف تحظى ايطاليا بعطف وتشجيع فرنسا ، « فان مصلحة الحضارة تتطلب أن تدخل ايطاليا فى اعتبارها بقدر الامكان هيبة الامبراطورية العثمانية ، ولكن هذه المصلحة (الحضارية) ذاتها تتطلب أيضا ضرورة خروج طرابلس من ذلك السبات الذى خيم عليها لقرون عدة بسبب الحكم العثمانى ، وأن طرابلس يجب أن تشارك فى التقدم والتطور والثراء الذى صارت تعرفه مصر وتونس والجزائر وسوف تعرفه مراكش غدا » (١) .

أما صحيفة الطان Temps فانها ــ وهى تتحدث عن الصعوبات التى قد تصادفها ايطاليا عند احتلال طرابلس وتعبر عن خوفها من أن يترتب على عملها خلق مزيد من المشكلات فى شرق البحر المتوسط وفى البلقان ــ أعلنت أن فرنسا تستطيع أن تلتزم بارتباطاتها مع ايطاليا ، ولذلك « سوف تنأى بنفسها عما يمكن أن يحدث فى طرابلس ، تماما مثلما نأت ايطاليا بنفسها عما حدث فى فاس » ، وأضافت الطان أن الايطاليين «يستطيعون الاعتماد على اخلاص الفرنسيين» .

كما أعلنت الفيجارو أن موقف فرنسا واضح تمام الوضوح ، فقد أبرمت تعهدات معينة مع ايطاليا « وسوف تفى فرنسا بهذه التعهدات باخلاص تام ، وانها لتتذكر مساعدات ايطاليا وموقفها الودى خلال مؤتمر الجزيرة وبعده ، وقد أكدت فرنسا لايطاليا أنها لن تتدخل فى طرابلس ، وهذا التأكيد يجب الوفاء به بمنتهى الدقة » (٢٥) .

موقف ألمانيا :

أما ألمانيا فان موقفها من الاحتمالات المتوقعة كان موقفا غريبا يدعو الى الدهشة والحيرة معا ، فهى حليفة لايطاليا فى المحالفة الثلاثية مع النمسا ، وفى الوقت نفسه فان ألمانيا كانت (راعية) الدولة العثمانية بل والعالم الاسلامى ــ كما كانت تردد ــ وبذلت الحكومة الالمانية الكثير من الجهود من أجل تدعيم مركز الدولة العثمانية ــ دولة الخلافة ــ فى كثير من المجالات ، وكان من المتوقع أن تحاول ألمانيا التوسط لدى حليفتها ايطاليا حتى لا تنقض على ممتلكات الدولة العثمانية الصديقة ، ولكن يبدو أن ألمانيا كانت تخشى أن يترتب على ذلك انسحاب ايطاليا من المحالفة الثلاثية وانضمامها الى الوفاق الثلاثى ، ولو أن ذلك التحول من جانب ايطاليا قد حدث فعلا رغم موقف ألمانيا

---

(٢٥) الرسالة رقم ٤١٦ بتاريخ ٢٥ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من برتى (باريس) الى جراى .

من الأطماع الإيطالية فى طرابلس (بدليل موقف ايطاليا فى مؤتمر الجزيرة تاييدا لفرنسا ضد المانيا) ، حتى لقد ترامى الى الحكومة البريطانية ـ نقلا عن مصادر روسية ـ أن الحكومة الالمانية تعبر عن تعاطفها مع شكاوى ومعاناة ايطاليا فى طرابلس ، واعتبر نيراتون (القائم باعمال وزارة الخارجية الروسية) أن هذه المشاعر الطيبة التى تبديها المانيا انما هى من أجل كسب امتنان ايطاليا ، حيث أن المانيا ـ بالنظر الى الصراع المحتمل مع فرنسا تتوق لضمان صداقة ايطاليا ، كما اعتبر ان هذا الموقف من جانب المانيا يؤكد المعلومات التى حصل عليها توفيق باشا سفير تركيا فى لندن ومؤداها أن ايطاليا ابلغت الحكومة الالمانية بنواياها ازاء طرابلس قبل الاقدام على أى عمل وحصلت على موافقة المانيا وتاييدها (٢٦) ٠

ويؤيد ذلك ما جاء فى تقرير لسفير بريطانيا فى روما من أن الصحافة الالمانية التى تحدثت همسا عن الانذار الايطالى الى الباب العالى رأت أنه من الحكومة عدم الاساءة الى حليف (ايطاليا) اذ كان لا أمل فى التاثير على قراره ، بل وغيرت هذه الصحف الالمانية لهجتها الى التاييد القلبى ، ولو أن أكثر وسائل الراى اهمية فى المانيا أدانت التصرف الايطالى « تماما مثلما فعلت الصحافة البريطانية » ٠ يضاف الى ذلك أن السفير الالمانى فى روما زار زميله البريطانى ، رغم أن الأول لم يخف رأيه فى أن « الايطاليين اليوم يحاكون أخلاق ايطاليى الأمس » الا انه اعترف بانه ليس أمام الألمان الا الوقوف بجانب حليفتهم ايطاليا وترى بعض الصحف الألمانية فى الاحداث فرصة لتوجيه سخط تركيا نحو بريطانيا بالادعاء بأن ايطاليا تتصرف بايحاء من بريطانيا ٠

ومع ذلك فانه ـ كما سبق القول ـ لم يكن فى استطاعة المانيا أن تقف الى جانب ايطاليا على طول الخط ، بل كان لابد لها من مداراة الدولة العثمانية ايضا ، ولذلك أخذت الصحف الالمانية تندب الموقف الحرج الذى تقفه المانيا حيث يصعب اغضاب أى من الطرفين المتنازعين (ايطاليا حليفة المانيا ، وتركيا صديقتها) ولذلك كان على المانيا ـ فى رأى الصحف الالمانية ـ أن تتصرف باقصى قدر ممكن من الحذر والاحتراس مع كلا الجانبين ، وانه من الواجب على المانيا أن تدرك أن مهمتها هى العمل من أجل التوصل الى حل سلمى فى مصلحة الجميع ، ولو أن هذه السياسة ـ فى رأى الصحف الألمانية ـ لن تقابل الا بالقليل من الامتنان من كلا الجانبين ٠

ولذلك فقد بذل البارون فون مارشال ـ سفير المانيا فى الآستانة ـ نشاطا كبيرا فى الدوائر التركية ولدى السفارة الايطالية فى الآستانة من

---

(٢٦) مذكرة بتاريخ ٦ اكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من ارثرنيكولسون الى جراى ، الوسالة رقم ٤٢١ بتاريخ ٥ اكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من جراى الى برتى (باريس) ٠

اجل الحيلولة دون وقوع عمل عدوانى من جانب ايطاليا يحرج الحكومة الألمانية ، وحث الطرفين على التفاوض بشأن المشكلة الطرابلسية ، ومن الواضح انه كان يخشى الاضرار بمركز المانيا فى الآستانة فى حالة فشله (٢٧) .

وعلى ضوء هذه الأفكار والآراء جميعا أخذت الصحف الألمانية شبه الرسمية تردد ــ ارضاء لايطاليا ــ انه من الطبيعى أن يكون لايطاليا نفوذ متفوق فى شمال افريقية وأن لذلك مبرراته ، فايطاليا ــ فى رأى الصحف الألمانية ــ تتمتع بفترة من التوسع الاقتصادى ، ويجب أن تعلق أهمية كبرى على استمراره ، وانه من الطبيعى أن يكون لايطاليا اهتمام خاص بسبب موقعها الجغرافى ، فاذا سارت ايطاليا سعيا وراء مصالحها الاقتصادية فى طرابلس ورأت أن تشارك فى تطوير هذا القطر فانه لا يمكن معارضة هذا المطلب ، ولكن من المأمول ــ فى نظر الصحف الألمانية أن تقدر ايطاليا خطورة الموقف وبالتالى تستعين بأكبر قدر من الحكمة ، وأن الحكومة الايطالية تحسن صنعا لو أنها لم توجه اهتماما الى العناصر المثيرة من الشعب الايطالى واستطاعت أن تقاوم ضغوط الساسة المنفعلين ، وأن تحاول تحقيق رغباتها بالوسائل الدبلوماسية لا باستخدام القوة ، خصوصا وأن الأحوال الداخلية فى الدولة العثمانية فى ذلك الوقت ــ فى رأى الصحف الألمانية ــ تختلف عما كانت عليه فى الماضى ، وأن الاتراك لن تقتصر مقاومتهم لاحتلال طرابلس على الكلام النظرى والجدل كما فعلوا عند احتلال الفرنسيين لتونس ، خصوصا وأن تونس لم تكن تربطها بالدولة الا روابط واهية ، بينما طرابلس ولاية عثمانية تديرها الحكومة العثمانية ، كما أنه فى الوقت الذى وقع فيه احتلال تونس لم يكن الشعور القومى فى تركيا قد نما وصار حساسا مثلما صار عليه وقت أحداث طرابلس وعلى ذلك توقعت هذه الصحف الألمانية أن العمل الايطالى ضد طرابلس سوف يصادف مقاومة عنيدة من جانب الترك ، وقد يظهر خطر عودة المسألة الشرقية برمتها الى الظهور مرة أخرى بكل النتائج العديدة التى قد تترتب عليها ، ولذلك فانه من مصلحة جميع الدول الأوربية ألا يعكر صفو السلام فى أوربا (٢٨) .

ومن ناحية أخرى اهتمت الصحافة الألمانية باطراء التقدم الذى حققته الدولة العثمانية فى كل اتجاه خلال السنوات السابقة (وفى هذا اطراء أيضا لدور المانيا صاحبة الفضل فى هذا التقدم) ، وعبرت الصحف الألمانية عن أملها فى أن الحكومة العثمانية لن تتقاعس بما كسبته باتخاذ موقف

---

(٢٧) البرقية رقم ٢١٣ بتاريخ ٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من لوشر (الآستانة) الى جراى .

(٢٨) الرسالة رقم ٢٨٩ بتاريخ ٢٥ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من جوشن (برلين) الى جراى .
والرسالة رقم ٢٩١ بتاريخ ٢٦ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من جوشن (برلين) الى جراى .

عنيــد متصلب تجاه ايطاليا ، وأنها تحسن صنعا اذا استرشدت بروح الحكمة والتعقل والهادنة التى تميزت بها سياستها فى السنوات الأخيرة ، « وستكون سياسة حكيمة من جانب تركيا أن تلتقى مع الايطاليين فى منتصف الطـريق وأن تستجيب للمطالب الايطالية المشروعة لتهدئة الرأى العام الايطالى » .

ومع ذلك فان الحكومة الالمانية لم تسلم من نقد الصحافة الايطالية لهذا التأييد (الفاتــر) لحليفتها ايطاليــا ، وفى الوقت نفسه أخذت الحكومة العثمانية تنظر الى سياسة ألمــانيا فى مراكش باعتبارها المسئولة عن الموقف الايطــالى فى طرابلس ، على أساس أن رضوخ ألمانيا فى النهاية للعمل الفرنسى فى مراكش هو الذى جعل ايطاليا ـ حفظا لمصالحها وللتوازن فى البحر المتوسط ـ تقـرر الاستحواذ على طرابلس .

وقـد ردت المصادر الالمانية على هذا الاتهام الذى يوجهه الترك الى ألمانيا بأنه قلب للحقائق ، على أساس أن فرنســـا حصلت على حق التصرف فى مراكش بالتفاهم والاتفـــاق مع بريطانيا (مقابل مصر فى الوفاق الودى سنة ١٩٠٤) ومع ايطاليــا (مقابل طرابلس) ، وأن ألمانيا ، اذا كانت ستحصل على تعويض مقــابل الاعتراف بالأمر الواقع فى مراكش ، فان هذ التعويض لن يكون على حســاب دول أخرى ولكنه فى المستعمرات الفرنسية (٢٩) .

موقف النمســـــا :

أمــا عن موقف الحكومة النمساوية فانها كانت تعتبر أن الحالة ـ كما جــاء على لسان وزير خارجيتها الكونت أهرنتال ـ بالغـــة الخطورة ، وأن على الدول أن تبذل كل ما فى وسعها فورا من أجل تهدئة الحكومتين الايطالية والتركيـــة ومنعهما من الاندفاع والتهور فى العمل ، وذكر الكونــت اهرنتال أنه ما زال يأمل فى عــدم نشــوب الحرب بين تركيــا وايطاليا وذلك اذا اكتفت الأخيرة بالمطالبة بامتيازات اقتصادية فى طرابلس . أما اذا قدمت مطالب من أجـل الحصـــول على مكاسب وامتيازات سياسية فى هذا القطر فان الحرب ـ فى رأيه ـ ستكون أمرا لا مفـر منه حيث سيكون من المستحيل بالنسبة لتركيا الاستجابة لهـذه المطالب .

وفى حالة الحرب فان الدول ـ فى اعتقاد وزير الخارجية النمســوى ـ قد تحاول تضييق نطاقها وجعلها محلية ، والحيلولة دون نشوب القتال فى البلقان ، اى قد يكون من المكن اقناع الحـكومة الايطالية بقصر عملياتها العســـكرية

(٢٩) الرسـالة رقم ٢٩٣ بتاريخ ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من جوشن (برلين) الى جراى .

على تركيا ، فلا تمدها الى أجزاء أخرى من الامبراطورية العثمانية (٣٠) ، أى أن الحكومة النمسوية تتقبل الحرب بين تركيا وايطاليا حتى ولو ترتب عليها ضياع ممتلكات عثمانية فى شمال أفريقية (طرابلس) وكل ما يهم النمسا هو ألا تمتد الحرب الى البلقان حيث للنمسا مصالح حيوية •

الانذار الايطالى :

وقبل أن تواجه ايطاليا حملاتها العسكرية ضد لقطر الليبى أرادت أن تعلن على الملأ المبررات التى تدفعها الى الاقدام على هذه الخطوة العدوانية بشرح شكاوى ايطاليا من الدولة العثمانية ، وذلك فى مذكرة أحيطت بها علما الحكومة البريطانية ، وجاء فيها أن هذا الصراع ما هو الا خاتمة لسلسلة طويلة من أعمال الاستفزاز والاساءة أنزلتها بايطاليا والايطاليين فى كل أنحاء الامبراطورية سلطات الدولة العثمانية ، وأن هذه الشكاوى تدل الى أى حد كان يحيط بالايطاليين جو عدائى « لا يتفق مع العلاقات الرسمية الطيبة القائمة بين الدولتين ، ومع أن قيام النظام الجديد (النظام الاتحادى) فى تركيا أحيا كثيرا من الآمال فى ايطاليا فقد تضاعفت الحوادث وزادت خطورتها » •

ثم أخذ البيان فى سرد أمثلة لهذه الحوادث ومنها حادثة الفتاة الايطالية جوليا فرانزونى التى ادعى البيان أنها اختطفت من أهلها وارغمت على اعتناق الاسلام والزواج من مسلم رغم احتجاج أهلها والاجانب من غير الايطاليين واحتجاج قنصلية وسفارة ايطاليا •

ثم انتقل البيان الى شرح موقف السلطات التركية المعادى للمصالح الايطالية وبخاصة موقفها فى البحر الأحمر وعلى سواحل الجزيرة العربية المواجهة لمستعمرة ارترية « حيث ارتكبت كثير من الحوادث التى تعتبر اهانة للراية الأيطالية » وأورد أمثلة منها تتمثل فى اعتداء سفن تركية على سفن ايطالية •

ثم انتقل البيان الأيطالى الى الحديث عن العقبات التى توضع فى طرابلس أمام النشاط التجارى الايطالى ، فاتهم السلطات العثمانية بانها تشن حربا ضد المصالح الاقتصادية والتجارية لايطاليا لكى تعوق بكل وسيلة تطور وتقدم النفوذ الايطالى ، فمنعت السلطات الأهالى فى ليبيا من التعامل فى بنك روما « الذى يقوم بخدمات جليلة من اجل تقدم الولاية ، وتعاقب من يتعامل منهم معه ، كما وضعت العقبات فى وجه حصول البنك على مركز قانونى أمام المحاكم المحلية ، واستمرت هذه السياسة بتوالى الولاة حتى جاء الوالى الجديد ابراهيم

---

(٣٠) البرقية رقم ٥٩ بتاريخ ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من كارترايت (فيينا) الى جراى •

باشا الذى أعلن صراحة فى المجلس الادارى أنه سوف يشن معارضة لا تتوقف ضد كل عمل ايطالى بدعوى أن هـذه هى تعليمات حكومته ، وعلى ذلك فان كل المشروعات والامتيازات التى قدمها الايطاليون مثل البرق والطرق والقنوات وغيرها قوبلت بالرفض ، كما أن رعايا ملك ايطاليا يمنعون من الحصول على الأراضى وتسجيل عقود نقل الملكية فى الخمس وبنغازى ودرنة ، والأهالى الذين يرغبون فى البيع يتعرضون للتهديد ، كما أنه ـ ضد كل الاتفاقيات ـ توضع العقبات فى وجه البعثات الايطالية للتنقيب عن الآثار والمعادن والنفط ، وفى وجه الملاحة البحرية ، كما أن الأهالى يمنعون من الاستفادة من هـذه المؤسسات والشركات خوفا من الانتقام » .

وأشار البيان الى ترحيب ايطاليا بوصول تركيا الفتاة الى الحكم وأرادت الحكومة الايطالية أن تعطى النظام الجديد الفرصة لتثبيت مركزه « بدافع الرغبة فى عدم اثارة الصعوبات والمشكلات فى وجه الدولة العثمانية وأوربا ، فتذرعت الحكومة الايطالية بالصبر بشكل ليس له نظير فى التاريخ ، ولكن ذلك لم يأت بفائدة ، ففى كل يوم تزداد الحالة سوءا ، فقوبل موقفنا الصبور اما بحكومة تصدر الكلمات المعسولة والوعود أو بحكومة عاجزة لا سلطة لها تستطيع بها ارغام السلطات المحلية فى الولاية على طاعتها ، حكومة غير قادرة على تنفيذ المعاهدات والامتيازات والتعهدات .

وطفح الكيل بالهجمات العنيفة والاساءات التى حفلت بها الصحف العثمانية والتى تجاوزت كل الحدود ، والحوادث المتزايدة ، مما أدى الى اثارة الرأى العام والصحافة والحكومة والبرلمان فى ايطاليا .

« والآن لم يعد لايطاليا ثقة فى حل وذى لمشاكلها مع الدولة العثمانية ونفذ صبرها ، وقررت التخلى عن سياسة الصبر والاعتدال التى قد تفسر على أنها دليل الضعف ، وقررت الحصول على أكبر قدر من الاحترام لحقوقها وحماية مصالحها ، واللوم يقع على أولئك الذين ظلوا طوال السنوات الثلاث الماضية يثيرونها ويخلقون ـ بحوادث صغيرة وكبيرة ـ جوا من العداء ضد ايطاليا فى عدة ولايات من الامبراطورية العثمانية وبخاصة فى طرابلس من أجل الاضرار بأمن الرعايا الايطاليين وتقويض التطور السلمى لتجارة ارترية فى البحر الأحمر ... ... » (٣١) .

وتأسيسا على هذا البيان واستنادا اليه قدمت الحكومة الايطالية انذارا مفصلا سلمه القائم بالأعمال الايطالى فى الآستانة الى حكومة الباب العالى

---

(٣١) وثائق الخارجية البريطانية ـ بيان سلمه المركيز امبرياللى للحكومة البريطانية فى ٢٩ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ .

فى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩١١ وفيه أعلنت الحكومة الايطالية أنها لما كانت غير قادرة على الحصول على أية ترضية من حكومة الباب العالى بشأن المسائل المتصلة بالمصالح الايطالية فى طرابلس ، قررت التقدم لاحتلال طرابلس وبرقة عسكريا من أجل وضع حد للفوضى فى هذين الاقليمين « تلك الفوضى التى ـ طبقا للتقارير الواردة من القناصل الايطاليين ـ تعرض للخطر أرواح الرعايا الايطاليين بل وأرواح الرعايا من الجنسيات الأخرى » ٠

ودعت الحكومة الايطالية الحكومة العثمانية لكى تصدر تعليماتها للسلطات المحلية بعدم مقاومة هذا الاحتلال ، مشيرة الى أن الوضع المترتب على ذلك الاحتلال سوف ينظم على أساس اتفاقيات تبرم بين الحكومتين الايطالية والعثمانية ٠

وأرسلت الحكومة الايطالية تعليمات الى القائم بالأعمال الايطالى فى الآستانة لكى يطلب ردا محددا من الحكومة العثمانية يسلم خلال أربع وعشرين ساعة عن طريق كل من السفارة الايطالية فى الآستانة والسفارة التركية فى روما وأن الحكومة الايطالية سوف تتخذ الخطوات لتنفيذ هذا الاحتلال فورا فى حالة عدم تسلم رد الحكومة العثمانية (٣٢) ٠

كما صار من الواضح أنه اذا أرسلت الحكومة العثمانية ردا سلبيا على الانذار فان الحكومة الايطالية تنوى اعلان الحرب رسميا فى الحال (٣٣) ٠

وبامعان النظر فى شكاوى الحكومة الايطالية التى بنت عليها الانذار والتهديد باحتلال القطر الليبى يبدو لنا كيف أن هذه الشكاوى كلها كانت تافهة وليست مبررا كافيا للاحتلال ، واذا كانت هناك تصرفات مسيئة الى مصالح ايطاليا فى القطر الليبى فان ذلك يرجع الى ما كان يحيط بهذه المصالح من شكوك ، وما عرف عن أطماع ايطاليا فى امتلاك هذا القطر ، وعلى كل حال فان الكثير من هذه المشكلات كان من الممكن علاجها وايجاد حل لها عن طريق المفاوضات السلمية وبوساطة بعض الدول من أصدقاء الطرفين ، ولكن الدول الاوربية جميعا ـ أصدقاء الدولة العثمانية وأعداءها على السواء ـ كانوا قد التزموا ـ كما رأينا ـ بتأييد أطماع ايطاليا الاستعمارية فى القطر الليبى بصرف النظر عما كانت تدعى ايطاليا معاناته من السلطات المحلية ٠

ولذلك فقد قدمت حكومة الباب العالى ردها على الانذار وسلم الرد

---

(٣٢) البرقية رقم ٦٧ بتاريخ ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من رود (روما) الى جراى ٠

(٣٣) البرقية رقم ٦٨ بتاريخ ٢٩ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من رود (روما) الى جراى ٠

فى الساعة السادسة من صباح ٢٩ سبتمبر (أيلول) الى دار السفارة الايطالية فى الآستانة .

وقد عزا الرد العثمانى عدم تطور ولاية طرابلس وتقدمها الى المدى المأمول الى سوء الادارة والاهمال الذى صادفته الولاية على أيدى النظام القديم كما نفى الرد وجود أى أساس لشكاوى الحكومة الايطالية الخاصة بمعاناة المشروعات والتجارة الايطالية من المعاملة غير الودية ، وأنكرت حكومة الباب العالى قيامها بأى جهود لاعاقة التطور الاقتصادى الايطالى فى طرابلس الذى كانت — على العكس — ترحب به وتميل اليه ، وحاولت الحكومة العثمانية تأكيد ذلك بالعرض الذى قدمته قبل أيام قليلة — على حد قولها — من أجل منح ايطاليا امتيازات اقتصادية واسعة مع تحفظ واحد يتصل بعدم المساس بالكيان العثمانى والسيادة العثمانية « مما يدل على استعداد الحكومة العثمانية لاظهار روح الود واللين فى مناقشة هذه الأمور » ، وتعهدت الحكومة العثمانية — فى ردها بعدم اتاحة الفرصة لقيام اضطرابات تهدد الأمن ، وبالتالى فان سلامة الرعايا الايطاليين وأمنهم سيكونان مكفولين .

كما أشارت الحكومة العثمانية الى أن وصول الامدادات العسكرية الى طرابلس لا يمكن أن يكون محل اعتراض حيث أن القرار بارسالها كان قد صدر قبل أن تقدم الحكومة الايطالية احتجاجها بعدة أيام .

وفى ختام الرد استفسرت الحكومة العثمانية عن الضمانات التى تعتبرها الحكومة الايطالية ضمانا كافيا للمصالح الايطالية فى طرابلس ، وعلاوة على ذلك فان الحكومة العثمانية — فى أثناء المفاوضات حول المصالح الايطالية فى طرابلس — تتعهد بأنه لن يحدث أى تغيير على الوضع العسكرى التركى فى الولاية ، أى أن الحكومة العثمانية لن ترسل أية تعزيزات لتدعيم قوة الدفاع عن الولاية (٣٤) .

وقد أبلغت وزارة الخارجية الايطالية السفير البريطانى فى روما برأيها فى الرد العثمانى على الانذار الايطالى ، وكانت الحكومة الايطالية ترى أن الرد — ولو أن ناقش بالتفصيل احتجاجات ايطاليا — الا أنه يتضمن رفضا للمطالب الايطالية (٣٥) .

وعلى هذا الأساس ، ولما كان معروفا أنه اذا لم يكن الرد العثمانى على

---

(٣٤) البرقية رقم ٢١٥ بتاريخ ٢٩ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من لوثر (الاستانة) الى جراى .

(٣٥) الرسالة رقم ٦٩ بتاريخ ٢٩ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من رود (روما) الى جراى .

المذكرة الايطالية بالايجاب فان ايطاليا سوف تعلن الحرب ، فقد صار من المتوقع بل من المؤكد أن يصدر قرار ايطاليا باعلان الحرب بل وتوقع السفير البريطانى فى الآستانة صدور الاعلان فى نفس اليوم (٢٩ سبتمبر) (٣٦) ٠

وفعلا أصدرت وكالة الانباء الرسمية الايطالية فى مساء ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩١١ بيانا ذكرت فيه أنه « حيث أن الحكومة التركية لم تقبل المطالب التى تضمنها الانذار الايطالى فان ايطاليا وتركيا صارتا منذ الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر اليوم فى حالة حرب ، وسوف توفر الحكومة الأيطالية كل الوسائل لتامين الايطاليين والاجانب من كافة القوميات فى طرابلس وبرقة ، وسوف تخطر الدول بالحصار على كل ساحل طرابلس » (٣٧) ٠

وسلم اعلان الحرب للحكومة العثمانية وقد جاء فيه ان المهلة الممنوحة قد انتهت دون تلقى رد مرضى « مما يؤكد سوء نية السلطات العثمانية وعجزها عن حماية الحقوق والمصالح الايطالية فى طرابلس ، ولذلك فان الحكومة الايطالية مضطرة لاتخاذ الاجراءات من جانبها لتحقيق هذه الغاية ، وبذلك انتهت العلاقات السلمية والودية بين البلدين ، وتعتبر ايطاليا نفسها فى حالة حرب مع تركيا » (٣٨) ٠

وعلى الفور اتخذت ايطاليا الاجراءات العسكرية بفرض الحصار الكامل بواسطة السفن الحربية الايطالية على سواحل كل من طرابلس وبرقة من حدود تونس الى حدود مصر اعتبارا من التاسع والعشرين من سبتمبر (ايلول) (٣٩) ٠

كما أنه فى الساعة الحادية عشرة من صباح نفس اليوم (٢٩ سبتمبر) دخلت المدمرة الايطالية غاريبا لدى ميناء طرابلس ووجهت انذارا الى حامية الميناء طالبة التسليم ولكن الحامية رفضت (٤٠) ٠

وكان من أصداء اعلان ايطاليا الحرب على الدولة العثمانية أن استقال حقى باشا من الصدارة العظمى ، وقد أقر فى خطاب استقالته بمسئوليته التامة عن الوضع القائم (٤١) ٠ وقد عهد الى سعيد باشا رئيس مجلس الأعيان

---

(٣٦) البرقية رقم ٢١٧ بتاريخ ٢٩ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من لوثر (الآستانة) الى جراى ٠

(٣٧) البرقية رقم ٢٩ بتاريخ ٢٩ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من رود (روما) الى جراى ٠

(٣٨) البرقية رقم ٢١٨ بتاريخ ٢٩ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من لوثر (الآستانة) الى جراى ٠

(٣٩) البرقية رقم ٧٩ بتاريخ اول أكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من رود (روما) الى جراى ٠

(٤٠) البرقية رقم ٧٧ بتاريخ ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من رود (روما) الى جراى ٠

(٤١) البرقية رقم ٢٢٠ بتاريخ ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ ، ورقم ٢٢٦ بتاريخ اول أكتوبر (تشرين أول) ١٩١١ من لوثر (الآستانة) الى جراى ٠

(الشيوخ) بتأليف الوزارة الجديدة ، ولو أن تشكيل هذه الوزارة استغرق بعض الوقت . وقد أصدر وزير العدل تعليمات الى السلطات المحلية فى أقاليم الامبراطورية العثمانية بألا يستفيد الايطاليون بعدذلك من الامتيازات اجنبية(٤٢).

وقد أبدى العثمانيون حماسا شديدا للقيام بمقاومة مسلحة للغزو الايطالى على أساس أن هذه المقاومة « سوف تحمى شرف الأمة العثمانية » ، كما كان لدى العثمانيين أمل فى أن هذه المقاومة — الى جانب الاجراءات التى تتخذ ضد الايطاليين ، والقيود التى تفرض على التجارة الايطالية — سوف تؤدى الى اثارة بعض القلاقل الداخلية فى ايطاليا ذاتها ، ومن ثم فان السفير البريطانى فى الآستانة كان يعتقد أن طرح أية مقترحات للسلام فى ذلك الوقت لن يصادف قبولا أو استحسانا من جانب الحكومة العثمانية « التى تفضل الانتظار حتى ترى ما يمكن أن تسفر عنه المقاومة بمعونة الأهالى فى طرابلس » .

كما أنشئت لذلك لجنة للدفاع الوطنى ، وتوافد المتطوعون وسجلوا أسماءهم فى السجلات ، كما نشطت عملية جمع الأموال والتبرعات لتمويل الحرب (٤٣) .

الدولة العثمانية تلجأ الى الدول :

ولما كانت الدولة العثمانية هى الدولة المعتدى عليها وعلى ممتلكاتها ، وكانت الحكومة العثمانية — رغم الحماس الذى أظهرته وأظهره الشعب فى كافة انحاء الامبراطورية — تقدر أنها لن تقوى على مقاومة جحافل الغزوة الايطالية وأسلحتها البرية والبحرية ، فقد فكرت فى اللجوء الى الدول الأوربية لعلها تتدخل فى ساحة المحنة .

ويلاحظ أن الدول العثمانية لم تقم بمجهود لتجنب الكارثة قبل وقوعها ، لا على الصعيد المحلى أو الداخلى بتقوية ولاياتها المعرضة للأخطار من جانب الدول الاستعمارية الطامعة مثل ايطاليا ، ولا على الصعيد الدولى حيث كان يجدر بها ان تقوم لدى الدول الأوربية بنشاط دبلوماسى مكثف مضاد للنشاط الدبلوماسى الايطالى ، حتى تعرف الحكومة العثمانية العدو من الصديق ، ومن سيقف الى جانبها ومن سيتخلى عنها ويسلمها الى اعدائها يلتهمون ممتلكاتها ، وحتى تلجأ الى الدول فى لحظة الضعف والحرج ، ولكنها لم تفعل

---

(٤٢) البرقية رقم ٢٤٨ بتاريخ ٧ اكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من لوثر (الأستانة) الى جراى .

(٤٣) البرقية رقم ٢٢٤ فى اول اكتوبر ، ٢٤١ فى ٥ اكتوبر ، ٢٤٣ فى ٦ اكتوبر (تشرين أول) ١٩١١ من لوثر (الأستانة) الى جراى .

شيئا من ذلك استنادا الى حسن نوايا الدول ، وهذا خطا فادح وقعت فيه الدولة العثمانية ، وما زالت تقع فيه حتى الآن كثير من الدول الاسلامية المعاصرة ، وهو الاعتماد على النوايا الطيبة للدول الغربية ، وما هى بطيبة ، بل ان هذه الدول تتربص بعالم الاسلام ، واذا كانت تظهر بعض الود والتعاطف نحو بعض هذه الدول الاسلامية من حين لآخر فما ذلك الا من أجل مكاسبها وتحقيق مصالح لها أولا وقبل كل شيء .

موقف بريطانيا بعد الانذار البريطاني ونشوب الحرب :

ولما كانت بريطانيا تلعب الدور الرئيسى فى السياسة العالمية فى ذلك الوقت فقد رأت الحكومة العثمانية أن تولى وجهها شطر بريطانيا طالبة التدخل ، ولعل الحكومة العثمانية أدركت ايضا أن ايطاليا ما كانت لتقدم على غزو القطر الليبى ما لم تكن قد حصلت سلفا على رضا بريطانيا لمجاورة ليبيا لحدود مصر الغربية ، أو على أقل تقدير كانت ايطاليا تعتقد أنها بغزو ليبيا وانتزاعها من الدولة العثمانية تؤدى خدمة جليلة لبريطانيا ، على أساس أن اعلان الحماية الفرنسية على مراكش قد أدى الى اختلال ميزان القوى فى البحر المتوسط ، وان احتلال ايطاليا لليبيا سيؤدى الى تعديله ـ كما جاء على لسان وزير خارجية ايطاليا للسفير البريطانى فى روما ـ وأن الحكومة الايطالية على ثقة من أن بريطانيا فى مصر تفضل ايطاليا جارة لها فى ليبيا (٤٤) .

كما رددت صحيفة جورنالى ديتاليا الفكرة ذاتها عندما ذكرت أن ايطاليا تؤدى خدمة جليلة لبريطانيا « بالرد العنيف على الدعاية المتعصبة التى أثارتها تركيا فى دواخل طرابلس جارة مصر والسودان ، تلك الدعاية التى كان من الممكن أن ترغم بريطانيا فى النهاية على التدخل بنفسها ولحسابها لو لم تكن ايطاليا قد أخذت على عاتقها هذه المهمة » (٤٥) .

ولذلك لا نعجب اذا ما رأينا أن جراى وزير الخارجية البريطانية ـ عندما طلبت الحكومة العثمانية تدخل بريطانيا ـ يرى أن التدخل سيكون عديم الجدوى اذا كان على الأسس التى اقترحتها الدولة العثمانية « واذا فعلنا ذلك فان ايطاليا ستعتبر تصرفنا عملا غير ودى » (٤٦) .

وتستولى علينا الدهشة مرة أخرى ونحن نرى الدولة العثمانية تلجا الى بريطانيا من أجل التدخل ولا تلجا الى المانيا ، وفى تفسير هذا يرى وزير الخارجية الالمانية أنه لابد وأن جميع

---

(٤٤) البرقية ٧٦ فى ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من رود (روما) الى جراى .

(٤٥) الرسالة ١٦٣ بتاريخ اول اكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من رود (روما) الى جراى .

(٤٦) البرقية ٣٥٨ بتاريخ ٣ اكتوبر (تشرين أول) ١٩١١ من جراى الى لوثر (الاستانة) .

السفراء الترك فى عواصم الدول الكبرى قد تلقوا تعليمات لعرض مشكلة دولتهم على الحكومات المعتمدين لديها « ولكن نيازى باشا ـ السفير العثمانى فى برلين ـ وهو رجل فطن ، شعر بالحرج اذا قدم عرضا رسميا فى برلين ضد تصرفات ايطاليا حليفة المانيا ، ولذلك فقد تحدث عن المشكلة بطريقة غير رسمية ، وفى مجرى الحديث عبر عن أمله الشخصى فى أن المانيا ـ وهى صديقة لتركيا ـ قد ترى ابداء النصح لايطاليا بالاعتدال » (٤٧) ٠

وعندما أبلغ لوثر ـ سفير بريطانيا فى الآستانة ـ الصدر الأعظم سعيد باشا برد ملك بريطانيا على طلب التدخل أعلن السفير البريطانى للصدر الاعظم أن وجهات النظر التى أبداها الطرفان فى هذه المشكلة متعارضة ، « ولذلك فمن المستحيل على الحكومة البريطانية فى الوقت الحاضر القيام بأية مساع حميدة ٠٠٠ » ٠

وقد رد الصدر الأعظم على حجة الحكومة البريطانية بأن ايطاليا وهى تتقدم مطالبها الى الحكومة العثمانية أشارت الى حقيقتين : الأولى أن ولاية طرابلس وبرقة لم تستنفد حتى الآن من التقدم الحضارى الذى شمل أجزاء أخرى من القارة الافريقية ، بأن هذه الحالة ـ فى رأى الصدر الاعظم ـ من صنع النظام القديم ولا يمكن أن تعزى نتائجها الى الحكومة الدستورية ، والثانية أن الباب العالى لم يسمح باستمرار مساعى تجارة ايطاليا فيما يتصل بامور معينة تخص الرعايا الايطاليين ، وقد أعلنت الحكومة العثمانية ـ كما يقول الصدر الأعظم ـ أن جانبا من هذه الأمور قد تم حلها والباقى فى طريق الحل (٤٨) ٠

ويتجلى موقف بريطانيا من هذه المشكلة فى أمور عدة منها اعلان حياد مصر فى النزاع الايطالى العثمانى (وسوف نبحث ذلك تفصيلا فى فصل تال) ، وأرسلت تعليمات بشأن استخدام السفن الحربية المنتمية للجانبين المتحاربين للموانى المصرية أو قناة السويس (٤٩) ٠

كما أصدرت الحكومة البريطانية تعليماتها حتى لا يشترك فى الحرب والقتال بطريق مباشر أو غير مباشر الضباط البحريون البريطانيون ولا رجال الجندرمة الذين يعملون فى خدمة السلطات العثمانية ، على أساس أن عقود هؤلاء الرجال مقصورة على الخدمة وقت السلم فقط (٥٠) ٠

---

(٤٧) الرسالة ٢٩٤ بتاريخ ٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من جوشن (برلين) الى جراى ٠

(٤٨) برقية بالشفرة من سعيد باشا الصدر الاعظم الى توفيق باشا (لندن) فى ٣ اكتوبر ١٩١١ ٠

(٤٩) برقية رقم ١٥٥ فى ٤ اكتوبر (تشرين اول) من جراى الى رود (روما) ٠

(٥٠) البرقية السابقة ، برقية رقم ٣٤٩ فى ٢٨ سبتمبر ١٩١١ من جراى الى لوثر (الآستانة) ، ورقم ٣٥٤ بتاريخ ٣٠ سبتمبر ، ٣٥٧ بتاريخ ٣ اكتوبر ١٩١١ من جراى الى لوثر (الآستانة) ٠

ولذلك عبر السفير الإيطالي في لندن عن شكر الحكومة الايطالية للحكومة البريطانية لاصدار هذه التعليمات ٠

وعلى ضوء الموقف (الودى) الذى وقفته الحكومة البريطانية من الحملة الايطالية على ليبيا ، كان من الطبيعي أن تشعر الحكومة الايطالية بالاستياء الشديد ازاء الموقف (غير الودى) الذى وقفته الصحافة البريطانية ، وقد عبرت الحكومة الايطالية عن استيائها في مذكرتين قدم الأولى وزير خارجية ايطاليا الى السفير البريطاني في روما ، وقدم الأخرى السفير الايطالي في لندن الى وزير خارجية بريطانيا ، وقد اقتبست الصحف الايطالية مقتطفات من تعليقات التايمز والديلي تلجراف على تصرفات ايطاليا في ليبيا « وقد سببت هذه التعليقات وموقف الصحافة البريطانية عموما خيبة أمل كبيرة اذا ما قورنت باللهجة التى استخدمت في الأيام السابقة على الانذار مباشرة والتى كانت تعتبر مشجعة ٠٠٠ والرأى العام الايطالي حساس للغاية بالنسبة للرأى العام الأجنبي ٠٠٠ وسيفشل (الشعب الايطالي) في تقدير الأمانة التى تحرك وتدفع الصحافة البريطانية الى اتخاذ هذا الموقف ، ولذلك فان هذه الصراحة قد لا تكون في مصلحتنا (مصلحة بريطانيا) السياسية » (٥١) ٠

وحاولت صحيفة (تريبيونا) الايطالية شبه الرسمية في معالجتها لرأى الصحافة البريطانية أن تجد المبرر والعذر « ٠٠٠ اننا يجب ألا نشعر بالأسى كثيرا لهذه الحملات في الصحافة ، فبريطانيا فيها طبقة حكام من الساسة الذين يملكون غريزة سياسية تحكم على الشئون الدولية بهدوء (وبدون انفعال عاطفى) وتمييز وادراك ، وهذه الطبقة هى التى توجه سياسة الحكومة ، أما جمهور الشعب فهو يتأثر باعتبارات عاطفية لذلك فهو يؤثر الى حد ما في لهجة الصحف ٠٠٠ » (٥٢) ٠

كما طلب وزير خارجية ايطاليا من السفير البريطاني في روما أن يبرق الى جراى وزير خارجية بريطانيا بالموقف العدائى الذى تتخذه الصحافة البريطانية من العمل الايطالي « وهو (أى الوزير الايطالي) يشعر أن ذلك لابد وأنه يرجع الى نقص المعلومات عن الحالة التى كانت سائدة في طرابلس ، والايطاليون حساسون للغاية ازاء الموقف البريطاني ، ويتمنى وزير خارجية ايطاليا ألا يحدث تحول عن الصداقة التقليدية مع انجلترا ٠٠٠ » (٥٣) ٠

وردا على هذه المذكرة التى قدمها السفير الايطالي في لندن الى جراى

(٥١) الرسالة ١٦٣ بتاريخ اول اكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من رود (روما) الى جراى ٠

(٥٢) المصدر السابق ٠

(٥٣) البرقية ٧٦ فى ٣٠ سبتمبر (ايلول ١٩١١ من رود (روما) الى جراى ٠

ذكر هذا الأخير ان كل شخص استولت عليه الدهشة من الانذار الذى أعقبه ـ بعد أربع وعشرين ساعة ـ اعلان الحرب ، وأن المطالبة بضمانات للمستقبل أو تعويض ـ وهو الأمر الذى يبدو أنه يلبى المطالب الايطالية حتى ولو كانت مدعمة بمظاهرة بحرية ـ كان سيحظى بعطف الصحافة البريطانية « ... ولكننا والدول الأخرى تأثرنا لهذه الخطوة المتطرفة المتمثلة فى الضم بلا قيد أو شرط والذى أقدمت عليه ايطاليا ... ان مقالات الصحف لم تكن معادية ، والحقيقة أن الصحف علقت بقسوة أكثر من اللازم ، ولكن ازاء الصداقة التى نشعر بها هنا نحو ايطاليا فان العمل الايطالى كان صدمة كبرى للرأى العام » (٥٤) .

ولا شك أن هذا الموقف (المائع) من جانب بريطانيا انما يدل على النفاق ، بعدم رغبتها فى معاونة الدولة العثمانية وفى الوقت نفسه بعدم رغبتها فى الظهور بمظهر المؤيد صراحة للعمل الايطالى فى ليبيا رغم ما لمسناه فى أكثر من مناسبة من تأييد بريطانيا لايطاليا .

وهذا الموقف من جانب بريطانيا يرجع الى رغبتها فى كسب مودة ايطاليا حتى تتخلى الأخيرة عن مركزها فى المحالفة الثلاثية مع المانيا والنمسا من ناحية ، كما يرجع من ناحية أخرى إلى ان بريطانيا كانت قد أخذت منذ اواخر القرن التاسع عشر تتخلى عن سياستها التقليدية القائمة على مبدأ المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، خصوصا وأن هذه كانت تدعم علاقاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية مع الامبراطورية الألمانية فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى وبدرجة أشد فى عهد الاتحاديين .

ويتجلى هذا المناخ فى الحديث الذى جرى بين محمود شوكت باشا الوزير العثمانى فى حكومة الاتحاديين وبين سير جيرار لوثر السفير البريطانى فى الآستانة ، فقد ذكر الوزير العثمانى أنه علم برد الحكومة البريطانية عندما لجأت اليها الحكومة التركية لبذل المساعى الحميدة فى مسالة طرابلس ، ولكنه يأمل أن تعاود الحكومة البريطانية التفكير مليا فى موضوع قد تكون له أخطر النتائج والآثار على الدولة العثمانية ، واستطرد الوزير التركى فذكر أنه فهم أن الحكومة البريطانية لم تكن راضية عن ميل الحكومة العثمانية طوال العامين السابقين نحو بريطانيا ، واعترف الوزير بانه كان هناك فعلا ميل قوى جدا نحو المانيا ، وأنه اقترح على حكومته تحسين العلاقات مع بريطانيا ، وفى تبرير الوزير التركى لهذا الميل نحو المانيا ذكر أن الدولة العثمانية ـ بعد رفض بريطانيا وفرنسا ـ كانت مضطرة لقبول قرض من المانيا ، كما أبرمت مع المانيا اتفاقا لتمديد خط سكة حديد بغداد لفائدته الكبيرة للبلاد ، وفيما عدا ذلك فهو لا يرى

---

(٥٤) البرقية ١٨٩ فى ٢ اكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من جراى الى رود (روما) .

أنه كانت هناك محاباة لألمانيا ، بل ان هناك تيارا قويا يؤيد بريطانيا « ولكن اذا لم تتحرك بريطانيا الآن ولم تمد يدها لمساعدة تركيا فان الأمور قد تتغير » (أى سيضعف التيار المؤيد لبريطانيا فى الدولة العثمانية) ٠

وعندئذ رد عليه السفير البريطاني وعدد المعونة التى قدمتها بريطانيا للدولة العثمانية فى الأيام الاولى من العهد الجديد « ومع ذلك فان مصالحنا القائمة مهددة ٠٠٠ وليست الإمتيازات التى منحت لألمانيا هى مانشكو منه ، ولكنها سلسلة طويلة من الأعمال غير المشروعة التى راحت ضحيتها مصالحنا ورعايانا » ٠

وفى ختام اللقاء نصح السفير البريطانى الوزير التركى بالاستمرار فى عمل كل ما يستطيعون لتهدئة الراى العام العثماني ومحاولة ايجاد حل دون الالتجاء الى السلاح (٥٥) ٠ (هذا الحديث كان عشية الحملة على ليبيا) ٠

موقف المانيا بعد الانذار الايطالي واعلان الحرب :

وقبل أن نتناول موقف فرنسا ـ حليفة بريطانيا ـ يجدر بنا أن نتناول موقف المانيا صديقة الدولة العثمانية بعد توجيه الانذار الايطالى للحكومة العثمانية ونزول القوات الايطالية على سواحل طرابلس ، لأنه كان من واجب الحكومة الألمانية أن تبذل كل ما فى وسعها من أجل عدم الاضرار بالدولة العثمانية التى ربطت نفسها بالامبراطورية الألمانية وبخاصة فى عهد الاتحاديين ، وبسبب ازدياد النفوذ الألمانى فى الدولة العثمانية غضبت الدول الغربية عليها وبالتالى لم تفكر فى مد يد العون لها ٠

ولقد حفلت الصحافة الألمانية بمقالات وتعليقات بشأن الموقف الذى يجب على الحكومة الألمانية ان تتخذه ، وتذكر ايطاليا بموقفها خلال مؤتمر الجزيرة (تاييدا لفرنسا) ، وأنه لذلك يجب الا تتوقع ايطاليا معونة فعالة من ألمانيا ، وقد ذكرت احدى صحف درسدن أن الصحافة الايطالية كانت تعارض دئما فكرة مساندة ايطاليا لألمانيا فى مراكش استنادا الى التحالف الثلاثى ، وانه اذا اتخذت المانيا نفس الوقت فيما يختص بطرابلس مثلما فعلت ايطاليا بالنسبة لمراكش فانه لا لوم على المانيا ولا تثريب ، وان التزامات التحالف الثلاثى لم تنص على شىء يتصل بافريقية سواء بالنسبة لألمانيا أو لايطاليا ، وانه لما كانت ايطاليا قد دعمت علاقاتها مع فرنسا فى أثناء ازمة مراكش فان المانيا كذلك يجب الا تسمح لعلاقاتها مع تركيا بالانهيار ٠

---

(٥٥) الرسالة ٦٦٠ فى ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من لوثر (الاستانة) الى جراى ٠

وذهبت صحيفة ألمانية أخرى الى أن بريطانيا وفرنسا تدفعان ايطاليا الى احتلال طرابلس لأن بريطانيا تعلم تماما أن الدولة العثمانية هي عدوها اللدود وأن ألمانيا صديقة لتركيا ، وأن قهر ألمانيا شرط للقضاء على الدولة العثمانية والعكس صحيح • واستطردت الصحيفة فقالت ان ايطاليا ستتخلى عن المحالفة الثلاثية الى غير رجعة وهذا هو جوهر المشكلة الطرابلسية فى رأى الصحيفة الألمانية •

وأشارت صحيفة ثالثة الى أن ألمانيا صارت فى مركز حرج للغاية بأحداث طرابلس ، « فان الترك يعولون على تأييد ألمانيا ومساندتها ، واذا خاب رجاؤهم فسيتكون شعور بالمرارة نتيجة لذلك ، ومن ناحية أخرى فان أقل تعبير (من جانب ألمانيا) عن النوايا الطيبة نحو تركيا معناه تصدع المحالفة الثلاثية » (٥٦) •

وهكذا نرى أن المشاعر فى ألمانيا كانت موزعة بين ايطاليا والدولة العثمانية ، وقد رأت الحكومة الألمانية أنه من الواجب عدم اغضاب ايطاليا ، أما الدولة العثمانية فقد أدركت ألمانيا ـ على ما يبدو ـ أنها لن تتأثر كثيرا أو طويلا بموقف الحكومة الألمانية • ولذلك فانه عندما أبرق السلطان العثمانى الى الامبراطور الألمانى طالبا التدخل رد الامبراطور بأن « الحكومة الألمانية قامت بالاتصال أكثر من مرة بالحكومة الايطالية من أجل اتخاذ موقف أكثر ليونة ولكن دون جدوى ، والآن أعلنت الحرب ، **ونظرا لوجود محالفة مع ايطاليا فان التوسط صار مستحيلا وافضل طريق هو قبول الانذار واغلاق باب النزاع ، وتحتفظ ألمانيا لنفسها بتقديم وبذل مساعيها الحميدة فى اللحظة المناسبة»(٥٧)•**

كما ذكر وزير الخارجية الألمانية أنه يعتقد أنه من الأفضل عدم التدخل ، ويحسن الانتظار حتى يحتل الايطاليون طرابلس ، وبمجرد أن يتم ذلك ، فان ألمانيا سوف تتدخل فيتقدم السفير الألمانى فى الآستانة ببعض المقترحات ، وكان الوزير الألمانى يرى أن مساعى الوساطة فى هذه الحالة سوف تنجح حيث أن كلا من ايطاليا وتركيا تريد السلام (٥٨) • وبمعنى أصح لأنه حينئذ ستكون ايطاليا قد حصلت على ما تريد وتركيا قد غلبت على أمرها وتخلى عنها الجميع فلا مناص من الاستسلام للأمر الواقع •

كما تردد أن السفير الألمانى نصح حكومة الباب العالى بالا تعلق الآمال

(٥٦) الرسالة رقم ٢٩ فى ٢٨ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من جرانت دف (درسدن) الى جراى •

(٥٧) البرقية ٢٢٨ فى ٢ اكتوبر (تشرين أول) ١٩١١ من لوثر (الاستانة) الى جراى •

(٥٨) البرقية ٧٩ فى ٢ اكتوبر (تشرين أول) ١٩١١ من جوشن (برلين) الى جراى •

على تدخل ألمانيا ، وأن على الترك أن يوطنوا أنفسهم على فقدان طرابلس وأن يحاولوا بشتى الوسائل منع انتشار الأعمال الحربية الى مناطق أخرى (٥٩) .

برقية وولف :

ويتصل بموقف ألمانيا من الحرب الدائرة فى ليبيا بين ايطاليا والدولة العثمانية ما يعرف (ببرقية وولف) التى أحاط بها الغموض ولم يعلم أحد من المسئول عن اصدارها . وقد جاء فى هذه البرقية ان « الدوائر السياسية فى برلين ـ وهم كل الاعتبارات المتصلة بمصالح المانيا فى الشرق ـ تعتبر ان تصرف ايطاليا أتت ما يبرره بالنسبة لمصالحها الحيوية فى طرابلس ، وبالنسبة لموقف تركيا الاستفزازى هناك ، ويتساءل الناس بأى حق تتوقع تركيا أن تتخذ ألمانيا اجراءات لحماية ممتلكات تركيا فى طرابلس بينما تركيا نفسها قد أهملت كل اجراء وقائى من هذا النوع ؟ ان متاعب تركيا فى طرابلس فى ازدياد مطرد منذ شهر يناير لدرجة كان من الواجب عليها أن تتنبه الى ضرورة حماية مصالحها ، ولكنها بدلا من ذلك اتبعت سياسة مبهمة حتى بالنسبة لاصدقائها الألمان ، سياسة اثارة وتهجم مستمر على مشاعر ايطاليا كامة دون أن تقوم بأقل استعداد لمواجهة عواقب مثل هذه السياسة . وهناك احساس بأن اهمال الولاية كان لابد وأن يكون مصدر قلق لساسة ايطاليا الذين كانوا يخشون أن تؤدى سلبية الترك الى اغراء دول أخرى وهو الأمر الذى لا تستطيع ايطاليا أن تحتمله مهما كان الثمن » .

والبرقية صادرة عن (مكتب وولف للانباء) وهو مكتب شبه رسمى ، وقد أثارت هذه البرقية تعليقات شديدة من جانب الصحافة الالمانية ، فذكرت صحيفة فرانكفورتر زيتونج انها فضيحة مخزية وانها لا تمثل بالمرة وجهات نظر الدوائر السياسية فى برلين بل هى تزوير وتشويه لوجهات نظرهم القصد منه خداع الرأى العام الايطالى حول موقف ألمانيا من النزاع . كما أضافت الصحيفة ان ما جاء فى برقية وولف عن أعمال تركيا لطرابلس وسياسة مضايقة ايطاليا ومصالحها غير صحيح ويتناقض مع كل ما هو معروف من مصادر يعول عليها خلال السنوات الثلاث الماضية .

وطالبت الصحيفة بالحاح من أجل معرفة المسئول عن نشر هذه البرقية ، وتساءلت كيف لم يدرك هذا المكتب شبه الرسمى ان « هذه المذكرة تتعارض ليس فقط مع الحقيقة ولكنها أيضا تتعارض مع مصالح ألمانيا الحيوية وسياسة

---

(٥٩) البرقية ٢٣٠ فى ٢٢ أكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من لوشر (الإستانة) الى جراى .

حكومتها ، واخيرا طالبت الصحيفة كلا من وزارة الخارجية الالمانية ومكتب وولف باصدار تكذيب قاطع للبرقية جملة وتفصيلا (٦٠) .

ولكن لم يصدر أى تكذيب للبرقية لامن الخارجية الالمانية ولا من مكتب وولف ، وهذا دليل على ان الحكومة الالمانية لم تكن تعارض تماما اصدار مثل هذه البرقية المنسوبة الى مكتب وولف ، وفى الوقت نفسه أحدث نشر هذه البرقية اثرا طيبا لدى الرأى العام الايطالى ازاء موقف المانيا ، وهذا ما كانت تريده الحكومة الالمانية وتهدف اليه من هذه البرقية ، ومن ثم لم تكن وزارة الخارجية الالمانية تريد تكذيبها حتى لا تزيل الاثر الطيب الذى احدثته لدى الرأى العام الايطالى .

ولما كانت الحكومة الالمانية تخشى أن يترتب على موقفها هذا تحول الفوقان السياسى فى الآستانة من المانيا الى بريطانيا فقد أخذت تروج من أجل القيام بعمل مشترك بناء على مبادرة المانية من اجل تحديد نطاق وأمد الحرب التركية الايطالية ، وفى الوقت نفسه توجيه الاتهامات ــ عن طريق الصحف الالمانية المعروفة بكراهية بريطانيا ــ بان الحكومة البريطانية هى التى حرضت ايطاليا ، أو على الأقل لم تفعل شيئا لاثناء ايطاليا عن العدوان (٦١) .

ويتجلى هذا الاتجاه الأخير فى مقال نشر فى احدى صحف برلين جاء فيه انه « رغم ما يبدو فى الظاهر من ان ايطاليا هى الدولة التى عكرت صفو السلام فانه يجب ان نبحث عن الدافع الذى حركها فى خارج ايطاليا . ورغم ان ايطاليا تتطلع منذ مدة طويلة الى طرابلس فانه لا يمكن انكار أن رغبتها فى هذا الاتجاه قد هدأت فى الفترة الأخيرة ، ومن المعترف به ان جيوليتى كان يعارض الدخول فى نزاع مع الدول العثمانية . والتغير المفاجىء الذى طرأ على سياسة الحكومة الايطالية يجب ان نرجعه ــ كما تقول الصحيفة الالمانية ــ الى حالة الرأى العام وقد اثارته السلسلة الطويلة من المقالات الاستفزازية المثيرة التى ظهرت فى الصحف الايطالية . ومن المعروف ان جانبا كبيرا من الصحف لايطالية ــ كما تقول الصحيفة الالمانية ــ خاضع لنفوذ بريطانيا ، « ولذلك يمكن القول بان بريطانيا هى التى زجت بايطاليا ودفعتها الى خوض المغامرة الطرابلسية ، ودوافع بريطانيا واضحة الا وهى وضع الصعوبات والعراقيل فى وجه المانيا وهذه سياسة

---

(٦٠) الرسالة رقم ٣٠٦ فى ٤ اكتوبر (تشرين أول) ١٩١١ من جوشن (برلين) الى جراى .

(٦١) الوثيقة ٦١ بتاريخ ٣ اكتوبر (تشرين أول) ١٩١١ من كوربيت (ميونيخ) الى جراى .

معروفة عن بريطانيا ، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن المشكلة الطرابلسية تمثل عبئا ثقيلا على التحالف الثلاثى ، واثارة هذه المشكلة سيؤدى الى التهجم على مصالح ألمانيا ومركزها التجارى فى تركيا وبخاصة فى الأناضول ، وهو المركز الذى تنظر اليه بريطانيا بعين الحسد ••• » •

وتستطرد الصحيفة فتذكر أن « هدف بريطانيا هو تحطيم التحالف الثلاثى وجذب ايطاليا الى جانب الدول الغربية ، ومن المؤكد أيضا أن محاولات قد بذلت لتقويض مركز ألمانيا على ضفاف البسفور ووضع العقبات الواحدة تلو الأخرى فى طريق مشروعاتها التجارية فى الأناضول » •

وتختتم الصحيفة مقالها بأن اثارة المشكلة الطرابلسية ما هى الا محاولة أخرى من جانب بريطانيا لاثارة المتاعب لألمانيا ، « وعلى ذلك فان بريطانيا هى المتسبب الحقيقى فى تعكير صفو السلام » (٦٢) •

ومع تسليمنا بان بريطانيا لم تشأ أن تعارض المشروع الايطالى لغزو القطر الليبى معارضة جدية فان ألمانيا تقع عليها مسئولية أكبر لأنها وهى الصديق لتركيا والحليف لايطاليا كانت تستطيع أن تثنى ايطاليا عن غزو ليبيا والاكتفاء بمنحها مزايا اقتصادية وهو أمر لم تكن لتعارضه الدولة العثمانية خصوصا اذا كان ذلك سيؤدى الى تفادى ضياع الولاية منها نهائيا • كما أننا لا نقر ما ذهبت اليه الصحيفة الألمانية من أن جيوليتى كان يعارض الدخول فى نزاع مع الدولة العثمانية ، وأن رغبة ايطاليا فى تملك القطر الليبى قد هدأت فى الفترة الأخيرة فان الحقائق الثابتة التى تحدثنا عنها فى فصل سابق تكذب هذا الزعم •

موقف النمسا :

وبعد الحديث عن موقف الحكومة الألمانية بعد توجيه ايطاليا انذارها الى الحكومة العثمانية ننتقل الى الحديث عن موقف النمسا وهى الدولة التى كانت تضمها مع ألمانيا وايطاليا المحالفة الثلاثية ، كما أنها هى الدولة التى ـ رغم ذلك ـ كانت بينها وبين ايطاليا مشكلات معلقة سواء فى أقاليم (ايطاليا التى لم تحرر Italia Irredenta) أو فى البانيا ، وبسبب ذلك فان ايطاليا كانت تنفر من الاستمرار فى المحالفة الثلاثية وتحاول أن تقترب من الوفاق الثلاثى •

---

(٦٢) الوثيقة ١٥٤ بتاريخ أول اكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من كارترايت (فينا) ، الى جراى •

فقد شعر إلكونت اهرنتال وزير خارجية النمسا بالقلق الشديد عندما نشرت الصحف بنود الانذار الايطالى الموجه الى الحكومة العثمانية ، وكان السفير البريطانى فى فينا ـ كارترايت ـ قد زار وزير خارجية النمسا عقب زيارة سفير ايطاليا للوزير النمسوى ، ومع ذلك فان الوزير النمسوى لم يتحدث الى السفير البريطانى عن الانذار مما جعل السفير البريطانى يستنتج أن السفير الايطالى لم يذكر للوزير شيئا مطلقا عن الانذار .

وتكشف الوثائق أن قلق النمسا من غزو ايطاليا للقطر الليبى أنما كان يرجع الى خوفها من امتداد العمليات العسكرية بين ايطاليا والدولة العثمانية الى شبه جزيرة البلقان الأمر الذى يهدد مشروعات النمسا التى كانت تعتبر البلقان منطقة نفوذ لها ، تنافسها فيها ايطاليا مثلما تنافسها فيها روسيا .

وقد عبرت الصحف النمسوية عن هذا القلق فكتبت صحيفة Vaterland فى عددها الصادر فى أول أكتوبر (تشرين أول) ١٩١١ عن الآثار التى يمكن أن تترتب على اقدام ايطاليا على عمليات عسكرية ضد تركيا فى البانيا بأن « الخطوة الأولى لايطاليا هى احتلال طرابلس وستكون خطوتها التالية احتلال البانيا ، مبتدئة باحتلال الموانى كضمان للحيلولة دون التجاء الترك الى العنف ، ولكن بمجرد ان تتقدم القوات التركية بعد ذلك صوب ألبانيا فسيكون على الايطاليين احتلال سلسلة مرتفعات ألبانيا لوقف تقدم الترك وبذلك تصير كل البانيا فى حوزة الايطاليين ، وسيؤدى ذلك الى دخول الجبل الأسود الحرب ضد الترك كما سيحاول اليونانيون تأكيد حقوقهم فى ابيروس كما أن بلغاريا لن تتردد فى مهاجمة أدرنة لقطع خط الترك ، أما الصرب فانها لن تتردد فى الاستيلاء على صنجق نوفى بازار والأراضى المعروفة باسم الصرب القديمة ، ولن تستطيع تركيا الدفاع عن نفسها ضد ايطاليا تعاونها ثلاث أو أربع دول بلقانية وبذلك تصبح ايطاليا سيدة شبه جزيرة البلقان ، لأن دول البلقان بما فيها رومانيا ستضع نفسها تحت الزعامة السياسية والاقتصادية لايطاليا وبذلك ينهار نفوذ النمسا فى البلقان الى الأبد ، فهل ستحتمل ذلك ؟ .

انه بمجرد أن تصبح ألبانيا ملكا لايطاليا سيصير الجبل الأسود والصرب مراكز أمامية لايطاليا وبذلك تصير البوسنة ودالماشيا واستريا وتريست مهددة برا من ناحيتين ، كما أن مرورنا بين الادرياتيك والمتوسط يمكن أن يتوقف فى أية لحظة ، ولذلك فانه اذا لم تتذمر النمسا من امتلاك ايطاليا لطرابلس بدافع الحسد فان الامبراطورية الثنائية (النمسا والمجر) لا تستطيع أن تسمح للصراع حول طربلس أن يقدم للايطاليين ذريعة لغزو ألبانيا واشتعال الحرب فى البلقان ، ان مركز النمسا والمجر كدولة سوف يقضى عليه ببساطة بسبب النتائج السياسية والاقتصادية التى ستترتب على تطور الأحداث » .

وتتساءل الصحيفة « عما يحدث اذا لم تتدخل النمسا والمجر حتى تنجح ايطاليا في احكام قبضتها تماما على ألبانيا ، وترد على تساؤلها بأن حربا بين الدولتين (ايطاليا والنمسا) ستكون أمرا لا مفر منه ، وستنضم دول البلقان في هذه الحرب الى جانب ايطاليا ، ولما كان انتصار الترك عندئذ سيكون مؤكدا فان دول البلقان لذلك سوف تلجأ الى روسيا طلبا للعون » (٦٣) ٠

وقد علم كارترايت سفير بريطانيا فى فينا من شخص وثيق الصلة بوزارة خارجية النمسا ان الموقف بالغ الخطورة لان العمليات البحرية الايطالية جرت فى الادرياتيك ضد الترك ولو انه لم يحدث انزال لجنود ايطاليين في بريفيزا ولكن رفع العلم الايطالى لكى يرفرف على مدى البصر من البانيا من شأنه أن يزيد هيبة ايطاليا فى هذا القطر (البانيا) ولا يمكن للحكومة النمسوية أن تنظر الى ما يجرى بلا اكتراث أو مبالاة ، ومن المحتمل أن تحتج حكومة النمسا على العمليات البحرية الايطالية أمام ساحل الادرياتيك ، هذا على الرغم من الرسالة الدورية التى وجهها وزير خارجية ايطاليا الى ممثلى ايطاليا فى دول البلقان يذكر فيها أنه مهما كانت الاجراءات التى قد تضطر ايطاليا الى اتخاذها لتسوية النزاع فى طرابلس فان اساس سياستها لا يزال هو المحافظة على الوضع القائم فى البلقان وعلى كيان تركيا فى أوربا (٦٤) ٠

وكانت الدوائر الرسمية فى فينا فى غاية القلق ، وتأمل أن تلتمس ايطاليا الحذر الشديد فى ادارة عملياتها الحربية ، ولذلك يبدو – كما يقول السفير البريطانى فى فينا – أن التعليمات صدرت الى كل ضباط الحاميات النمسوية المرابطة على الحدود الايطالية والى كل ضباط البحرية الذين يتمركزون في بولا بأن يكونوا على أهبة الاستعداد لعمليات محتملة (٦٥) ٠

ولكن ايطاليا فوتت على النمسا ان تتخذ منها موقفا معاديا بسبب البلقان، فاقتصر النشاط الايطالى على عمليات بحرية فى الادرياتيك مفضلة توجيه طعنة أخرى الى الدولة العثمانية في مكان آخر هو جزر بحر ايجه كما سيأتى بيانه :

---

(٦٣) الوثيقة ١٥٣ بتاريخ اول اكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من كارترايت (فينا) الى جراي ٠

(٦٤) البرقية ٧٠ في ٢٩ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من رود (روما) الى جراى ٠

(٦٥) البرقية ٩٩ (سرى للغاية) فى ٢ اكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من كارترايت (فينا) الى جراى ٠

موقف فرنســـا :

أما فرنسا فانه لم يكن ثمة غرابة فى موقفها أو شـــذوذ ، فهى ـ حتى من قبـل الانذار ـ تؤيد المخططات والأطماع الايطالية فى القطر الليبى صراحة ودون مواربة • ذلك أن الموقف تحدده صفقة تم فيها تبادل المنفعة بين الدولتين (مراكش مقابل ليبيا) ، ولكن ليس معنى التأييد تقـــديم العون لايطاليا عندما اقدمت الأخيرة على غزو ليبيـا عسكريا ، فقد كانت الدبلوماسية تستلزم من فرنســـا شيئا من المداراة ، ولذلك فانه عندما نشب القتال فى طرابلس قـــرر مجلس الوزراء الفـــرنسى ضرورة اصـــدار اعلان بالحياد ، واعتبر الحـــرب الأسبانية سابقة ومثلا يحتذى (٦٦) •

وعلى أثر ابلاغ الحكومة البريطانية للحكومة الفرنسية عن طلب الحكومة العثمانية التدخل لدى الحكومة الايطالية ورد بريطانيا على هذا الطلب عـــبر دى سيلف وزير خارجية فرنســـا عن اتفاقه مع وجهة النظر البريطانية فى أنه « لا يوجد فى الوقت الحاضر مجال للتدخل » ولو أنه لم يكن قد تلقى بعد طلبا مماثلا من الحكومة العثمانية ولكنه كان يتوقع تلقى هذا الطلب من السفير التركى فى باريس (٦٧) •

وهكذا نرى أن كل الدول الأوربية ـ الصديقة والمعادية للدولة العثمانيـــة ـ كانت تقف قلبا وقالبا مع ايطاليا وحملتها العسكرية لغزو القطر الليبى وانتزاعه من الدولة العثمانية •

---

(٦٦) البرقيـــة ١٦١ فى ٢٠ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من برتـــى (باريس) الى جراى •
(٦٧) البرقيـــة ١٦٣ فى ٢ أكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من برتى (باريس) الى جراى •

الفصـــل الخامس

الحمـــلة والمقـــاومة

على أثر اعلان الحرب قطعت العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين (تركيا وايطاليا) كما جرت العـــادة فى مثل هذه الحالة ، وقد كان من المفروض أن تقوم دولة ما برعاية مصالح ايطاليا فى الدولة العثمانية ، ودولة أخرى برعاية مصالح الدولة العثمانية فى ايطاليا ، الا أن الرأى استقر على أن تقوم ألمانيا وحـــدها برعاية مصالح كل من الدولتين المتحاربتين لدى الأخرى • وكان ذلك يبدو غريبا ولم يسبق له مثيل ، حتى فى نظر السفير البريطانى فى روما ، وقد رد السفير الألمانى فى روما على ذلك بأن هذه الحالة لم تحدث الا مرة واحدة عندما تعهـدت الولايات المتحـدة الأمريكية برعاية مصالح دولتين متحاربتين من دول أمريكا اللاتينية وهما بوليفيـا والأرجنتين ، وعلل السفير الألمانى هـــذا الموقف من جانب الحكومة الألمانية بان الأخيرة وجـدت نفسها فى وضع مريب بين حليفتها ايطاليا والدولة التى كثيرا ما أظهـرت لها الود والصداقة (تركيا) « وقد سعدت ألمانيا بسنوح الفرصة لها لكى تظهر نواياها الطيبة نحو كلا الطرفين » (١) •

وقبل اعلان الحرب رسميا مباشرة سحبت الحكومة الايطالية جاليتهـا من مدينـــة طـــرابلس بحيث لم يبق فيها ســـوى بعض الموظفين المدنيين بمبنى القنصلية ومعهم بعض رجال الدين انتظارا لترحيلهم أيضا • أما أفراد الجالية الايطالية فى بنغازى فانهم لم يرحلوا الا بعـــد اعلان الحـــرب (مســاء أول أكتوبر) أما بقية أفراد الجالية الايطالية فى المدن الأخرى والقرى فى القطـــر الليبى فانهم لم يغادروها حتى وقوع الهجوم ، ومع ذلك فقد عجزت المصـــادر الايطالية عن ذكر حادثة واحدة تعـــرض فيها أيطالى واحد من هؤلاء للاعتداء على شخصه أو عرضه أو ماله •

وقد أقدمت بعض سفن البحرية الايطالية على قطع خط الاتصـــال البرقى البحرى بين طرابلس ومالطة ، كما قامت سفن أخـرى بنسف محطـــة البرق فى مدينة درنة الأمر الذى أدى الى عزل ليبيـــا بأجمعها عن الآستانة ، ولم يبق ســوى الخطوط الداخلية للبرق والتى كانت تتصل بالآستانة عن طريق مصر ، وحتى هذه فقد توقفت بعد أن قامت السلطات البريطانية فى مصر بقطع الاتصال البرقى بين مصر وليبيا كما سيأتى بيانه •

ولـما كانت معظم أجهـزة الاتصال البرقى فى وحدات الأسطول العثمانى

---

(١) الرســالة رقــم ١٦٦ (سرى) فى أول اكتوبـــر (تشرين أول) ١٩١١ مـــن رود (روما) الى جراى •

فى أيدى الفنيين الايطاليين فقد صار من السهل على قيادة الأسطول الايطالي معرفة ومتابعة جميع تحركات الأسطول العثمانى بدقة ، وهذا ما مكن الأسطول الايطالى من انزال الضربات ببعض قطع الأسطول العثمانى عندما ينفرد بها وبخاصة فى بحر الادرياتيك وبحر ايجه الأمر الذى أثار مخاوف النمسا واحتجاجها ؛

أما الاسطول العثمانى ـ وقد كان يرابط فى ميناء بيروت ـ فقد تلقى التعليمات ـ بعد توجيه الانذار الايطالى ـ بمغادرة بيروت والالتجاء الى مياه الدردنيل (٢) ، ولم يغادرها بعد ذلك تاركا الحرية كاملة للأسطول الايطالى يصول ويجول فى البحر المتوسط وفى مهاجمة القطر الليبي ، وهذا هو السبب فى عدم اصابة الحملة الايطالية بخسائر فى وحداتها البحرية الحربية أو فى ناقلات الجنود والعتاد ، فوصلت الحملة كاملة ، ولو نشط الأسطول العثمانى فى أثناء الحملة لانزال بعض الخسائر بها حتى ولو لم يؤد ذلك الى اعاقتها عن الوصول الى هدفها ، ولكنها تصل ـ حينئذ ـ مرهقة تلعق جراحها فيكون من السهل على قوة الدفاع التركية والوطنية مقاومتها ، تلك القوة التى صار عليها مواجهة القصف من جانب وحدات الأسطول الايطالى دون مساندة بحرية لهم من وحدات الاسطول العثمانى القابع على ضفاف الدردنيل ٠

والآن نلقى نظرة عاجلة على قوات الطرفين ، لقد كانت الحكومة الايطالية تبغى من وراء الحملة الحصول على نصر سريع ولذلك استعدت لهذه الحملة استعدادا كبيرا كما لو كانت مقدمة على حرب مع دولة كبرى ، ولذلك فقد تتابعت دفعات وموجات من القوات الايطالية على الميدان حتى بلغ مجموع رجال الحملة مائة ألف رجل ، أما القوات العثمانية النظامية فان عددها ـ رغم اختلاف آراء الكتاب فى تقديرها ـ لم يتجاوز سبعة آلاف : خمسة آلاف فى طرابلس والفان فى برقة ، وبذلك يمكن القول بأن القوة العثمانية كانت أضعف من أن تواجه قوات الغزو الايطالى ٠ ويمكن أن يقال نفس الشيء عن الأسلحة التى كانت فى أيدى القوات العثمانية من ناحية عددها القليل وطرازها القديم المتخلف ، ورغم أن القوات العثمانية تلقت على ظهر الباخرة درنة التى وصلت الى طرابلس فى ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩١١ بعض العتاد ، الا أن كميته كانت قليلة فى رأى الكثيرين ، وعلى كل حال لم يكن هناك متسع من الوقت.

---

(٢) الرسالة ٢٢٦ فى أول اكتوبر (تشرين أول) ١٩١١ من لوثر (الاستانة) الى جراى ٠

للتدريب عليها والاستفادة منها بسبب تتابع الأحداث وتبعثر الحامية العثمانية فى شتى أنحاء القطر وبطء المواصلات .

ومن وسائل الدفاع كانت التحصينات على الساحل الليبى ، وعلى الرغم من أن بنغازى كانت بدون سور وبدون تحصين فان مدينة طرابلس ـ بحكم ماضيها فى الصراع البحرى بين الاسلام والنصرانية فى البحر المتوسط ـ كانت محصنة تحصينا طيبا ولها سور سميك عليه عدد من القلاع والأبراج يمكن الدفاع عنها ضد أى هجوم سواء من البر أو من البحر .

ولم يكن السلاح هو كل ما ينقص الحامية العثمانية ، بل انها أيضا كانت تفتقر الى القيادة العامة التى تستطيع التنسيق بين القوات التى تحت أمرتها ، فقد استدعى ابراهيم باشا والى طرابلس الى الآستانة ـ كما رأينا ـ وأعفى من منصبه قبل الحملة بحوالى شهر ونصف ولم تعين سلطات الآستانة واليا ولا قائدا عاما يحل محله حتى وصول الحملة . يضاف الى ذلك أن خزانة الولاية كانت خاوية ، لكل هذا فان السلطات الايطالية ـ وقد ضربت حصارا محكما بالأسطول الايطالى على شواطىء ليبيا ـ كانت على يقين من أن قوات الولاية العثمانية لن يكون أمامها الا الاستسلام ، خصوصا وأن الدولة العثمانية لم تستطع تعزيز حاميتها فى ليبيا طوال فترة الحرب الا ببعض من القيادة الاكفاء مثل أنور وعزيز على المصرى .

خطة الهجوم وخطة الدفاع :

ونتيجة للهزائم التى واجهت ايطاليا عسكريا من قبل (فى الحبشة) وسيباسبيا (فى تونس) ، علاوة على نزولها الى ميدان الاستعمار متأخرة فلم يبق لها سوى الفتات بالنسبة للامبراطوريات الاستعمارية الأخرى كالبريطانية والفرنسية والهولندية والبرتغالية ، فقد أصيب ساسة ايطاليا وعسكريوها بعقدة النقص جعلتهم يتوقون لاثبات عظمة ايطاليا سياسيا وعسكريا وذلك بمحاولة الحصول على نصر سريع حاسم يكون له صداه فى أنحاء العالم عن طريق احتلال سواحل ليبيا أولا وهو أمر يمكن تحقيقه ـ فى نظر الايطاليين ـ بسهولة بمعونة الأسطول الايطالى وفى غيبة الأسطول العثمانى .

أما من ناحية العثمانيين فانه ازاء عجزهم عن امداد حاميتهم فى القطر الليبى بالتعزيزات فقد اعتمدوا على بعض القادة الذين أمكن تهريبهم الى ساحات المعارك ، وعلى اثارة الحماس الدينى للشعوب العربية والاسلامية من أجل التطوع فى صفوف المقاومة ، على أن يكون الاعتماد الأساسى فى المقاومة على العنصر الوطنى .

وعلى الرغم من قيام الحرب فى ٢٩ سبتمبر (أيلول) فان هجوم

الاسطول الايطالي على مدينة طرابلس لم يحدث الا في الثاني من أكتوبر (تشرين أول) عندما وجه الجنرال فارافيللي انذارا يطلب فيه تسليم المدينة دون قتال بعد اخلائها من كل ما يعوق نزول الجيش الايطالي الى البر ، فجمع نشأت بك رئيس أركان حرب الجيش العثماني في طرابلس رجال الحكومة والاعيان وتداولوا فيما يجب عمله واستقر رأيهم على وجوب الدفاع عن البلاد وصد العدو ، كما اتخذ قرار مماثل في المجلس العسكري الذي عقده نشأت بك مع ضباط الحامية ، وبناء على ذلك فانه في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم ٣ أكتوبر ١٩١١ أمر الاميرال فارافيللي وحداته البحرية بقصف مدينة طرابلس وبذلك بدأ القتال الفعلي ،وردت على القصف بعض قلاع المدينة التي اخذت – لضعفها تصمت الواحدة تلو الأخرى ، ولما رأت حامية المدينة ذلك وجدت انه من الأفضل ان تنسحب ، ويذهب البعض الى ان الحامية انسحبت قبل القصف تاركة قوة ضئيلة في القلاع وذلك بناء على طلب قناصل الدول حقنا للدماء ، ثم انضمت الى القوات المنسحبة جنود القلاع التي تم احتلالها صباح الخامس من أكتوبر .

وفي صباح الرابع من اكتوبر كانت قوة بحرية ايطاليا قد باغتت ميناء طبرق بعد ان ترددت شائعات بان اسطولا بريطانيا يتجمع في السلوم لاحتلال طبرق ، وفي مجابهة الاسطول الايطالي حاول قائد الحامية العثمانية – وليس تحت أمرته سوى خمسة وعشرون جنديا – مقاومة الغزو ، ورغم المقاومة فقد اضطرت الحامية الى الانسحاب الى خارج المدينة فاحتلها الايطاليون « فكانت أول بقعة من ارض الوطن الليبي تطؤها أقدام المحتلين الغزاة » .

أما نزول القوات الايطالية الى البر في طرابلس لاحتلالها فقد تم صباح الخامس من أكتوبر بعد سكوت قلعة الحميدية آخر قلاع المقاومة ، ورغم صمت قوات المقاومة التي انسحبت فان البوارج الايطالية عندما تقدمت الى مدخل الميناء في صباح ٥ أكتوبر امطرت المدينة ومبانيها بوابل من قذائفها دون أن تكون هناك قوة تقاومها .

وفي التاسع من اكتوبر اصدر الاميرال فارافيللي أول منشور عسكري الى اهالي طرابلس اعلن فيه استيلاءه على المدينة باسم ملك ايطاليا وأنه عين رافاييل بوريا ريتشي حاكما عاما لها مع منحه كامل السلطات المدنية والعسكرية ، وفي محاولة للتقرب الى السكان ادعى ان ايطاليا انما اضطرت للاستيلاء على المدينة بقوة السلاح من أيدي الاتراك الذين يسيطرون عليها وعليهم ، ووعدهم بمستقبل زاهر وحياة هانئة في ظل الحكم الملكي الايطالي الجديد (٣) .

---

(٣) نص المنشور بالايطالية انظر : بازامة – العدوان ص ٨١ .

وفى صباح اليوم التالى (١٠ أكتوبر) أقيم لتنصيب الحاكم الجديد حفل حضره رجال السلك السياسى كما أرغم على حضوره بعض أعيان المدينة . وقد حاولت مجموعة صغيرة (من الوطنيين أو من الترك) فجر يوم ١٠ أكتوبر التسلل الى معسكر الغزاة لعله بقصد قطع مياه الشرب عن المدينة ، ولكن الايطاليين تصدوا لها بمعونة مدفعية الاسطول مما اضطرها الى الانسحاب وتعرف هذه العملية (بهجوم ابى مليانة الليلى) .

وفى احتفال رسمى جرى بمدينة نابولى فى ٩ أكتوبر ١٩١١ استعرض ملك ايطاليا فكتور عمانويل الثالث السفن المحملة بالجنود محييا ومودعا قوات الحملة بقيادة القائد كارلو كانيفا . وفى هذا الاحتفال الرسمى قام رجال الدين من القسس والرهبان بمباركة سفن الحملة بينما كانت نواقيس الكنائس تدق والصلوات والابتهالات تردد فى داخلها ، ووزعت على جنود الحملة وقوادها الصلبان المهداة من البابا (٤) .

مما يؤكد الطابع الدينى للحملة ما أعلنه الكاردينال فانوتيلى من أن « ايطاليا تتم اليوم رسالتها التمدينية ، لأنها ستقيم الصليب فى طرابلس حيث خفق الهلال يوما ما » .

ولما كانت الحملة الايطالية كبيرة العدد كثيرة العتاد فقد جرى نقلها على دفعات ، ولم تخرج من نابولى فقط ولكنها خرجت من موان أخرى أيضا ، أما قافلة نابولى فقد كانت الأولى اذ أبحرت فى نفس يوم الاحتفال (٩ أكتوبر)، وما أن وصلت طليعة الحملة الى طرابلس حتى سارع حاكم المدينة الى نشر بيان على الشعب (يزف) فيه نبأ وصولها مذكرا بأنها انما « قدمت الى هذه البلاد لكى تجيركم وايانا وتكف عنكم وعنا عدوكم وعدونا » (٥) . ولم تتجه القافلة الثانية الى طرابلس ولكنها اتجهت الى درنة وبنغازى لاحتلالهما .

وفى يوم ١٢ أكتوبر (تشرين اول) أصدر القائد العام للحملة الجنرال كانيفا منشورا باللغة العربية وزع على الأهالى حاول فيه محاكاة منشور بونابرت الى أهالى مصر سنة ١٧٩٨ . وقد استهل كانيفا منشوره « بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على كافة الأنبياء والمرسلين صلى الله وسلم عليهم أجمعين .

---

(٤) محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ١٣٤ .

(٥) بازلمه : المصدر السابق .

بأمر ملك ايطاليا المعظم فكتور عمانويل الثالث نصره الله وزاده مجده
أنا الجنرال كارلو كانيفا قائد الجيوش الأيطالية الموكل اليها انهاء حكم الاتراك في طرابلس والقيروان (٦) والمناطق التابعة لها ، الى جميع السكان الذين لهم في المناطق المذكورة مقر من شاطىء البحر الي آخر المناطق الداخلية ٠٠٠ ٠٠٠ أن العساكر الخاضعة لأمرى لم يرسلها جلالة ملك ايطاليا ـ حماه الله ـ لاستعباد واستبعاد سكان طرابلس والقيروان (برقة) وفزان والبلاد الأخرى التابعة لها التى توجد الآن تحت سيادة الاتراك بل لتعيد اليهم حقوقهم وتقتص من المعتدين عليهم سواء كان من الاتراك أو أى شخص كان يريد استرقاقهم ، وعليه فأنتم يا سكان طرابلس والقيروان وفزان والبلاد الأخرى التابعة لها من الآن سيحكمكم رؤساء منكم موكل اليهم أن يقضوا بينكم بالعدل والرأفة عملا بقوله تعالى « واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وستكون هذه الأحكام تحت حماية ورعاية ملك ايطاليا السامى حرسه الله ٠ واعلموا أنه ستبقى الشرائع الدينية والمدنية محترمة ، ويحترم الاشخاص والممتلكات والنساء والحقوق وجميع الالتزامات المختصة بأماكن العبادة والبر ، ٠٠٠ ٠٠٠ وسيقضى بينكم بالعدل طبقا للشريعة وحسب أومراها بواسطة قضاة اشتهروا بالتفقة فى الشرع ٠٠٠ ٠٠٠ فالكتاب والقانون والسنة فقط تقضى وتحكم بينكم واذا وجد من لا يخدم الشرائع ويمس حرمة النساء أو ينتهك حرمة الملك ، أو يقاوم أو يثور على ارادة العناية الالهية التى أرسلت ايطاليا الى البلاد ٠٠٠ فسيكون الانتقام منه عظيما ٠٠٠ ٠

يا سكان طرابلس والقيروان والمناطق التابعة لها اذكروا أن الله قال فى كتابه العزيز (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من ديأركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) وقد جاء أيضا (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) ٠ وجاء أيضا (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها من عبادى الصالحون) أى الذين يصلحون الأرض ويمنعون منها الفساد وينشرون فيها العدل والعمران ، ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ وجاء أيضا (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شىء قدير) ٠٠٠ ٠٠٠

فارادة الله ومشيئته سبحانه قضتا أن تحتل ايطاليا هذه البلاد ٠ لأنه لا يجرى فى ملكه الا ما يريد فهو مالك الملك وهو على كل شىء قدير ، فمن أراد أن يظهر فى الكون غير ما أظهره مالك الملك رب العالمين المنفرد بتصرفاته فى ملكه الذى لا شريك له فيه فقد جمع الجهل بأنواعه وكان من الممترين ٠

وبناء عليه يلزم على كل مؤمن أن يرضى ويسلم بما تعلقت به الارادة الربانية وأبرزته القدرة الالهية ، فالملك له سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء ٠

---

(٦) يقصد برقة ، والقيروان تعريب خاطىء لكلمة توريفيتيا اى برقة ٠

فايطاليا تريد السلام ، وتريد أن تبقى بلادكم اسلامية تحت حماية ايطاليا وملكها المعظم ، ويخفق فوقها العلم الثلاث الألوان : ابيض واحمر واخضر اشارة الى المحبة والايمان وعشم الخير » (٧) .

وقد أردنا من ايراد معظم فقرات نص المنشور ان يستدل القارىء على مدى ما حواه من مغالطات تتجلى بوضوح فى الاستدلال بآيات من القرآن الكريم دون ادراك مدلول هذه الآيات ، فهو يستخدم قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ... ... الخ) لكى يضع المسلمون فى القطر الليبى سلاحهم ، فان الآية – على العكس – تستحث المسلمين على حمل السلاح ضد الايطاليين الغزاة الذين جاءوا يقاتلون أهل ليبيا فى دينهم ويخرجونهم من ديارهم ، وكذلك قوله تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) فهل كان الايطاليون يجنحون للسلم بحملة الغزو الضخمة حتى يسالمها أهل ليبيا ؟ .

كما أراد المنشور الايطالى أن يدخل فى روع الاهالى انه يبغى خلاصهم من نير الحكم التركى ، وعلى الرغم من بعض النفور الذى كان يشعر به الأهالى من هذا الحكم الا أنهم لم يفكروا – بدافع من عقيدتهم – فى الانسلاخ عن الدولة العثمانية ، دولة الخلافة ، واذا كان الحكم التركى سيئا فهل سيكون الحكم الايطالى لليبيا افضل منه ؟ ان اقل ما يقال فى الحكم العثمانى أنه حكم اسلامى كان – رغم سيئاته – يترك الأهلين وشأنهم ويحترم عاداتهم وتقاليدهم، ولذلك فهو أفضل من الحكم الايطالى الذى كان معروفا للجميع أنه يهدف الى استعمار البلاد واستغلال خيراتها ، ويسوم أهلها سوء العذاب .

ولقد أراد المنشور أيضا أن يدخل فى روع أهل ليبيا أن احتلال ايطاليا لبلادهم انما يرجع الى ارادة الله ومشيئته وعليهم أن يخضعوا لهذه الارادة وهذه المشيئة ، ولو قاوموا الاحتلال فان ذلك – فى نظر الطليان – يعتبر معارضة لارادة الله ومشيئته .

ولكن هذه المغالطات الايطالية لم تنطل على الأهالى الذين وقع عليهم عبء الدفاع عن القطر الليبى بصرف النظر عن الدور الذى تستطيع قوات الحامية العثمانية القيام به . فقد أدرك الليبيون أنهم هم أصحاب البلاد الشرعيين وأنهم يجب أن يقاوموا الغزو الايطالى بكل قوة وعناد واصرار لا لمناصرة القوات العثمانية الاسلامية فحسب بل للدفاع عن حقهم هم ، وهذه مسألة لم يقدرها الايطاليون حق التقدير .

وتؤكد الوثائق قوة المقاومة للغزو الايطالى واصرارهم بشكل لم يكن يتوقعه

---

(٧) نص المنشور – انظر بازائه ص ص ٩٥ – ٩٩ .

الايطاليون أو البريطانيون ، فقد كتب السفير البريطاني في روما الى وزير الخارجية البريطانية بأن طرابلس صارت ـ بعد احتلالها ـ مسرحا لاشتباكات تبرهن ـ حسب المعلومات والأخبار الواردة ـ على أنها خطيرة وتدل على أن الآمال التي كانت معقودة على ميول العرب (الطيبة) كانت مغرقة في الوهم ، وحذر السفير من الصعوبات التي تنتظر الايطاليين في التعامل مع هذا الشعب (٨) ٠

وعاد السفير مرة أخرى ليؤكد انه طبقا لتقرير الملحق العسكري البريطاني يتضح انه « مازال أمام الايطاليين مهمة صعبة للغاية ، وهذا الرأي يؤيده السفير الألماني في روما (استنادا الى تقرير الملحق البحري الألماني الذي عاد من طرابلس الى روما وكذلك الملحق البحري الفرنسي مما يؤكد أنه رغم كل الظروف التي كانت تجعل من المتوقع استسلام العرب فقد عاد هؤلاء الى الظهور في مؤخرة الايطاليين بل وفي مدينة طرابلس ذاتها » (٩) ٠

وفي صبيحة ١٤ اكتوبر (تشرين أول) أعاد الأهالي الكرة بالهجوم مرة أخرى على موارد الماء في بومليانة لقطع المياه عن العدو في طرابلس ، ورغم استماتة الأهالي واستخدامهم المدفعية فقد ركز لايطاليون دفاعهم ادراكا منهم لخطورة العملية حتى اضطر الأهالي الى العودة ٠

وازاء الاجراءات التي اتخذها الايطاليون لقطع صلات القطر الليبي بالدولة العثمانية بقطع الاتصالات البرقية بينهما وفرض الحصار البحري على السواحل فان رجال السلطة العثمانية في ليبيا كانوا يتصرفون من تلقاء أنفسهم ودون الحصول على تعليمات من الحكومة في الآستانة تلك الحكومة التي كانت في حيرة من أمرها هي الأخرى ، فالسلطان يستجدي رؤساء الدول من أجل التوسط بفض النزاع دون قتال ، والحكومة تواجه ضغطا من الرأي العام بما في ذلك مجلس المبعوثان مما دفعها الى الاستقالة ـ كما رأينا ـ لتخلفها حكومة جديدة لم تستطع هي الأخرى أن تتخذ موقفا محددا من الأزمة ٠

ولذلك اتصل نشأت بك ببعض الزعماء الوطنيين مثل سليمان الباروني وفرحات الزاوي من أجل التعاون في الدفاع ضد العدو المغير ٠ واستطاع الزعيمان الوطنيان جمع عدد من المتطوعة كانوا نواة القوة الوطنية التي قاومت الاحتلال الايطالي ، وانتشرت فكرة المقاومة في مختلف البلاد ، و في الوقت نفسه تلقى نشأت بك أمرا من الآستانة بالاستمرار في المقاومة ٠

---

(٨) الرسالة رقم ٢١٦ في ٢٦ اكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من رود (روما) الى جراي ←

(٩) الرسالة رقم ٢٣٣ (سري) في ٦ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١١ من رود (روما) الى جراي ←

ولما كان الايطاليون قد احتلوا طبرق وطرابلس وبينهما مسافة تزيد على الف وأربعمائة كيلو متر فقد صارت القيادة الايطالية ترى من واجبها احتلال مواقع أخرى على الساحل بين طبرق وطرابلس لتقصير المسافة بين المواقع المحتلة ، ولذلك اتجهت قوة ايطالية لاحتلال مدينتى درنة وبنغازى ونزلت جنود البحرية لاحتلال درنة بين ١٩ ، ٢١ أكتوبر ٠

أما بنغازى فقد بدأت سفن الأسطول الايطالى تتخذ مواقعها أمامها فى ١٨ أكتوبر ، ولما رفض شاكر بك قائد الحامية العثمانية الاستجابة للانذار الايطالى بالتسليم شرعت مدفعية الأسطول صبيحة يوم ١٩ أكتوبر في قصف المدينة قصفا مكثفا ،و أنزلت قوة فى موقع يسمى جليانه لم تكد تتخذ مواقعها حتى أخذت القوات العربية التركية تمطرها بوابل من الرصاص وهى متحصنة في مواقع تجعلها فى مأمن من مدفعية الأسطول الأيطالى ، وفى الوقت نفسه كانت القوات الايطالية تحتمى وراء الكثبان الرملية على طول الساحل مما مكنها من التكاثر والانتشار ، الأمر الذى أدى الى عجز قوات المدافعين عن التصدي للمدفعية مما أدى الى انتهاء المعركة لصالح الايطاليين رغم استمرارها يوما كاملا ، فكانت أول معركة بالمعنى الصحيح ٠

وقد أدت المقاومة التى أبداها الأتراك والوطنيون الي حنق الايطاليين فأخذوا فى قصف المبانى السكنية بالمدينة ، وفي البداية كانت المدفعية الأيطالية تتحاشى قصف الحى الأوربى فى بنغازى ، ولكن بعد ذلك عندما استؤنف القصف ردا على الهجوم العنيف والمقاومة الصلبة التى صادفها الجنود الايطاليون عندما نزلوا الى البر ، شمل القصف الحى الاوربى أيضا (١٠) مما أدى الى تهدم جزء من الجامع الكبير وجانب من القنصلية البريطانية حيث كان يحتمى الأوربيون ، مما اضطر القوات الوطنية ـ انقاذا للأرواح ـ الي الانسحاب الى جنوب وشرق المدينة ٠ وفى صباح ٢٠ أكتوبر أقيم حفل لرفع العلم الايطالى على بنغازى حضره القنصلان البريطانى والفرنسى وفرغت السلطات الايطالية فى تجريد أهالى المدينة من السلاح باعلان عقوبة الاعدام الفورى وتفتيش المساكن ٠

وقد توالت الصعوبات امام الايطاليين فى بنغازى بعد احتلالها فرغم أنه كان لهم فيها خمسة وعشرون الف جندى (أى ما يساوى تعداد أهل المدينة) فقد كانت المنطقة التي يسيطر عليها الايطاليون أقل اتساعا منها فى طرابلس ، وكان الايطاليون ـ كما يقول تقرير لنائب القنصل البريطانى ـ يقيمون فى مواقع لا تبعد عن المدينة الا بمسافة تتراوح بين ميل وثلاثة اميال حيث تستمر هجمات الترك والعرب عليهم ٠ « وعرب برقة يبدو أكثر قوة وتصميما من

(١٠) البرقية ١٢٧ بتاريخ ٢٦ اكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من رود (روما) الى جراى ٠

(م ـ ٦ الرسالة)

عرب طرابلس (كذا) ويعتقدون أن ايطاليا لن تستطيع الاستمرار الى ما لا نهاية فى تحمل النفقات وسوف ترغم على التخلى عن محاولة غزو الاقليم (برقة) ، والأهالى هنا (فى برقة) من الناحية القبلية واللهجة والعلاقات التجارية يرتبطون بعرب مصر أكثر مما يرتبطون بعرب الغرب (طرابلس) وهم يكنون عداوة شديدة للايطاليين ، ويفضلون الانضمام الى مصر ، ويعلن بعضهم أنه لو أبرم السلطان الصلح مع ايطاليا على أساس التنازل لها عن برقة فان العرب سيعتبرون الترك خونة ولن يسمحوا للجند النظاميين من الترك بمغادرة الاقليم ... » (١١) .

والى جانب تأكيد التقرير لتصميم أهل برقة على مقاومة الحملة الايطالية فقد وردت فيه عبارات قد تكون لها دلالتها كارتباط أهل برقة بأهل مصر أكثر من ارتباطهم بأهل طرابلس ، وتفضيل أهل برقة الانضمام الى مصر ، ومن المحتمل أن تكون هذه الآراء التى أبداها نائب القنصل البريطانى مقدمة لتفكير بريطانى فى ضمم برقة الى مصر الخاضعة للحكم البريطانى على أن تترك طرابلس فقط للايطاليين .

وقد داهمت القوات الايطالية مدينة الخمس الواقعة غربى طرابلس واستمر القتال بضعة أيام استطاعت القوات المدافعة التركية والعربية خلالها ارغام القوة المهاجمة على العودة الى السفن من جديد فكانت أول هزيمة حقيقية تلحق بالجيش الايطالى فى عملية الغزو ، واستمرت مدفعية الاسطول تقصف البلدة دون تمييز مما اضطر المدافعين الى الانسحاب منها وبذلك استطاع الايطاليون احتلالها يوم ٢١ أكتوبر .

ومما يؤكد عنف المقاومة للغزو وتكبد الايطاليين لخسائر فادحة ما ذكره السفير البريطانى فى روما من أنه علم من مصدر موثوق به (أن خسائر الايطاليين من الجرحى لا تقل عن الألف أسبوعيا وأن الذين يعادون الى ايطاليا لا يقل عن ثلاثة آلاف كل شهر وهى نسبة كبيرة »(١٢) . بل لقد اعترف كثير من الايطاليين أنفسهم بمتاعب ايطاليا وبأنهم ضللوا وخدعوا بشأن الموقف المنتظر من عرب طرابلس « وان المسئولية فى ذلك الخداع تقع على عاتق أولئك الذين كانت لهم مصالح مالية فى تلك البلاد يريدون استثمارها » (١٣) .

---

(١١) الوثيقة رقم ٣ (سرى) من فيتز موريس نائب القنصل البريطانى فى ٢٩ يناير (كانون ثان) ١٩١٢ .

(١٢) الوثيقة رقم ٤٤ بتاريخ ١٣ فبراير (شباط) ١٩١٢ من رود (روما) الى جراى .

(١٣) الوثيقة رقم ١٣٩ (سرى) فى أول يونيو (حزيران) ١٩١٢ من رود (روما) الى جراى .

صدى العدوان فى العالمين العربى والاسلامى :

بمجرد أن أعلنت ايطاليا الحرب على الدولة العثمانية ثارت ثائرة العالمين العربى والاسلامى وعبرت الشعوب العربية والاسلامية عن مشاعر التأييد والمساندة لدولة الخلافة، والسخط على ايطاليا الدولة المعتدية ، وتفاوتت مظاهر هذا التأييد بين تأييد معنوى وتأييد مادى محدود ، علما بأن معظم أقطار العالم العربى والاسلامى كانت وقتئذ تئن تحت سيطرة الاستعمار الغربى ، ولم تكن تملك من أمر نفسها شيئا ، وهذا ما جعلها لا تستطيع أن تتقدم للدولة العثمانية أو للقطر الليبى العون المادى الكافى والذى كان فى حاجة اليه فعلا لشد أزره فى كفاحه ضد الغزاة .

فقد أبرق الامام يحيى حميد الدين امام اليمن الى الخليفة معلنا استعداده للقيام بمائة ألف جندى تحت قيادته ، هذا فضلا عن قبوله الصلح مع الدولة العثمانية حتى تستطيع التفرغ لمحاربة المعتدين الغزاة ، كما حاولت السلطات العثمانية أن تقنع السيد الادريسى فى عسير باتخاذ موقف مماثل .

كما أبرق عبد العزيز آل سعود أمير نجد الى السلطان بأن « مقاطعة نجد تفخر اليوم من كل جوارحها بأنها مقاطعة عثمانية ... وأنه وجميع القبائل التى تحت أمره مستعدون للزحف فى ظل الاعلام العثمانية الى حيث تأمرهم الدولة العلية » .

بل سارت مظاهرات فى جزيرة مورشيوس فى المحيط الهندى ورفع المتظاهرون احتجاجا الى وزير خارجية بريطانيا . وتوالت الاحتجاجات من كل أنحاء العالم الاسلامى حتى منال هند والصين ، مما أقلق بعض ساسة الدول الاستعمارية ، فصرح هانوتو (وزير سابق للخارجية فى فرنسا) بأن ايطاليا بهجومها على ليبيا لم تجن على نفسها فحسب بل جنت كذلك على بقية الدول الأوربية جناية لا يعرف مداها ، كما أن الحكومة البريطانية أخذت تلح على جيوليتى رئيس وزراء ايطاليا من أجل الاسراع بانهاء الحرب مع تركيا تفاديا لاثارة المشاعر فى جميع أنحاء العالم الاسلامى الذى يخضع جزء كبير منه للاستعمار البريطانى ، وذلك بعد أن طالب أحد زعماء المسلمين فى الهند الحكومة البريطانية بأن تكف عن سياستها العدائية للدولة العثمانية تفاديا لثورة مئات الملايين من المسلمين (١٤) .

---

(١٤) ستودار : حاضر العالم الاسلامى ج ١ ص ص ٣١٢ - ١٣ .

ولم يقتصر السخط على ايطاليا والتاييـــد للدولة العثمانية على الخطب والمظاهرات بل تجاوزه الى التطوع فى صفوف المجاهدين لمقاومة العدوان على هذا القطر الاسلامى حتى ليقدر البعض عدد المتطوعين فى أوائل سنة ١٩١٢ بستة عشر الف متطوع من شتى البلاد العربية والاسلامية ٠

واذا كان خضوع الحكومات العربية والاسلامية للسيطرة الغربية قد منعها من المشاركة فى الدعم والتاييد فان الشعوب العربية والاسلامية سارعت الى نشاط آخـر يتمثل فى تكوين اللجـان لجمـع التبرعات وارسالها الى المجـاهدين وشراء الأسلحة والذخائر لهم وتهريبها بقدر ما تسمح به الظـروف ، بالاضافة الى الأدوية والاسعافات والمؤن والملابس ، وكانت مصر وتونس بحكم موقعهما المجاور لليبيا من الشرق والغرب هما مركـز جمع التبرعات وتهريب المتطوعين ، ولو أن نشاط المصريين كان أوفر ، فتكونت فى ١٤ أكتوبر ١٩١١ اللجنة العليا لمساعدة مجاهدى ليبيا برئاسة الامير عمر طوسون ، وكان لهذه اللجنة نشـاط جم فى جمع التبرعات من البلاد العربية والاســلامية وارسالها الى الليبيين ، كما تكونت فى مصر أيضا جمعية الهلال الأحمر المصرى برئاســـة الشيخ على يوسف صاحب ورئيس تحرير المؤيد ، وقد قامت هذه الجمعية بتقديم الأدوية والاسعافات الطبية التى تحصـل عليها من مصر وســائر البلاد الغــربية ، بل وقررت انشاء عدة مستشفيات ميدان وتوالت بعوثها الطبية الى ليبيا ٠

وفى يناير (كانون ثان) ١٩١٢ أقيمت سوق خيرية فى حديقة الأزبكية لجمع التبرعات لجمعية الهلال الأحمر ٠

ولكن الحكومة المصرية بضغط من السلطات البريطانية اتخذت الكثير من الاجراءات لمنع وصول المؤن من مصر الى ليبيا ، فعين انجليز بدلا من المـأمورين المصريين فى الحدود الغربية ، ومنع أهل برقة وطرابلس من دخـــول الأراضى المصرية ، وفرضت على الحدود رقابة صارمة مما أثر على التجارة بين مصر وليبيا وارغمت على العودة كل قافلة جاءت بمتاجر من ليبيا الى مصر ، ورفض اللورد كتشنر المعتمـد البريطانى فى مصر ارســـال بعض أورط من الجيش المصرى لمساعدة الأتراك ، كما رفض الموافقة على تطوع جماعة من الضـــباط المصريين فى الجيش التركى ، وقد كان لكل هذه الاجراءات أثر ظاهر فى اضعاف المقـاومة ضــد الطليـان فى ليبيـا ، رغـم تسرب اعداد من الضباط والجنود الأتراك ـ رغم ذلك وبمعـــونة بعض المصريين ـ لمساعدة المجاهدين فى مقاومة الغـــزو الايطالى ٠

وقد حفل الشعر العربى فى ذلك الوقت بقصائد تلهب الحماسة وتثير الهمة وتندد بالعدوان (١٥) ٠

النشاط الحربى الايطالى خارج ليبيا :

وازاء المقاومة الصلبة العنيدة التى صادفتها القوات الايطالية منذ نزلت الى البر على الساحل الليبى سواء من جانب الترك أو من جانب الوطنيين بحيث صار من المتعذر عليها انهاء الحرب بسرعة وارغام تركيا على طلب الصلح وهو ما كانت ترجوه الحكومة الايطالية عندما قررت الاقدام على غزو القطر الليبى ، فقد رأت ايطاليا أن تحاول فتح جبهات جديدة أمام القوات العثمانية خارج القطر الليبى حتى تسبب الارتباك للحكومة العثمانية فتسعى هذه الى طلب الصلح ، كما أن مثل هذه الأعمال العسكرية خارج ليبيا سوف تؤدى الى قلق الدول الأوربية فتعمل من جانبها على اقناع الدولة العثمانية بانهاء القتال ، هذا على الرغم من البيان الذى أصدرته السفارة الايطالية فى لندن وفيه أعلنت انكارها للشائعات التى ترددت عن نزول قوات ايطالية فى أجزاء أخرى من الامبراطورية العثمانية غير طرابلس وبرقة ، وأنه ليس لدى ايطاليا نية لانزال قواتها فى أى جزء من أجزاء الامبراطورية العثمانية غير طرابلس وبرقة ، وان العمليات البحرية التى اضطر الأسطول الايطالى للقيام بها فى المياه الأوربية انما تهدف الى حماية السواحل الايطالية والمدن الايطالية

---

(١٥) لفؤاد الخطيب :

يا آل عثمان من ترك ومن عرب ... هبوا فقد صرخت تحت الثرى الرمم
صونوا طرابلس الغرب ارحموا بلدا ... حامت على أهله العقبان والرخم
يا صاحب السيف والاجال واحدة ... اسرع الى الحرب لا زلت بك القدم
يا صاحب المال والاموال بائدة ... بادر الى البذل لا ضاقت بك الهمم

ولاحمد الكاشف :

يا اخت مصر وفى جشاها جمرة ... لبيك حتى يكتفى الداعونا
بعثت اليك بزادها وتود لو ... بعثت اليك الجند مبتدرينا

ولحافظ ابراهيم :

احرقوا الدور استحلوا كل ما ... حرمت (لا هاى) فى العهد احتراما
بارك المطران اعمالهم ... فسلوه بارك القوم علاما
ابهذا جاءهم انجيلهم ... آمرا يلقى على الارض السلاما ؟

وللرصافى شاعر العراق :

الست تراهم بين مصر وتونس ... اباحوا حمى الاسلام بالقتل والنهب
وما اقصد الطليان بالذنب وحدهم ... ولكن جميع الغرب اقصد بالذنب

المفتوحة وتامين الحملة العسكرية على طرابلس ، والسفن التجارية الايطالية فى الادرياتيك وبحر ايونيان ضد الغارات التركية المحتملة (١٦) •

ومع ذلك ورغم البيان الايطالى فقد كانت الحكومة العثمانية تشعر بأن فى نية ايطاليا نقل الأعمال العسكرية العدوانية الى المياه الآسيوية وقصف مدنها الساحلية ، وتحدث فى ذلك السفير التركى فى باريس مع وزير الخارجية الفرنسية دى سيف ، واقترح السفير التركى ضرورة تدخل الدول لمنع ايطاليا من القيام بأى عمل على ساحل الأناضول وغيرها « مثلما حصلت النمسا على استثناء بحر الادرياتيك من الأعمال العسكرية » •

ولكن وزير الخارجية الفرنسية أجاب على طلب الدولة العثمانية بأن فرنسا تقف على الحياد ولا تستطيع التدخل فى هذا الأمر « ولكن اذا كانت الدول مجتمعة سوف تبحث الموضوع فان فرنسا لن تقف بمنأى عنه » ، وكان من رأى وزير الخارجية الفرنسية بحث هذه المسالة فى لندن ، وعندما أحاط توفيق باشا السفير التركى فى لندن سير آرثر نيكولسون وكيل الخارجية البريطانية بذلك رد الأخير بأن الحكومة البريطانية لا تعلم شيئا عن نوايا ايطاليا ، « ولا تستطيع ابداء الرأى فى أحداث ما زالت فى نطاق الاحتمال (١٧) » (أى لم تقع بعد) •

كما كان من رأى جراى وزير خارجية بريطانيا أنه ما لم تتأثر الدول الأوربية ذاتها مباشرة من الأعمال العسكرية الايطالية فان هذه الدول « لا تستطيع التدخل لدى روما حتى تظهر الدولة العثمانية استعدادها لقبول أساس ممكن للصلح » (١٨) •

وهكذا كان موقف بريطانيا وفرنسا يتفق مع موقفهما العام الذى عبرا عنه منذ بداية الأزمة وحتى قبل أن تنزل القوات الايطالية على سواحل طرابلس ، وهو ترك الدولة العثمانية بمفردها تواجه ايطاليا بجحافلها ، وتاييدها الضمنى لايطاليا ، وعدم بذل أية جهود للتدخل لفض النزاع بين الدولتين ، أو ـ على الأقل ـ قصر العمليات العسكرية على المنطقة موضع النزاع ـ ليبيا) وكانما أرادت الدول الا تتاح الفرصة لنجاح دفاع الاتراك عن طرابلس فيضطرون الى

---

(١٦) بيان الحكومة الايطالية ضمن الرسالة ١٦٢ فى اول اكتوبر ١٩١١ من رود (روما) الى جراى •والبرقية رقم ٨٠ الى جراى فى اول اكتوبر ومذكرة من المركيز امبريالى بتاريخ ٤ اكتوبر ١٩١١ الى جراى •

(١٧) الرسالة ٣٠١ فى ٣ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١١ من جراى الى لوثر (الاستانة) •

(١٨) البرقية ٣٠٢ فى ٢٢ نوفمبر من بوكانان (سان بطرسبورج) الى جراى •

طلب الصلح ، أى اتخاذ العمليات العسكرية خارج ليبيا كوسيلة للضغط على الدولة العثمانية حتى تطلب الصلح وهذه هى وجهة النظر الايطالية ذاتها .

فقد أبلغ السفير الايطالى فى سانبطرسبورج وزير خارجية روسيا بالنيابة (نيراتوف) أكثر من مرة ، كما أبلغ زميله السفير البريطانى أن ايطاليا تجد نفسها مضطرة ـ من أجل الوصول الى نهاية سريعة للحرب ـ لأن تقوم بعمل عسكرى حاسم فى مكان ما خارج مياه طرابلس،ولو أن السفير الايطالى لم يفصح عن المكان الذى تتطلع اليه ايطاليا (١٨) .

وقبل ذلك أعلن وزير خارجية ايطاليا « أن الأسطول الايطالى ، ولو أنه لا يريد ، الا أنه مستعد للاقدام على أى عمل فى بحر ايجة فى الوقت الحاضر ، ولكنه يأمل ن تتدخل الدول الأوربية لدى سلطات الآستانة لاقناعها بقبول ضم ليبيا الى ايطاليا ، ون ايطاليا على استعداد لأن تكون سخية للغاية فى التعويض » (١٩) .

وكانت الحكومة العثمانية تتوقع أن تتقدم ايطاليا على القيام بعمل عسكرى حاسم فى جزر ايجة وفى الدردنيل . وبالنسبة للدردنيل كانت الحكومة العثمانية تعتقد أن الهجوم الايطالى عليه سوف تكون له خطورته على المصالح التجارية للدول الأوربية ولذلك كانت تتوقع ألا تسمح هذه الدول بوقوع مثل هذا الهجوم (٢٠) ، ولا شك أن الحكومة العثمانية فى هذا الاعتقاد كانت متفائلة أكثر مما يجب ، وبالاضافة الى ذلك فقد كانت الحكومة العثمانية تفضل أن يكون الهجوم الذى تتعرض له ممتلكاتها هجوما بريا حيث يمكن أن تحرز فيه القوات التركية نصرا مؤزرا . وعلى كل حال فقد عبرت الحكومة العثمانية ـ على لسان وزير خارجيتها ـ الى السفير البريطانى فى الآستانة بأن الأحزاب التركية كلها مجمعة على أنه « حتى اذا ما تعرض الدردنيل للهجوم وتحولت الآستانة الى أنقاض فانهم لن يقبلوا الشروط التى تطالب بها ايطاليا فى الوقت الحاضر » (٢١) .

وكان الكونت اهرنتال ـ وزير خارجية النمسا ـ يعتقد هو الآخر أن أى عمل عسكرى من جانب اسطول الايطالى فى الدردنيل « سيكون بمثابة

---

(١٩) الرسالة ٣٠٢ فى ١٣ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١١ من جبراى الى لوثر (الاستانة) .

(٢٠) البرقية ٢١٣ فى ١٣ نوفمبر ١٩١١ من لوثر (الاستانة) الى جراى .

(٢١) البرقية ٣٣٥ فى ٦ ديسمبر (كانون اول) ١٩١١ من لوثر (الاستانة) الى جراى .

كارثة حقيقية على أوربا » وأن « مطالبة الدولة العثمانية للدول باتخاذ اجراءات لمنع ايطاليا من ممارسة النشاط العسكرى فى الدردنيل طلب معقول » ، ولذلك أمر باجراء بحث فى المعاهدات والاتفاقيات المبرمة مع الدولة العثمانية لمعرفة ما اذا كان فى بنود هذه المعاهدات ما يبرر التصرف (التدخل) من جانب الدول ، ولكنه فى الوقت نفسه كان يعتقد أن أى اجراء حيال هذه المسالة يجب أن يكون اجراء مشتركا أو جماعيا ، وأن المساعى يجب أن تبذل فى روما والآستانة معا ولا تقتصر على واحدة فقط من العاصمتين (٢٢) ٠

وازاء شعور ايطاليا بالاطمئنان الى أن الدول الاوربية لن تقدم اية معارضة لنشاطها العسكرى خارج ليبيا فقد قامت عمارة بحرية ايطالية من سفينتين حربيتين بضرب ميناء العقبة « رغم انه ـ كما جاء فى مذكرة السفير التركى فى لندن ـ ميناء مفتوح وغير محصن ، وهذا يخالف القانون الدولى والتعهد الذى وقعت عليه الدول بما فيها ايطاليا بعدم ضرب الموانى المفتوحة » وقد التزمت الحكومة البريطانية الصمت ازاء الحادث رغم أن كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر أبلغ حكومته بان حاكم سيناء أكد حادثة القصف (٢٣) ٠

والى جانب قصف العقبة فقد ابرق نائب القنصل البريطانى فى الحديدة الى السفير البريطانى فى الآستانة بان السفينة الحربية الايطالية دوجالى قد قصفت الشيخ سعيد ٣٠ نوفمبر فردت عليها نيران القلعة التركية ، كما قامت سفينة أخرى هى أريتوزا بقصف مخا ودمرت مدينة أخرى جنوب الحديدة (٢٤) ٠

وفى ١٧ يناير (كانون ثان) ١٩١٢ أطلقت سفينة حربية ايطالية قذائفها على مركز الحدود المصرية عند رفح حيث كان يوجد مركز تركى صغير يتكون من ثلاث خيام على بعد مائتى ياردة وراء حدود مصر ، وقد احتجت دار المعتمد البريطانى فى القاهرة لدى القائم بالأعمال الايطالى وطلبت منه تفسيرا للحادث ، رغم الاعتقاد بان الحادث وقع خطأ نتيجة الظن بان المركز المصرى هو المركز التركى ، الا أن السلطات البريطانية فى مصر

---

(٢٢) البرقية ١٢٤ فى ٢٢ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١١ من كارترايت (فينا) الى جراى ٠

(٢٣) البرقية ١٤٩ فى ٢٢ نوفمبر ١٩١١ من رود (روما) الى جراى ، ومذكرة توفيق باشا فى ٢٢ نوفمبر ايضا الى جراى ، والبرقية ٥٣ فى ٢٤ نوفمبر من كتشنر (القاهرة) الى جراى ٠٠

(٢٤) البرقية ٣٣٣ فى ٤ ديسمبر (كانون اول) من لوثر (الاستانة) الى جراى ٠

كانت تخشى ان يؤدى انتشار نبأ هذا الحادث الى ازدياد شعور السخط بين المصريين (٢٥) ٠

وقد عبرت الحكومة الايطالية عن اسفها لان بعض القذائف قد سقطت داخل الحدود المصرية بينما كان القصف موجها ضد الموقع التركى ، وابلغت الحكومة الايطالية بريطانيا بانها طلبت من ضباطها الحرص والحذر لعدم تكرار مثل هذا الحادث ٠

ومن العمليات العسكرية التى قامت بها القوات الايطالية ضد الدولة العثمانية خارج ليبيا مهاجمة بعض السفن الايطالية لميناء بيروت حيث كانت توجد سفينتان حربيتان عثمانيتان ، وقد نتج عن القصف تحطيم السفينتين العثمانيتن ونزول الاضرار بالمبانى والممتلكات فى المدينة ، وقد سبب هذا الحادث كثيرا من الاستياء بين الاهالى فى مختلف أنحاء الشام حتى انه تجمهر جمع كبير من المسلمين خارج دار الحكومة فى حلب يطالبون بالأسلحة التى تمكنهم من المحاربة دفاعا عن الاسلام ، وقد أبلغهم الوالى انه ليست هناك حاجة لخدماتهم فى ذلك الوقت ، وانه عندما تكون هناك حاجة اليهم فان الأسلحة سوف توزع عليهم ٠

وعقدت الاجتماعات فى المساجد حيث تذاكر الناس فى الحالة وأجمعوا على انه عند الحاجة اليهم يجب ان يهرع كل شخص الى ساحة الحرب دفاعا عن دينه ووطنه « ولكن هذه الاجتماعات لم تصطبغ بالتعصب العدائى ضد المواطنين المسيحيين » ٠

كما وصل الى حلب نحوا من ستين رجلا مدججين بالسلاح من عدة قبائل وأعلنوا عزمهم على التقدم الى العريش ومصر لمحاربة الايطاليين فى بنغازى ، وانه اذا أوقفتهم السلطات البريطانية ومنعتهم من العبور فانهم سوف يجمعون عشرين ألف رجل من رجال القبائل ويتقدمون لغزو مصر ذاتها (٢٦) ٠

أما بالنسبة للهجوم على الدردنيل فقد أنكر السفير الايطالى فى

---

(٢٥) البرقية رقم ٤ فى ١٨ يناير (كانون ثان) ١٩١٢ من تشيتهام (القاهرة) الى جراى ٠

(٢٦) الرسالة رقم ٢٢٠ فى ١٨ مارس (اذار) ١٩١٢ من لوثر (الاستانة) الى جراى ، ومرفق تقرير من فونتانا قنصل بريطانيا فى حلب بتاريخ ٥ مارس ١٩١٢ ٠

لنـدن ما يشـاع عن تحركات الاسـطول الايطالـى ضد الدردنيـل ، وأعلن ان حكومتـه لا ترغب فى توسـيع نطـاق عملياتها العسـكرية ، « ولكنهـا فى الوقت نفسـه يجب ان تحتفظ لنفسـها بحرية العمل ولا تسـتطيع أن تعطى أى تعهد » يغـل يدهـا عن أى عمليـة عسكرية ضد الدولة العثمانية خـارج ليبيـا بما فى ذلك الدردنيـل ٠

وعلى الرغـم من أن وزير الخارجيـة البريطانية أكـد للسفير الايطالـى قلـق حكومته لاحتمال اغـلاق الدردنيـل (فى حالة الهجوم عليه وتهديـده) حيث سيؤدى ذلك الى الاضرار بالتجـارة البريطانية ، عـاد السفير الايطالى فى لنـدن ليؤكد أن حكومتـه لا تسـتطيع أن تعطى أى تعهد فى هذا الشـأن خصوصـا وان الوسـاطة الدولية تبـدو فى الافـق حيث أنـه « اذا اطمـأن الترك من ناحية أى عمليـة ضدهم فانهم لـن يذعنوا أو يرضخـوا وبذلك تفشـل أيـة محاولة للتوسط » ، ولكنـه ـ فى الوقت نفسـه ـ أسرالى وزير خارجية بريطانيا بأن حكومتـه ليست لديهـا رغبـة فى الاقـدام على عملية الدردنيل حيث ان مثل هذا الهجوم يعتبر مغامرة بالنسبة للاسطول الذى سيقوم بهـا ، ولكنه سيكون خطـأ جسيما اذا أعطت حكومتـه أى تعهـد ، والتمس السـفير الايطالـى من الوزيـر البريطانى ألا يقـول شيئا للتـرك بـل يدعهم تنتابهم المخـاوف والهواجس (٢٧) ٠

وهكذا أرادت الحكومة الايطاليـة أن تجعل من التهديد بالهجـوم علـى الدردنيل ورقـة فى يدهـا تستخدمها للضغط على الحكومة العثمانية حتى ترضخ وتقبـل الصلح على أساس الشروط التى تريدهـا ايطاليـا وتتمسـك بهـا فـى صلابـة وهى الاعتـراف بالسـيادة الايطاليـة على القطر الليبى مع تعويض مادى واحتمال اعتراف ايطاليـا بالصفـة الدينية للخليفة ٠

ومع ذلك ورغـم تصريحات الحكومة الايطاليـة فقد ظهرت أمـام الدردنيـل سـبع وعشرون قطعـة من قطـع الاسـطول الايطالى وبـدأت فى ضرب قـلاع الدردنيل التى بادلتها النيران واضطـرت الحكومـة التركيـة الى اغلاق المضيق وبقى كذلك شـهرا كاملا من الخامس من ابريـل (نيسان) ١٩١٢ الى الخامس من مايـو (آيـار) ، وتكـرر قصف الاسـطول الايطالى لقـلاع الدردنيل فـى ١٨ أبريل ، وتمسـكت الحكومة العثمانية باغـلاق المضيق ممـا عرضها لانتقـاد روسـيا التى تضرررت من الاغـلاق ، فاضطرت الحكومة العثمانية الى فتـح

---

(٢٧) الرسـالة رقم ٥٣ فى مارس (آذار) ١٩١٢ من جراى الى رود (رومـا) ٠

المضيق على أن تغلقه عند اقتراب الاسطول الايطالى ٠ كما انتهزت الحكومة الايطالية حالة الاضطراب وأزمة الحكم فى الدولة العثمانية فعادت الى ضرب الدردنيل فى ١٩ يوليو (تموز) ١٩١٢ لارغام الحكومة العثمانية الجديدة على عقد الصلح معها ٠

ثم أقدمت ايطاليا على خطوة أخرى جريئة اذ هددت باحتلال جزر بحر ايجة التابعة للدولة العثمانية ، وصرح تيتونى سفير ايطاليا فى باريس بان الهدف من ذلك هو القيام بعملية تمدين لهذه الجزر لصلحة سكانها من اليونان المسيحيين ، ونفذت ايطاليا تهديدها فى ٢٥ من أبريل (نيسان) و ٤ مايو (آيار) ١٩١٢ باحتلال عشر جزر منها رورس ٠

الفصـل السـادس

علاقـة مصر بالصراع التركى الايطالى

بصرف النظـر عن دور مصر والمصريين فى تقديبيـم العون لاخوانهم الليبيين فى مقاومة الحملة الايطالية ، فقد كان لمصر أهمية كبرى تفـوق أى قطـر عربـى أو اسـلامى فى خضـم أحـداث الصراع بين تركيـا وايطاليـا حـول القطـر الليبى وذلك لعـدة اعتبارات ، منهـا ان مصر تحت السيادة الاسمية للامبراطورية العثمانية أحـد طرفى النـزاع ، ومنها أيضـا ان مصر فى الوقت نفسـه تحـت السـيطرة الفعليـة لبريطانيا ولهذه موقف معين معـروف ازاء المشكلة الليبيـة ومن الحرب بين تركيـا وايطاليـا ، ومـن ثـم فلابد وان تكون سياسـة بريطانيا فى مصر صـدى لسياستها العامـة نحـو المشـكلة ، ومنها ان مصر مجاورة للقطر الليبى وهناك قبائـل فى صحراء مصر الغربيـة لهـا أقارب فـى برقـة ، وهنـاك حـدود بين مصر وليبيـا ولابـد وان تكـون هنـاك قضايـا ومشـكلات نتيجـة لهذه الاوضـاع فى مصر ، وهى مشـكلات ما كانت لتبرز عندما كان كـلا القطرين : مصر وليبيـا خاضعين للدولة العثمانية ، ومن هـذه المشـكلات ما يتصل بتخطيط الحدود بين مصر وليبيـا ، ومشكلة جغبـوب والسـلوم ، ومشـكلة مـرور الضباط والجنـود الاتـراك والمـؤن والامدادات الى برقـة عبر مصر وصـلة ذلك بموضـوع حيـاد مصر فى أثنـاء الحـرب التركيـة الايطاليـة .

حيـاد مصر

فقـد بدأت ايطاليا من جانبها باصـدار تعليمات الى قائـد الاسـطول الايطالى بوجوب معاملة الميـاه الاقليمية المصريـة باعتبارهـا محايـدة ، وفى مقابـل ذلك طلب وزير خارجيـة ايطاليـا من سـفير بريطانيا فى رومـا بان يقابـل هذا الموقف بالمثل من جانب الحكومة البريطانية فـلا تسـمح للدولـة العثمانية باسـتخدام الميـاه المصريـة فى العمليات البحرية (١) .

وفى الوقت نفسـه ، وعندما أبلغ السفير الايطالـى فى لنـدن وزيـر خارجية بريطانيا بقيـام حـالة الحرب بين ايطاليـا وتركيـا أبلغـه الوزيـر البريطانـى بأن حكومتـه سـتصدر اعلانـا بالحيـاد ، فاستفسر السـفير الايطالـى عمـا اذا كـان سيسـمح للقوات العثمانيـة بالمرور عبـر مصر رد وزير الخارجيـة البريطانية بانه على الرغـم من انـه لـم يبحث هذه المسالة

(١) البرقيـة ٧٢ فى ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من رود (رومـا) الى جراى .

فانه يعتقد ان « السماح باستخدام قطر تحت احتلالنا فى العمليات الحربية أمر يتعارض مع اعلان الحياد » (٢) ٠

كما أبلغت الحكومة البريطانية وزارة الخارجية الايطالية بانه مما لا يتفق مع الحياد السماح باستخدام الأراضى أو المياه الاقليمية المصرية أو أية أرض أو مياه أقليمية أخرى تحت الاحتلال البريطانى كقواعد للعمليات العسكرية فى هذه الحرب (٣) ٠ ولذلك فقد عبر المركيز دى سان جوليانو وزير الخارجية الايطالية عن سعادته البالغة وامتنانه الزائد ٠

وبناء على ذلك فانه عندما وصلت ناقلات الجنود العثمانية الى بورسعيد والسويس تحمل قوات عائدة من اليمن ، ثم أبحرت قبل اعلان الحرب أى فى الوقت المناسب لان الحكومة المصرية ـ تنفيذا لموقف الحياد ـ كانت ستنزع سلاح هذه القوات اذا لم تكن قد رحلت قبل اعلان الحرب (٤) ٠

كما طلب وزير الخارجية البريطانية من كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر بان الناقلة التركية التى أبلغ القنصل البريطانى العام فى بورسعيد بوصولها يجب ألا تبقى أكثر من أربع وعشرين ساعة ، كما يجب ـ فى حالة مرورها بقناة السويس ـ ان تلتزم بالقواعد التى تضمنتها المادة الرابعة من اتفاقية الآستانة الخاصة بقناة السويس (٥) ٠

وقد كان من رأى كامل باشا ان حياد مصر فى أثناء الحرب الطرابلسية كانت له أهميته بالنسبة لبريطانيا ذاتها حيث ان خرق هذا

(٢) البرقية ١٨٣ فى ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩١١ من جراى الى رود (روما) ٠

(٣) البرقية ١٨٤ فى ٢ اكتوبر (تشرين اول) ١٩١١ من جراى الى رود (روما) ٠

(٤) البرقية ٢٢ فى اكتوبر ١٩١١ من كتشنر (القاهرة) الى جراى ٠

(٥) البرقية ٢٤ فى ٢ اكتوبر ١٩١١ من جراى الى كتشنر (القاهرة) ٠

وتنص المادة الرابعة المشار اليها من اتفاقية الملاحة فى قناة السويس والمبرمة بين الدول الاوروبية والدولة العثمانية فى ٢٩ اكتوبر (تشرين اول) ١٨٨٨ بان تظل القناة البحرية مفتوحة للمرور الحر فى وقت الحرب حتى لسفن الدول المتحاربة ، وتوافق الاطراف الموقعة على عدم القيام باعمال عسكرية او اية اعمال تعوق الملاحة فى القناة او موانيها حتى ولو كانت الامبراطورية العثمانية احدى الدول المتحاربة ، وانه يجب ان يتم مرور هذه السفن ورحيلها فى اقل مدة ممكنة والا يتجاوز بقاء السفن فى بور سعيد او السويس مدة اربع وعشرين ساعة الا فى حالة الضرورة ٠

الحيـاد قـد يضـع الحكومة البريطانية فى موقف حـرج بـل وقـد يـؤدى الى قيـام مشـكلات ومضاعفات دولية (٦) .

كما اعتبر كامل باشـا ان حيـاد مصر حـال دون تمكن الدولة العثمانيـة من الحـاق الهزيمة بايطاليـا ، وقـد كان لذلك الرأى أثـره فى إثـارة المشاعر ضـد بريطانيا فى مصر ، ولـو ان المسـئولين البريطانيين اعتبروا ذلك التصريح من جانب كامل باشا « محاولة لالقـاء مسئولية الهزيمة على اكتاف الآخرين » (٧) (بريطانيـا) .

الا أن الحكومة البريطانية من جانبها كان لهـا مبرر سـاقته لتبرير التمسك بحيـاد مصر وأرادت أن تقنـع بـه الآخرين وبخاصـة الحكومة العثمانيـة ، فقـد كانت الحكومة البريطانية تـرى أنـه يجب افهام الحكومة العثمانية بانـه اذا حـدث خرق لحيـاد مصر وكان من جانب مصر فان البـلاد (مصر) سـتكون عرضـة للهجـوم من جانب الايطاليين ، ولذلك « يجب أن تمنع الحكومة البريطانية ذلك حيث أننا ـ بحكم احتلالنـا لمصر ـ مكلفـون بالدفـاع عن البـلاد ضـد الهجـوم ، كما ان تمسـكنا بحيـاد مصر حـال دون تحمل مصر لأيـة خسـائر خـلال الحرب بين تركيـا وايطاليـا ، ويجب أن نسـتمر فى التمسـك بهـذا الموقـف » (٨) .

ولكن الأمـر الذى لا يمكن انكـاره أو تجاهله هو ان بريطانيا ـ باصرارها على التمسـك بحيـاد مصر انما كانت تخشى ان يترتب على عـدم وقـوف مصر على الحيـاد فى أثنـاء الحرب الطرابلسية وصـول الامدادات العسـكرية الى المقاتلين التـرك والمجاهدين العرب فى القطـر الليبى الأمـر الذى قـد يؤدى بدوره الى صمود هؤلاء ولربمـا انتصارهم ودحـر المهاجمين الطليـان وارغامهم على الانسـحاب فى آخـر الأمـر ممـا يؤدى الى سـخط ايطاليـا على الحكومة البريطانية واعتبارهـا المسئولة الأولى عن فشـل الحملة وهو أمـر مـا كانت الحكومة البريطانية لترضى بحدوثـه ، حيث انـه يتعارض أيضـا مع السياسة التى كانت تتبعها الحكومة البريطانية منذ بدايـة الأزمـة وهى سياسـة تقـوم على الرغبـة فى رؤيـة ايطاليـا وقـد نجحت فى تحقيق مخططاتها فى القطـر الليبى ، كمـا رأينـا عند استعراضنا لموقف الحكومـة البريطانية عند ظهـور المشـكلة الطرابلسـية وقبـل الانذار الايطالـى وبعـده .

---

(٦) البرقية ٥١٠ فى ٢٢ اكتوبر ١٩١١ من لاوثر (الاستانة) الى جراى .
(٧) البرقية ٦٣ فى ١٧ اكتوبر ١٩١٢ من كتشنر (القاهرة) الى جراى .
(٨) البرقية ٧٢ فى ١٦ اكتوبر ١٩١٢ من جراى الى كتشنر (للقاهرة) .

بل ان ثمة ما يدعو الى الاعتقاد بان الشدة التى أظهرتها السلطات المصرية التى تأتمر بأوامر بريطانيا ازاء الترك المتجهين الى طرابلس عبر مصر مدنيين وعسكريين ، والتشدد فى مراقبتهم عند الحدود مع برقة انما يعتبر خرقا للحياد الذى ما فتئت بريطانيا تتشدق به فى النزاع ، ذلك لأن هذه الاجراءات من جانب بريطانيا تعتبر ميلا منها الى جانب ايطاليا ضد الطرف الآخر (تركيا) ، ففى الوقت الذى كانت فيه كل الفرص متاحة لايطاليا لكى تنقل من القوات ما تشاء الى جبهة القتال اينما كانت كان الحظر مفروضا على نقل قواتها عبر مصر التى كانت ـ رغم خضوعها للادارة البريطانية ـ لا تزال تعتبر ولاية تابعة للدولة العثمانية .

ومما يدل على شدة السلطات المصرية في تطبيق الحياد انه عندما طلب المعتمد البريطاني في مصر من كتشنر السماح لمتصرف ومأمور شرطة وصراف بنغازى بالعودة الى هناك عبر حدود مصر ـ وكانت السلطات الايطالية قد طردتهم عند نشوب الحرب ـ كان من رأى كتشنر عدم السماح لهم رغم اعترافه بانهم ليسوا عسكريين ، ولو انه كان من رأى وزير الخارجية البريطانية عدم منعهم من عبور الحدود تفاديا للتورط فى مشكلة (٩) .

وعلى أية حال فان كاتبا تركيا هو اسماعيل حقى بابان زاده نشر مقالا فى صحيفة طنين عبر فيه عن اعتقاده بان مصر اذا كان قد فرض عليها الحياد بصفة رسمية « فانه لا سبيل الى تحييد قلوب المصريين ، وان الحكومة المصرية يجب ان ترضخ أمام اتجاهات الرأى العام » (١٠) .

ومن الامور المتصلة بحياد مصر الموقف من القائم بالأعمال الايطالى فى مصر ، فقد استدعي الى دار المعتمد البريطانى فى القاهرة وابلغ بان الحكومة المصرية ترى انه من الافضل توقفه عن مباشرة مهامه ، ولو أنه ليس من الضرورى ان يرحل عن البلاد هو أو موظفو القنصلية الايطالية فى مصر ، وأن كل الرعايا الايطاليين سوف يوضعون تحت رعاية السلطات الألمانية . الا ان دار المعتمد البريطاني في القاهرة لم تلبث ـ في اليوم التالى ـ أن ابلغت القائم بالأعمال الايطالى بصرف النظر عن البلاغ السابق واعتباره كان لم يكن وترك الأمر لكي يسوى بين روما ولندن .

ولقد عبر المركيز دى سان جوليانو وزير خارجية ايطاليا عن « دهشته المؤلمة » حيث انه كان يعتقد انه قد استقر رأى بريطانيا نهائيا على

---

(٩) البرقية ٦٨ من كتشنر الى جراى فى ٢٣ ديسمبر (كانون اول) ١٩١١ ، البرقية ٧٦ من جراى الى كتشنر (القاهرة) فى ٢٩ ديسمبر ١٩١١ .

(١٠) الرسالة ٢٦ فى ١٠ يناير (كانون ثان) ١٩١٢ من لوثر (الاستانة) الى جراى .

اعتبار مصر قطرا محايدا ، وانه بعد هذا الموقف صار يعتقد أن بريطانيا ما زالت مترددة فى ذلك ، وانه فى حالة قطع علاقات ايطاليا مع الحكومة المصرية فان القائم بالأعمال الايطالى وموظفو القنصلية سوف يغادرون مصر ولن يوضعوا تحت الحماية الالمانية ، وان هذا الاجراء سيعتبر فى ايطاليا بمثابة (كارثة) . وعندما نقل السفير الايطالى فى لندن هذا الرأى الى السير آرثرنيكولسون وكيل الخارجية البريطانية أضاف السفير انه اذا قررت بريطانيا وقف الموظفين القنصليين فى مصر عن مزاولة مهامهم فان هذا الموقف من جانب بريطانيا سوف يفسر على انه « انحياز الى جانب تركيا وعدول عن قرارنا بحياد مصر ، وهذا من شأنه الا يحدد من نطاق الحرب أو يقصر من أمدها بل سيؤدى الى اتساع نطاقها واطالة أمدها ». وهكذا صارت ايطاليا تلوح لبريطانيا مهددة .

وقد رد نيكولسون على السفير البريطانى بأن الحكومة البريطانية لم تتخذ بعد موقفها النهائى بشأن استمرار قيام القائم بالأعمال الايطالى بمهامه ، وأشار نيكولسون الى انه فى الحرب التركية اليونانية سنة ١٨٩٧ توقف اليونانيون عن مباشرة علاقاتهم الرسمية مع مصر ووضع الرعايا اليونانيون تحت حماية روسيا وفرنسا وانجلترا ، واعترف وكيل الخارجية البريطانية بأن بريطانيا فى سنة ١٨٩٧ لم تعلن حياد مصر وان الظروف السائدة سنة ١٨٩٧ تختلف عن الظروف القائمة أبان الحرب التركية الايطالية فى ليبيا (١١) .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الحالة فى أثناء الحرب التركية الايطالية تختلف فى كثير من النواحى عن الحرب التركية اليونانية سنة ١٨٩٧ ، فالحرب مع ايطاليا ساحتها الرئيسية القطر الليبى وهو مجاور لمصر التى تخضع للاحتلال البريطانى منذ سنة ١٨٨٢ وهو أمر لم يكن له نظير فى أثناء الحرب التركية اليونانية ، يضاف الى ذلك اختلاف سياسة الحكومة البريطانية ازاء الدولة العثمانية فى كلتا الحالتين ، حيث صار معروفا أنه فى اثناء الحرب التركية الايطالية فى ليبيا كان النفوذ الألمانى قد صار له الفوقان فى عاصمة الدولة العثمانية ، ولم تعد الحكومة البريطانية تتمسك بالمحافظة على كيان هذه الدولة ، هذا بالاضافة الى ما كانت تعلقه بريطانيا على كسب ايطاليا الى جانب الوفاق الثلاثى وانتزاعها من المحالفة الثلاثية مع ألمانيا والنمسا .

وعلى أية حال فقد تراجعت الحكومة البريطانية عن فكرة انسحاب

---

(١١) الوثيقة ١٦٤ فى ٩ اكتوبر (تشرين) ١٩١١ من جراى الى رود (روما) .

القائم بالأعمال الايطالى من مصر « على أساس أن الحكومة البريطانية قد أعلنت حياد مصر ، وانه على الرغم من انسحاب ممثل اليونان فى أثناء الحرب التركية اليونانية الا انه فى حالة تلك الحرب لم يكن هناك قرار أو تعهد من جانب بريطانيا بحياد مصر » (١٢) ٠

كما كان جراى وزير خارجية بريطانيا يرى أنه اذا طلبت الحكومة البريطانية سحب ممثل ايطاليا فى مصر فقد تنشأ مشكلات متعبة (مع ايطاليا طبعا) قد لا يكون من السهل حلها (١٣) ٠

ونتيجة لهذا الموقف من جانب بريطانيا ، ومثلما فعل عندما أعلنت بريطانيا تمسكها بحياد مصر ، عبر وزير الخارجية الايطالية من شكره القلبى للطريقة التى استجابت بها الحكومة البريطانية لرغباته (١٤) ٠

بعثة الهلال الأحمر المصرية

واذا كانت بريطانيا قد تعهدت والتزمت ببقاء مصر (العثمانية) محايدة فى الحرب الدائرة الرحى بين ايطاليا والدولة العثمانية على الساحة الليبية وقبلت ايطاليا هذا الحياد بل ورحبت به فلا شك انه لم يكن ثمة مبرر للموقف الذى اتخذته السلطات الايطالية من بعثة جمعية الهلال الأحمر المصرية ومهمتها انسانية بحتة ومن المتفق عليه دوليا ألا توضع عقبات فى وجه تادية البعثات الطبية لمهامها سواء كانت من الجانبين المتحاربين أو من طرف ثالث يتخذ موقف الحياد ٠

فقد وجه الشيخ على يوسف رئيس تحرير المؤيد رسالة الى صحيفة (المورننج بوست) البريطانية بان الايطاليين رفضوا التصريح لبعثة الهلال الأحمر المتجهة الى طرابلس بحرا بالنزول الى البر (١٥) ٠

وتأكد ان السلطات الايطالية قد اتخذت فعلا هذا الموقف الذى جعل كتشنر يشعر بكثير من الاسف له ويعبر عن اعتقاده بان هذا الموقف من جانب السلطات الايطالية سوف يزيد من حدة العداء الذى يشعر به المصريون نحو أيطاليا (١٦) ، كما أنه سيزيد من حدة الصراع ومرارته ويصل بالحرب الدائرة الى ذروتها المريرة ٠

---

(١٢) البرقية ٢١٠ فى ١١ اكتوبر ١٩١١ من جراى الى رود (روما) ٠

(١٣) البرقية ٤٠ فى ١١ اكتوبر ١٩١١ من جراى الى كتشنر (القاهرة) ٠

(١٤) البرقية ١٠٥ فى ١٢ اكتوبر ١٩١١ من رود (روما) الى جراى ٠

(١٥) البرقية ٥٨ فى ١٩١١/١١/١٦ من جراى الى كتشنر (القاهرة) ٠

(١٦) البرقية رقم ٥٧ فى ١٩١١/١٢/٥ ، ورقم ٥٨ فى ١٩١٢/١٢/٩ من كتشنر (القاهرة) الى جراى ٠

ولذلك وخوفا من القلاقل والاضطرابات التى قد تحدث فى مصر نتيجة عدم السماح لبعثة الهلال الأحمر بالسفر ، ولاحتمال ان يتخذ اعتراض المصريين الى الموقف برمته بما فيه حياد مصر ومنع عبور المؤن والعتاد والضباط الى القطر الليبى لمساندة أخوانهم المجاهدين ضد الغزو الايطالى ، سعت الحكومة البريطانية ـ عن طريق سفيرها فى روما ـ لاقناع الحكومة الايطالية باعادة النظر فى قرارها الخاص بمنع بعثة الهلال الاحمر ، ولكن مساعى السفير البريطانى فى روما ذهبت هباء ، وكانت الحكومة الايطالية تتذرع فى موقفها بما جاء فى تقرير للجنرال كانيفا ـ القائد العام للحملة ـ بان الاهالى فى طرابلس « قد يعتبرون نزول بعثة الهلال الاحمر فى طرابلس فى الوقت الحالى بمثابة دليل يؤكد استقرار السيادة التركية » بالاضافة الى التعلل بان الحكومة الايطالية تلقت معلومات من مصادر عدة تؤيد اعتقادها بان الامير عمر طوسون وجمعية الهلال الاحمر المصرى لديهم خطة مرسومة ومنظمة لارسال الضباط والمؤن الى طرابلس « حيث ما زالت المقاومة مستمرة بفضل التشجيع الذى تلقاه من مصر » وان الايطاليين يشكون فى أن أفراد بعثة الهلال الاحمر ما هم الا ضباط متنكرون ، رغم ان السفير البريطانى فى روما رد على هذه النقطة الاخيرة بانه من السهل التأكد من شخصية الأطباء المرافقين للبعثة (١٧) كما أكد كتشنر انه لا يمكن خروج أسلحة ومعدات ومؤن من مصر بسبب الاجراءات التى تتخذها فعلا السلطات البريطانية (١٨) .

ومع ذلك فقد تمسكت الحكومة الايطالية بموقفها وبدا للسفير البريطانى فى روما « ان الجنرال كانيفا قد قرر اتخاذ موقف بالغ الصرامة فى هذه المسألة » حتى أنه رفض أيضا السماح لبعثة الصليب الأحمر الالمانى (١٩) .

وقد استمر كتشنر يراسل حكومته لكى يقوم بالاتصالات مع الحكومة الايطالية من اجل السماح بسفر بعثة الهلال الاحمر ، وقد استفسرت منه حكومته عن الاجراءات التى يمكن أن يتخذها لضمان السيطرة على تكوين البعثة ونشاطها فى النهاية بحيث يمكن القضاء على الشكوك الايطالية (٢٠) .

فرد كتشنر بانه من اجل الحيلولة دون اخفاء الأسلحة والعتاد وغيره فان حقائب افراد البعثة سوف تخضع لتفتيش دقيق على يد ضباط

---

(١٧) البرقية ١٥٦ فى ١٩١١/١٢/٧ من رود (روما) الى جراى .

(١٨) البرقية ٥٨ فى ١٩١١/١٢/٩ من كتشنر (القاهرة) الى جراى .

(١٩) البرقية ١٦٠ فى ١٩١١/١٢/١٢ من رود (روما) الى جراى .

(٢٠) البرقية ٧٢ فى ١٩١١/١٢/٢٠ من جراى الى كتشنر (القاهرة) .

بريطانيين ، وبعد الاطمئنان الى ذلك فان أفراد البعثة سوف يُتسلمون جوازات سفرهم من قومندان شرطة الاسكندرية أو من وزارة الداخلية ذاتها (أى تحت اشراف البريطانيين) ثم تراجع مرة أخرى عند السفر من أول محطة على الخط الحديدى (سكة حديد مريوط) (٢١) ٠

وقد أبلغ سفير بريطانيا فى روما وزير الخارجية الايطالية بكل هذه الاحتياطات التى سوف تتخذها السلطات البريطانية فى مصر للتأكد من شخصية أفراد بعثة الهلال الأحمر وامتعتهم ومهماتهم ، ومع ذلك أجاب المركيز دى سان جوليانو بانه لا يستطيع ان يصدق ان أهداف هذه البعثة أهداف انسانية بحتة ، الا انه « على ثقة من ان الاجراءات التى يتخذها لورد كتشنر ستحول دون استخدامها استخداما سيئا » (٢٢) ٠

مسألة مرور قوات تركية وعربية عبر مصر ٠

لقد قررت بريطانيا ـ وهى الدولة التى كانت تسيطر على مقدرات مصر فى اثناء الغزو الايطالى لليبيا ـ ضرورة بقاء مصر على الحياد بين الدولة العثمانية وايطاليا رغم ان مصر كانت لا تزال من وجهة النظر الرسمية والقانونية ولاية عثمانية تحت الاحتلال البريطانى ٠ وكانت الحكومة البريطانية ترى انه مما يتعارض مع حياد مصر استخدام أراضيها أو مياهها الاقليمية فى العمليات العسكرية بما فى ذلك مرور قوات عثمانية أو عربية من المتطوعين عبر مصر لشد أزر المجاهدين فى مقاومة الغزو الايطالى ٠

وقد اتخذت السلطات البريطانية مع السلطات المصرية من التدابير ما يكفل الحيلولة دون اتخاذ مصر معبرا للمقاتلين والمؤن الى ليبيا ، ولكن موقف السلطات الحكومية بريطانية كانت أو مصرية لم يكن ليحقق هذا وهدف طالما ان الشعب المصرى نفسه متعاطف مع رجال المقاومة فى ليبيا ، ولذلك لابد وأن يمد يد العون الى هؤلاء ويسهل لهم طريق العبور ، ولو ان ذلك لم يكن أمرا سهلا ميسورا ، كما ان القيود والاجراءات الحكومية جعلت عملية المرور عبر مصر محدودة وبالتالى لم تكن لتحقق الهدف المرجو منها ٠

ولذلك فان السلطات الايطالية كانت تجار بالشكوى من استمرار المرور عبر مصر وتلح على الحكومة البريطانية من أجل التشدد فى الاجراءات ، فهذا السفير الايطالى فى لندن يبلغ وزير الخارجية البريطانية بانه علم ـ نقلا عن القنصل الايطالى فى تونس ـ ان ضباطا من الترك ومعهم مبالغ كبيرة

---

(٢١) البرقية ٦٦ فى ١٩١١/١٢/٢٢ من كتشنر (القاهرة) الى جراى ٠

(٢٢) الرسالة ٣٠٢ فى ١٩١١/١٢/٢٨ من رود (روما) الى جراى ٠

من المال سيحاولون الوصول الى برقة من مصر لشد أزر المقاومة ضد الايطاليين وبناء عليه طالب السفير الايطالى باتخاذ الخطوات المناسبة لمنع ذلك مثلما فعلت الحكومة الفرنسية فى تونس لان ذلك يعتبر خرقا للحياد من جانب مصر (٢٣) ٠

كما شكا المركيز امبريالى السفير الايطالى فى لندن مرة أخرى لوزير الخارجية البريطانية من ان القوات التركية فى طرابلس وبرقة مازالت على اتصال بحكومة الآستانة والعكس ، وذلك عن طريق رسل راكبة بين السلوم ومرسى مطروح ومن ثم تنقل الأخبار من الآستانة واليها (٢٤) ٠

كما أبلغت الحكومة الايطالية السلطات البريطانية بأن ثلاثة قطارات كانت تنقل حمولة كبيرة أنزلتها سفن فى اثناء الليل وان هذه القطارات غادرت الاسكندرية مساء يوم ٨ أكتوبر ١٩١١ على خط سكة حديد مريوط وأن هذا العمل القصد منه مساندة حركة المقاومة التى يقوم بها العرب ضد الايطاليين (٢٥) ٠

واستمر المركيز امبريالى سفير ايطاليا فى لندن فى ارسال سيل من الشكاوى الى الحكومة البريطانية ، فعاد ليقرر فى مذكرة منه أن عددا من الضباط الترك والمصريين الى جانب بعض البدو المسلمين قد عبروا مصر فى طريقهم الى طرابلس ، بل ذهب السفير الايطالى الى حد القول بان هناك خطة تدبر فى باريس بين شخصية تركية وبعض الدوائر الاسلامية لارسال ضباط بريطانيين ممن كانوا فى خدمة الحكومة المصرية متنكرين فى ملابس بدوية الى طرابلس وبرقة عبر مصر ، وأضاف السفير الايطالى فى نفس المذكرة ان الحكومة الايطالية تلقت تقارير تؤكد أن نحو مائة ضابط تركى متنكرين فى زى البدو نجحوا فعلا فى العبور الى برقة من مرسى مطروح وان رحلتهم لقيت تسهيلات من رجال خفر السواحل المصريين ، وان ضباطا آخرين من الترك متنكرين فى زى البدو فى طريقهم من مرسى مطروح الى برقة (٢٦) ٠

كما رددت برلين نفس الاخبار نقلا عن مصادر ايطالية (٢٧) ٠ وكان من الطبيعى أن ينقل جراى وزير خارجية بريطانيا فحوى هذه الشكاوى

---

(٢٣) الرسالة ٢٩ فى ١٩١١/١٠/٥ من جراى الى كتشنر (القاهرة) ٠

(٢٤) مذكرة مقدمة من المركيز امبريالى فى ١٩١١/١٠/١٨ الى الحكومة البريطانية ٠

(٢٥) الرسالة ٤٣ فى ١٩١١/١٠/١٤ من جراى الى كتشنر (القاهرة) ٠

(٢٦) مذكرة امبريالى بتاريخ ١٩١١/١٠/٢١ ٠

(٢٧) الرسالة ٣٢٧ فى ١٩١١/١٠/٢٠ من جرافنفيل الى جراى ٠

الايطالية الي كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر يسأله عن مدى صحتها ويطلب منه اتخاذ الاجراءات الكفيلة بمنع حدوثها ٠

ومع أن كتشنر كان يرى أن العبور أمر غير ممكن فى ظل القيود المفروضة فقد وعد باتخاذ الاحتياطات اللازمة ، الا انه يعترف مرة بانه تلقى معلومات تفيد بان خمسة من الضباط الترك قد عبروا الى برقة متنكرين ولم يكونوا يحملون أسلحة ولذلك لم يتدخل على أساس ان ذلك لا يتعارض مع الحياد (٢٨) ٠ كما أبلغ أحد موظفى دار المعتمد البريطانى فى القاهرة ممثل ايطاليا أن مرور ضباط اتراك فى مجموعات صغيرة وبدون ان يحملوا معهم أسلحة لا يعتبر خرقا للحياد ٠ وقد نقل السفير الايطالى فى لندن هذه المعلومات والآراء الى وزير خارجية بريطانيا مؤكدا ان المرور المستمر المتوالى لمجموعات صغيرة من الضباط لابد ون يكون خرقا للحياد حيث أنه يساعد الاتراك على الاستمرار فى القتال فى طرابلس وأضاف السفير الايطالى ان مسيو دى سيلف وزير خارجية فرنسا قد أصدر تعليمات مشددة بعدم السماح لاى قوافل أو ضباط بالمرور عبر تونس الى طرابلس حتى ولو كان ضابطا واحدا ، فوعد وزير الخارجية البريطانية بتنفيذ ما يفرضه الحياد من التزامات (٢٩) ٠

ولذلك فقد طلب وزير الخارجية البريطانية من برتى سفيره فى باريس ان يتأكد من الاجراءات التى تتخذها الحكومة الفرنسية حيال نقل الأسلحة والمؤن عبر الحدود التونسية الى طرابلس ، وقد رد برتى بان الحكومة الفرنسية فرضت بالقانون منذ سنة ١٨٨٣ حظرا على استيراد ونقل الأسلحة والمؤن الحربية فى تونس وهى تنفذ هذا القانون بصرامة (٣٠) ٠ وقد أمر جراى ببحث هذه المسألة على ضوء الاتفاقيات الدولية ، وتوصل الى انه طبقا لاتفاقية لاهاى الخاصة بحقوق وواجبات الدول المحايدة فان أى نقل منتظم للاسلحة يجب ان تمنعه الحكومة المحايدة ، وكتب جراى الى كتشنر بان نقل الاسلحة الذى وصفه كتشنر يندرج تحت هذا النوع (نقل منتظم) « ولذلك فنحن ملزمون بمنعه ٠٠٠ ، وعلاوة على ذلك فاننا اذا لم ننفذ التزامات وواجبات مصر كقطر محايد فلن يكون لدينا مبرر للاعتراض على الايطاليين اذا ما قاموا بمراقبة سواحل مصر وتخريب التجارة المصرية

---

(٢٨) رقم ٢٨ فى ١٩١١/١٠/٧ ورقم ٣٥ فى ١٩١١/١٠/٢٩ من كتشنر الى جراى ٠

(٢٩) رقم ١٧٨ فى ١٩١١/١٠/٣٠ من جراى الى رود (روما) ٠

(٣٠) برقيــة رقم ٣٨١ فى ١٩١١/١٢/١٨ من جراى الى برتى (باريس) ورقم ٢١٥ فى ١٩١١/١٢/٢٠ من برتى الى جراى ٠

بممارسة حقهم فى التفتيش على نطاق واسع (٣١) • وبناء على ذلك فقد كتب جراى الى كتشنر بانه « لما كانت الحكومة الايطالية قد شكت مرارا ـ على لسان سفيرها فى لندن ـ من مرور رجال مسلحين من البدو والضباط الترك والمصريين الى برقة عبر مصر ، وتاكيد الحكومة الايطالية بان ذلك يجرى طبقا لخطة منظمة ، وانه فى الآونة الأخيرة ساعد رجال خفر السواحل المصريون نحو مائة من الضباط الاتراك المتنكرين فى زي البدو على السفر من مرسى مطروح الى برقة ، فان هذه الأعمال يجب أن تمنع بكل الوسائل التى فى مقدورك طالما أنه من الواضح أن السماح حتى لضباط اتراك غير مسلحين فى مجموعات صغيرة بعبور الحدود بطريقة مستمرة أمر يتعارض مع الحياد ، وهذا العمل يرقى الى درجة تسهيل استمرار الحرب فى طرابلس » (٣٢) •

وهكذا كانت الحكومة البريطانية تريد وقف العون العربى والتركى للقوات المحاربة فى ليبيا حتى تضعف المقاومة فيتوقف القتال وهذا هو كل ما يهم بريطانيا ، فى الوقت الذى تتدفق فيه طبعا الامدادات والمؤن والأسلحة والقوات الجديدة على الايطاليين فى ليبيا ، فاين تكافؤ الفرص ؟ •

ولكن كتشنر كان يرى ان التقديرات الايطالية لعدد المارين عبر مصر مبالغ فيها ، ويعترف بان سبعة فقط من الضباط الترك وتسعة من الصبية هم فقط الذين تقدموا صوب طرابلس ، وانه لم تقدم أية مساعدة للضباط الترك من جانب حرس الحدود المصريين ، وأكد انه ما من ضابط مصرى غادر البلاد ، وانه ليس صحيحا ان مائة ضابط تركى نزلوا الى البر عند بير مطروح وعزا كتشنر هذه البيانات الخاطئة الى الصحف المصرية الوطنية ، « ولكن بناء على تعليماتكم لقد عهدت الى رئيس الوزارة المصرية بان يخطر رءوف باشا المعتمد العثمانى فى مصر بانه لن يسمح للضباط الترك بعبور الحدود وان يطلب من رءوف باشا ابلاغ حكومة الآستانة بذلك كما نصحت الخديو بمنع استخدام مثل هؤلاء الضباط لخط السكة الحديد الذى يمتلكه (مريوط) ، كما أصدرت تعليمات الى خفر السواحل فى هذا المعنى ، وستتخذ كل الخطوات لضمان تنفيذ رغباتكم ، ولو انه على مثل هذه الحدود الطويلة المترامية التى تمر كلها عبر الصحراء يتعذر منع عبور أحد ؟؟؟ • ؟؟؟

وسيكون من المفيد جدا لى اذا طلبتم من السفير البريطانى فى الآستانة

---

(٣١) برقية ٦٧ فى ١٩١١/١٢/١٨ من جراى الى كتشنر (القاهرة) •

(٣٢) برقية ٤٩ فى ١٩١١/١٠/٣١ من جراى الى كتشنر (القاهرة) •

لفت نظر الحكومة العثمانية الى انه من غير المرغوب فيه ارسال ضباط آخرين الى مصر لان وجودهم هنا قد يؤدى الى اثارة مشكلات ولن يسمح لهم بالتقدم الى طرابلس » (٣٣) ٠

ومن الاجراءات التى تخذها كتشنر أنه كلف هنتر باشا ومعه مائة من الرجال بالتمركز عند السلوم ، والكابتن رويل ومعه عدد مماثل من الرجال بالتمركز فى سيوه ، مع استمرار رجال خفر الحدود بمراقبة الحدود بين المنطقتين ، الى جانب قيام مجموعة من الشرطة ومقتفى الأثر بالمراقبة بين الفيوم والاسكندرية ، أما رجال خفر السواحل فكانوا موزعين فى نقاط بين السلوم والاسكندرية ، هذا الى جانب ثلاث سفن من خفر السواحل لمنع تهريب السلاح ، وفى الوقت نفسه فان المسئولين فى جمارك الاسكندرية ويرأسهم انجليزى كانوا يراقبون الأمور بيقظة ودقة ، الى جانب عدد من ضباط الشرطة خصصوا لمراقبة خط مريوط ٠

وقد أشاد كتشنر بموقف المصريين الذين يساعدونه فى تنفيذ هذه الاجراءات والذين « رغم انهم بعملهم هذا يتصرفون ضد المشاعر الاسلامية فانهم ينفذون بطريقة فعالة وبدون تردد ما أراه ضروريا للحفاظ على حياد مصر » (٣٤) ٠

ومع ذلك فقد كان كتشنر يعترف بان هذه المهمة صعبة التنفيذ وتمثل عبئا كبيرا على موارد الحكومة المصرية المالية ، وفى الوقت نفسه يشعر بالاسف لان هذه الرقابة وكل هذه الاجراءات لم توقف نقل المؤن والعتاد الى الساحة الليبية ، فهذه « كمية كبيرة من الاسلحة أنزلها الترك الى البر فى نقطة ما على الساحل على بعد ستين ميلا غربى الاسكندرية حيث كان فى انتظارها عدد من الابل نقلتها الى الحدود وافلتت من نطاق المراقبة ، وسوف يحاكم رجال خفر السواحل المتورطين فى هذه العملية عسكريا وهم الآن فى السجن ، وانني احاول التوصل الى معرفة من عاون فى ذلك ، وكذلك أصحاب الابل ، وأقترح ارسال سفينة حربية (بريطانية) لمراقبة الساحل ، لانه رغم أن هذه أول كمية من السلاح يتم تهريبها الا أنني اخشى أن يعاود الترك الكرة مرة أخرى ، وقد أخطرت القائم بالأعمال الايطالى بالموضوع من بدايته وبالخطوات التى اتخذتها للقبض على القافلة » ٠

وازاء عملية التهريب هذه اتخذت الحكومة المصرية عدة اجراءات

(٣٣) الرسالة ٤٠ فى ١٩١١/١١/٢ من كتشنر (القاهرة) الى جراى ٠

(٣٤) الرسالة ١٢٦ فى ١٩١١/١١/٢٥ ، ورقم ١٢٩ فى ١٩١١/١٢/١٠ من كتشنر الى جراى ٠

اضافية بحشد رجال من سلاح الهجانة على طول الساحل الشمالى فى مراكز كل منها تحت امرة ضباط انجليز لمراقبة الساحل من الاسكندرية الى السلوم ، وفرضت قيودا على حركة الابل بين مصر وطرابلس ، كما ذكر كتشنر انه كان عازفا عن استخدام قوات انجليزية ولكن اذا لزم الأمر فانه سوف يستخدم قوة من الخيالة الانجليزية على طول الحدود الغربية لوادى النيل وتعزيز خط الساحل .

كما اتخذت السلطات البريطانية فى مصر اجراءات مماثلة على حدود مصر الشرقية عندما علمت بتجمع قوات تركية ومعها كمية كبيرة من السلاح والعتاد فى غزة ، وان هذا التجمع سيكون مصدرا لتهريب الاسلحة الى طرابلس عبر مصر عن طريق بير سبع وقناة السويس ، فوضعت حراسة انجليزية قوية على القناة ، ومنع رسو القوارب على الجانب الشرقى للقناة لمنع أى قافلة من العبور كما وزعت قوات الهجانة البريطانية على القناة ، « وسوف تطلق هذه القوات الرصاص اذا لزم الأمر مما يؤدى الى حوادث مؤسفة على الأراضى المصرية » .

ولما كان ملك بريطانيا وقتئذ فى رحلة الى الشرق ومن المقرر عودته عن طريق قناة السويس فقد رأى كتشنر أنه من المستحسن ابلاغ هذه الحقائق الى الصدر الأعظم والى السفير التركى فى لندن « لاثناء الحكومة التركية – ان أمكن – عن مثل هذه المحاولات غير المجدية والتى لن تؤدى الا الى الاضرار بهم وحدهم . ولا شك فى ان مكتب المعتمد العثمانى هنا (فى القاهرة) هو المنظم لهذه المحاولات ولعل لرحلة رءوف باشا السريعة والأخيرة لسوريا صلة بهذه المحاولات » (٣٥) .

ومن الاجراءات التى اتخذتها السلطات البريطانية فى مصر وقف الاتصال البرقى مع طرابلس عبر مصر ، وقد احتجت الحكومة العثمانية على ذلك لدى الحكومة المصرية التى ردت بان هذا الاجراء اتخذ بسبب « قيام الضباط الترك بتهريب الأسلحة وبذلك يخرقون حياد مصر ، فكان لابد من اتخاذ اجراءات عسكرية معينة لمنع احتمال تعرض الحكومة المصرية لضرر بالغ لسماحها بمرور الأسلحة الى المحاربين ، وهذه الاجراءات التى اتخذت تستلزم تحويل بعض خطوط البرق للخدمة العسكرية (السرية) ، ولكن اذا تعهدت الحكومة التركية رسميا بعدم محاولة تهريب أسلحة بعد الآن ، واذا انسحبت حاميتها من السلوم فانه من الممكن اعادة النظر فى احتمال فتح خطوط البرق على الساحل مرة أخرى » (٣٦) .

---

(٣٥) البرقية ٥٩ فى ١٩١١/١٢/١٥ ، ورقم ٦٠ فى ١٩١١/١٢/١٦ ، ورقم ٧٠ فى ١٩١١/١٢/٢٩ من كتشنر (القاهرة) الى جراى .

(٣٦) البرقية ٦٧ فى ١٩١١/١٢/٢٣ من كتشنر (القاهرة) الى جراى .

وقد لجأ الصدر الاعظم الى الخديو عباس حلمى الثانى فبعث اليه ببرقية يطلب منه فيها ان يستخدم نفوذه الشخصى مع كتشنر من أجل تخفيف الاجراءات التى اتخذها الاخير لمنع المرور عبر مصر الى برقة وطرابلس . وقد تحدث الخديو بشأن هذه البرقية مع كتشنر الذى اجاب بانه رغم ميله لمعاونة الباب العالى « فانه ليست لدى فرصة لتخفيف الاجراءات العسكرية التى اتخذت ، فقد باتت ضرورية لحماية مصر من خرق المادة الخامسة من اتفاقية لاهاى سنة ١٩٠٧ علاوة على قوانين البلاد ذاتها التى تمنع منعا باتا دخول الأسلحة اليها . ولا شك ان عظمة الصدر الاعظم يعلم انه مؤخرا سار اربعة من الضباط الاتراك مع قافلة من خمسين رجلا مسلحا لمدة ثلاثة أيام عبر الاراضى المصرية ولم يكونوا يحملون اسلحة فحسب بل انهم ايضا اخذوا معهم اثنين من الجنود المصريين اسرى ونقلوهما معهم ، وانا متأكد من ان عظمته سيوافقنى على ان استمرار مثل هذا الامر سيؤدى بالضرورة ان عاجلا أو آجلا الى الصدام بين القوات التركية والقوات المكلفة بواجب المحافظة على النظام العام والأمن فى مصر . وسوف يقدر عظمته النتائج الوخيمة للغاية والتى يحتمل ان تترتب على مثل هذه المصادمات ، ومهما يكن الأمر غير مستساغ فان مصر فى هذه الظروف ملزمة باتخاذ اجراءات عسكرية وقائية لحماية البلاد من نتائج انتهاك حرمة اراضيها ، ولكننى سأكون سعيدا ان ابحث كيف يمكن تعديل الاجراءات الحالية بطريقة ترضى رغبات الصدر الاعظم بشرط ان يوقف عظمته بطريقة فعالة عملية ادخال أسلحة بشكل يتعارض مع القانون » (٣٧) .

وبطبيعة الحال اذا توقفت عملية ادخال أسلحة عبر مصر فان الاجراءات لن يكون لها مبرر بدون أى تنازل من جانب السلطات الانجليزية ، وان رد كتشنر ليدل على المهارة فى التخلص من المأزق :

ومن الأمور التى تدعو الى الدهشة والمتصلة بمسألة مرور القوات التركية عبر مصر ان صحف فينا وبرلين نشرت برقيات مفادها ان الحكومة البريطانية سمحت بنقل قوات تركية عبر مصر ، وقد تعمدت هذه الصحف ان تنشر هذا الخبر بشكل بارز ، وأخذت تحلل وتعلل ما يوحى به « هذا التغير المفاجىء فى مسلك بريطانيا المتشدد ودبلوماسيتها العملية » . وفى سبيل تحليل مسلك بريطانيا (المزعوم) ذكرت احدى هذه الصحف الالمانية انه « كان من الواضح فى البداية ان بريطانيا وفرنسا تشجعان ايطاليا على الاقدام على مغامرتها فى طرابلس حيث انه بدون هذا التشجيع

---

(٣٧) البرقية رقم ١ فى ١٩١٢/١/١ من كتشنر (القاهرة) الى جراى .

ومن بريطانيا على وجه الخصوص لم تكن ايطاليا لتجرؤ على التحرك ، وعلاوة على ذلك فان الدافع وراء التشجيع بريطانيا لايطاليا كان واضحا الا وهو اضعاف التحالف الثلاثي ووضع المانيا فى مركز يؤدي الى اضعافه نفوذها سواء لدى ايطاليا أو لدى تركيا .

ولكن بريطانيا ادركت فيما بعد - كما تقول الصحيفة الالمانية - انها استخفت بخطر احتمال نشوب ثورة اسلامية ولذلك فقد حاولت اغراء ألمانيا بالتعاون معها فى الآستانة لاحلال السلام ويبدو ان هذه المحاولة قد أخفقت » . واستطردت الصحيفة الالمانية فذكرت انه بالنظر الى تغير الحكومة في تركيا فقد صار لبريطانيا مرة أخرى اليد العليا والفوقان فى الآستانة ولما كانت محاولتها لجذب المانيا نحو عمل مشترك قد فشلت فقد غيرت بريطانيا سياستها تجاه المسألة الطرابلسية ووضعت نفسها الى جانب تركيا ، ومما يؤيد ذلك سماحها بمرور القوات التركية عبر مصر ، وسيكون التاثير الادبى لهذا التصريف عظيما فى الآستانة وفي العالم الاسلامى كله ، بينما يحتمل أن تكون هناك مزايا أخري مادية آجلا أو عاجلا ، حيث ان بريطانيا لا تفعل شيئا بلا مقابل ، ويحتمل ان تكون هذه المزايا فى الكويت أو فى كريت ، ولكنه من الممكن أن تكون بريطانيا نفسها تتطلع الى برقة نظرا لاهميتها الإستراتيجية لمصر ، فلن يكون مقبولا لدى بريطانيا ان تئول برقة الى ايطاليا » (٣٨) .

ولا شك ان وجهة النظر التي أبدتها الصحف الالمانية بتشجيع بريطانيا للمرور عبر مصر وان كانت تبدو في ظاهرها معقولة ، الا أن الوقائع الثابتة فى الوثائق والتى أوردناها فى هذه الدراسة فى الصفحات السابقة تؤكد ان بريطانيا جاريت بكل شدة مرور الترك عبر مصر لدعم المقاومة في ليبيا ضد الغزو الايطالى ، واذا كان قد حدث تسرب وتسلل لبعض المعدات والافراد فقد تم ذلك رغم أنف السلطات البريطانية ولظروف خارجة عن ارادتها ، خصوصا اذا وضعنا فى الاعتبار ان عملية تهريب الضباط والسلاح انما كانت تتم بمعونة الاهالى من المصريين ، وهناك وسائل شتى تجعلهم يفلتون من الرقابة ، خصوصا مع اتساع المنطقة الصحراوية بين مصر وبرقة . ولا شك ان الصحف الالمانية بهذه الانباء انما تحاول الوقيعة بين بريطانيا وايطاليا حتي لا تنسحب الأخيرة من التحالف الثلاثي وتنضم الى الوفاق ، مثلما حاولت (المانيا) الوقيعة بين الدولة العثمانية وبريطانيا عندما عزت الى هذه الأخيرة تحريض ايطاليا على غزو ليبيا ، وهى تهمة يمكن ان تكون جميع الدول الاوربية بما فيها المانيا مسئولة عنها ؟

---

(٣٨) البرقية ٨٠ فى ١٩١١/١٠/٤ ، والرسالة ٣٠٨ في ١٩١١/١٠/٥ من جنوشن (برلين) الى جراى .

السلوم :

وكان من الطبيعى ان تستغل بريطانيا الموقف لصالحها ، وتنتهز فرصة رضا ايطاليا عن الموقف البريطانى بصفة عامة لكى تنال شيئا من الغنيمة لنفسها تحت ستار المصالح المصرية ، ويتجلى هذا فى موقف الحكومة البريطانية من مسألة السلوم وحدود مصر الغربية عند ساحل البحر المتوسط ٠

وقد نبعت مسألة السلوم من ظهور سفينة حربية ايطالية بجوار السلوم وأخذت فى القيام ببعض مقاييس الاعماق ٠ وكان من عوامل النشاط الايطالى فى مياه السلوم ـ الى جانب منع التهريب ـ انه كان يوجد بجوار السلوم (على أرض برقة) حامية تركية ٠

ولذلك صار كتشنر يرى ضرورة تواجد سفينة حربية بريطانية عند السلوم وذلك من أجل الحيلولة دون تهريب الأسلحة الى المقاتلين فى برقة من ناحية ، وتفاديا لوجود سفن ايطالية فى المنطقة من ناحية أخرى ، وهو أمر لا ترضى به بريطانيا ولا يرضى به كتشنر الذى أحس بسخط الرأى العام المصرى على تواجد السفن الايطالية عند السلوم (٣٩) ٠

وقد طلب جراى وزير الخارجية البريطانية من الاميرالية ارسال سفينة حربية بريطانية الى المياه المصرية ليس فقط لمنع تهريب الترك للسلاح ولكن أيضا لضمان ان حياد مصر لم ينتهك من أى من الجانبين (٤٠) ٠

كما بذل كتشنر من جانبه وعن طريق ضباطه العاملين فى الحكومة المصرية مثل هنتر باشا وسنوبك جهدا كبيرا لاقناع قائد الموقع التركى عند السلوم بالانسحاب غربا (بعيدا عن الحدود المصرية) وبعد معارضة شديدة انسحبت الحامية التركية الى الغرب من موقعها بميلين فقط ولم تفلح مساعى الضباط البريطانيين فى زحزحتها الى الغرب أكثر من ذلك (٤١) ٠

كما كانت هناك مسألة اثارت قلق البريطانيين ، ذلك انه على الرغم

---

(٣٩) الرسالة رقم ٣٠ فى ١٩١١/١٠/١٢ ، والبرقية رقم ٢٩ فى ١٩١١/١٢/٢٦ من كتشنر (القاهرة) الى جراى ٠

(٤٠) البرقية ٧٥ فى ١٩١١/١٢/٢٨ من جراى الى كتشنر ٠

(٤١) الرسالة ١٤٠ فى ١٩١١/١٢/٣١ من كتشنر الى جراى ٠

من اعلان حياد مصر رسميا فى الحرب القائمة بين الحكومتين التركية والايطالية فقد أعلنت الحكومة الايطالية فرض الحصار على الساحل الشمالى لافريقية بين خطى طول ٣٢ر١١ ، ٥٤ر٢٧ شرقى جرينتش أى أن الحكومة الايطالية مدت حصارها على طول الساحل المصرى الى نقطة تقع الى الشرق من رأس الكنايس باكثر من درجة طولية (أى مائة كيلو متر) كما وصل الى أسماع ا حكومة البريطانية ان الحكومة الايطالية تعتبر ان أراضى برقة تمتد حتى خط طول ٢٧ شرقا أو الى مرسى مطروح ، ولذلك فقد كتبت الحكومة البريطانية مذكرة بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩١١ سلمتها للمركيز امبريالى بانها لا يمكن ان تسلم بهذا الادعاء (٤٢) ٠

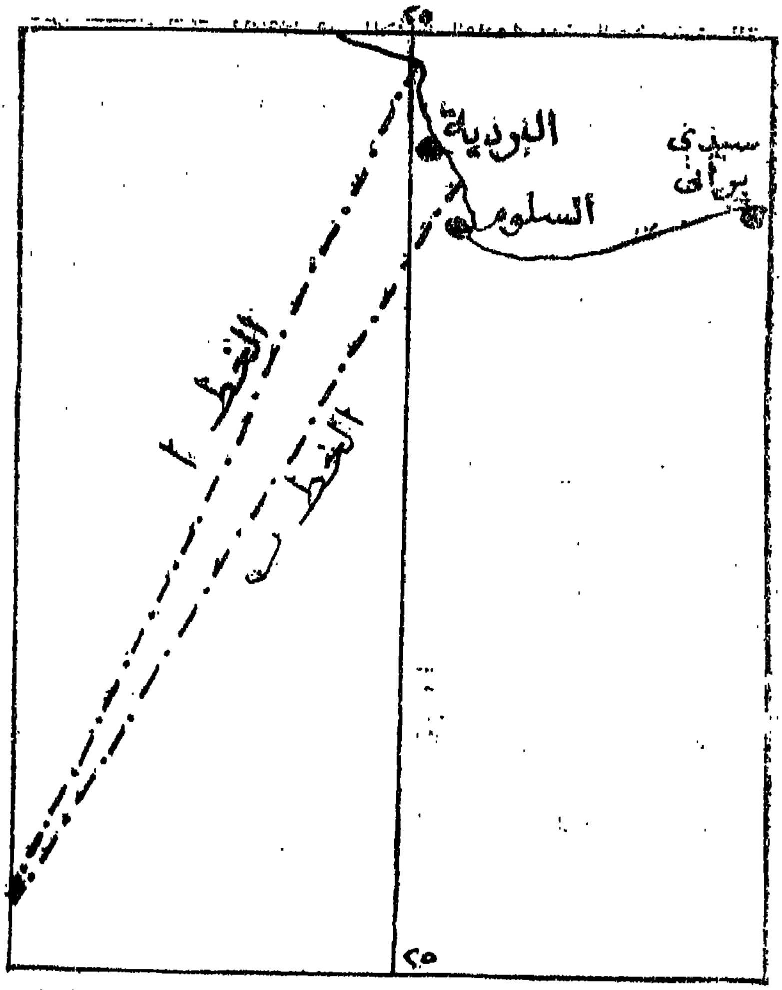
كما علم كتشنر ان الحكومة الفرنسية ابلغت ممثلها فى مصر بان الحكومة الايطالية تعتبر ان اراضى برقة تمتد الى مرسى مطروح (٤٣) ٠

ولكن كتشنر كانت له أهداف أبعد من مسألة التهريب أو الموقع التركى أو تواجد السفن الايطالية ، كان يفكر فى المستقبل ، وبعد أن تستقر الأمور نهائيا وتئول ليبيا (طرابلس وبرقة) الى ايطاليا ، وما قد يترتب على ذلك من وجود خطر يتهدد الوجود البريطانى فى مصر من جانب ايطاليا فى برقة ، وبعد النظر هذا من الأمور التى اشتهر بها ساسة بريطانيا ٠ فقد كان كتشنر يرى انه من الصعب تحديد الحدود بدقة بين مصر وبرقة عند السلوم وانه يمكن ان يكون هناك خطان يصلحان كحدود : الخط أ والخط ب ، والأول يقع الى الغرب أكثر من الثانى ، ولذلك كان كتشنر يرى انه أفضل من الخط ب ، ويقترح على حكومته ان تتمسك به فى أية مراسلات مع الحكومة الايطالية باعتباره يمثل الحدود الحقيقية ٠

---

(٤٢) نص المذكرة فى الوثائق البريطانية ، الرسالة رقم ١٦٣ فى ١٨/١٠/١٩١١ من جراى الى كتشنر ٠

(٤٣) البرقية ٣١ (سرى) فى ١٥/١٠/١٩١١ من كتشنر الى جراى ٠



وعندما استفسر وزير الخارجية البريطانية عن الفائدة المادية التى يمكن أن تعود على بريطانيا من امتلاك المساحة الواقعة بين الخطين أ ، ب رد كتشنر بانه على الرغم من ضآلة هذه المساحة الا أن لها قيمة كبيرة لمصر (وبالتالى لبريطانيا طبعا) ذلك أن الخط ب يقع الى الغرب مباشرة من ميناء السلوم (الصغير) ، أما الميناء الآخر فى خليج السلوم وهو ميناء البردية الذى يقع على مسافة بضعة أميال شمال غربى الخط ب فانه رغم صغره الا أنه – فى رأى كتشنر – افضل من السلوم • وعلى ذلك فانه ما لم يتخذ الخط أ كحدود فان ميناء البردية سيضيع من مصر علاوة على امتداد سيطرة مصر (وبالتالى بريطانيا) على مسافة أطول من الطريق الذى يصل الاسكندرية بطبرق (بورقة) « ولذلك فاننى أعتقد أنه عندما يتعين وقت تخطيط الحدود فى المنطقة يجب أن تكلف اللجنة – لاعتبارات استراتيجية وجغرافية – بأن تتمسك بالخط الذى يقع الى الغرب أكثر » (أى الخط أ) •

وقد أراد سير ادوارد جراى وزير خارجيــة بريطانيا استشارة أهـل الاختصاص فى هذا الأمـر فكتب فى ١٢ مارس (آذار) ١٩١٢ الى كل من وزارة الحربية والاميرالية البريطانية ، وقـد ردت وزارة الحربية بأنه عند استخدام ميناء السـلوم وقت الحرب (بواسطة بريطانيا) فان امتلاك دولة أخرى لميناء البردية سـوف يسبب ارتباكا كبيرا وبخاصة اذا جـرى تحصينه واسـتخدامه كقاعدة لسفن الطوربيد والغواصات (٤٤) .

أمـا الاميرالية البريطانية فقد ردت بأنها تتفق مـع وجهـة نظـر كتشـنر فيما يختص بأهمية امتلاك مصر لكل الخط الساحلى لخليج السلوم بما فيـه رأس الملح حيث أن امتلاك دولة أخـرى لميناء البردية والربوة التى تشرف على مرفـأ السـلوم سـوف يقلل من القيمة لاستراتيجية للسـلوم كمرفـأ ، ولذلك فان الأميرالية تعتبر أنه « من المرغوب فيه جدا فى أى تخطيط مقبـل للحـدود الغربية لمصر أن تحاول الحكومة البريطانية أن تحصل لمصر على خط للحـدود يمتد من رأس الملح ويتضمن ميناء البردية » (٤٥) .

ومن الأمور التى تدعو للدهشة أنه عنـدما تسربت هذه الأخبـار والآراء البريطانية الى الحكومة الايطالية قام السفير الايطالى فى لندن بابلاغ وزير الخارجية البريطانية بأنهم علموا أن كتشنر يفكر فى احتـلال ميناء البردية « وهو خارج حدود مصر » فاذا بجراى يرد على السفير الايطالى بأن الخبر « ليس فيه كلمة صدق واحدة بشأن تفكيرنا فى التحرك خارج الحدود عند السـلوم وأنـا لـم أسمع من قبل عن اسم البردية (٤٦) » (!!) .

جغبـــوب :

بعد نشوب الحرب العالمية الأولى أرادت بريطانيا أن تقدم مختلف الأغراءات لجذب ايطاليا الى صفوف الحلفاء ، ومن تلك الاغراءات مشروع الاتفاق البريطانى الايطالى (ملنر / شالويا) سنة ١٩٢١ والذى تعهدت فيه بريطانيا بمسـاعدة ايطاليا فى الحصول على واحة جغبوب لاتخاذها قاعدة لضد اغارات السنوسيين ضد الحكم الايطالى الذى كان قـد سيطر على ليبيا . الا أن هذا المشروع لـم ينفذ فى ذلك الوقت ، خصوصـا وأن بريطانيا لـم يكن لها الحق آنئـذ فى التصرف فى أراضى مصر الخاضعة لحمايتها (٤٧) .

---

(٤٤) خطاب سرى (بدون رقم) بتـاريخ ١٩١٢/٤/٣ من وزارة الحـربية الى وزارة الخارجية .

(٤٥) خطاب سرى (بدون رقم (بتـاريخ ١٩١٢/٤/١٢ من الاميراليـة البريطانيـة الى وزارة الخارجية .

(٤٦) الرسالة ١٤٨ فى ١٩١٢/٦/٢٨ من جراى الى رود (روما) .

(٤٧) سامى حكيم : جغبوب ص ص ٧ ، ٢١ ـ ٢٢ .

ولم تلبث بريطانيا ـ التى كانت لا تزال تتحكم فى مصائر مصر وتدبير شئونها رغم اصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ـ أن أرغمت الملك أحمد فؤاد ورئيس وزرائه أحمد زيور على تسوية الحدود بين مصر والوجود الايطالى فى ليبيا بحيث تترك جغبوب داخل الحدود الليبية وذلك بموجب الاتفاق الذى أبرم فى ٦ ديسمبر (كانون أول) ١٩٢٥ ٠ الا أننا اذا رجعنا الى الوراء لوجدنا أنه كان لبريطانيا رأى آخر يناقض رأيها الذى تضمنه مشروع اتفاق (ملنر/شالويا) واتفاق ١٩٢٥ ٠

وكما جاء فى تقرير لادارة المخابرات بوزارة الحربية المصرية سنة ١٩١٠ عن حدود مصر الغربية ـ وكانت السلطات البريطانية بطبيعة الحال تشرف على هذه الادارة ـ ان مذكرة مؤرخة فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٠٤ قدمت الى الحكومة العثمانية جاء فيها أنه « لا جدال في أن حدود مصر الغربية كانت دائما تعتبر على أنها تبدأ من رأس جبل السلوم الذى يقع الى الشمال من الميناء ، وتتبع هذه الحدود حافة التلال ثم تسير فى اتجاه جنوبى غربى لتضم واحات سيوه وجغبوب » ٠

وفى سنة ١٩٠٧ فان الحكومة الايطالية ـ وقد انتابها القلق على مصالحها فى برقة ـ عبرت عن رغبتها في الحصول على تاكيد بشان حدود مصر الغربية التى اعتبر الايطاليون انها تمتد من رأس بولان على الساحل الى نقطة التقاء خط طول ٢٥ شرقا مع خط عرض ٣٠ شمالا ، ومنها على امتداد خط طول ٢٥ شرقا الى نقطة التقائه مع خط عرض ١٥ شمالا بحيث تضم برقة المنطقة الواقعة الى الغرب من هذا الخط كل خليج السلوم وواحتى جغبوب والكفرة ٠ ولكن الحكومة البريطانية فى ردها على ايطاليا أوضحت ان هذا التحديد تجاوز حتى ما كانت تطالب به الحكومة العثمانية ، وانه فيما يختص بجغبوب فانت يجب التمسك بما جاء فى المذكرة المقدمة الى حكومة الباب العالى (١٩ نوفمبر ١٩٠٤) وأن الحدود يجب أن تمر الى الغرب من جغبوب (٤٨) ٠

وقبل أن تتقدم ايطاليا على غزو ليبيا رد وكيل الخارجية الايطالية على طلب الاحاطة المقدم من السنيور بيكورارو عضو البرلمان الايطالى فى ٢١ يونيو ١٩١١ بشأن جغبوب ٠ وكان عضو البرلمان قد ذكر أن كل الخرائط بما فيها تلك المطبوعة فى ايطاليا تدخل جغبوب ضمن منطقة السيادة المصرية البريطانية وجاء رد وكيل الخارجية الايطالية أنه « ليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن

---

(٤٨) مذكرة ادارة المخابرات المصرية مرفقة برسالة تشيتهام الى جراى فى ٢٩ اكتوبر ١٩١٠ ٠

واحة جغبوب قد ضمت فعــلا الى منطقة النفوذ المصرى البريطانى ، فهى بلا شك ملك لبرقة » (٤٩) ٠

وما أن وصلت هذه المعلومات الى دار المعتمد البريطانى فى القاهرة حتى بادرت الى الاستفسار من وزارة الخارجية البريطانية عن التعليمات التى تسترشد بها اذا ما أثار القــائم بأعمال القنصل الايطالى فى القاهرة هذا الموضـــوع ، رغم أن دار المعتمد البريطانى اعترفت بأنها تفهم من مرسلات وزارة الخارجيــة « أننا نعتبر جغبــوب أرضــا مصرية » (٥٠) ٠

وقد رد جراى على استفسار دار المعتمد بانهم « على صواب فى اعتقــادكم بأن الحكومة البريطــانية تعتبر جغبوب أرضا مصرية ، ويجب على الحــكومة الايطالية أن تعلم ذلك ، حيث أن صورة من المذكرة التى سلمها السفير البريطانى فى الآستانة الى حكومة الباب العالى فى ١٩ نوفمبر ١٩٠٤ قد ســلمتها الى السفير الايطالى فى لندن مع مذكرتى المؤرخة فى ٢٠ أغسطس (آب) ١٩٠٧ ولم تقــدم الحكومة الايطالية وتتخــذ اعتراضا على وجهـــة النظر البريطانية الواردة فى مذكرة ١٩ نوفمبر ١٩٠٤ ٠ ٠٠٠ ٠٠٠ واذا ما عاد القائم بأعمــال القنصلية الايطاليـة لاثارة الموضوع فانه يكفى أن ننبهه الى أنه حسب معلومات وزارة الخارجية البريطانية فان وكيل الخارجية الايطالية قد ارتكب خطا جغرافيا فى اجابته على طلب الاحاطة المقــدم من السنيور بيكورارو (٥١) ٠

وبعد أن قامت الحرب التركية الايطالية حــول ليبيــا عادت الحـكومة البريطانية لتؤكد ـ فى مذكرة مؤرخة فى ١٦ أكتـــوبر (تشرين أول) ١٩١١ وقدمت الى المركيز امبريالى ســفير ايطاليا فى لندن ـ انه « فى هذه الظــروف فان سير ادوار جراى يرى انه من الصواب ومن أجل منع ســوء التفاهم مستقبلا تذكير السفير لايطالى لابلاغ حكومته بأن وجهات نظر الحكومة البريطانية بشأن الحدود الغربية لمصر لم يطرأ عليها تعــديل منذ المراســـلات التى تبودلت بين سير ادوار جراى والسفير الايطالى فى سنة ١٩٠٧ ٠٠٠ وبعـــد ذلك علمت الحكومة البريطانية أن الحكومة الايطالية قد اعتبرت أنه من المفهوم أن أراضى برقة تمتد حتى خط طول ٢٧ شرقا أى الى مرسى مطروح ، والحكومة البريطانية لا يمكنها بأى حال أن تسلم بهذا الادعاء » (٥٢) ٠

---

(٤٩) الوثيقة ١٠٢ فى ١٩١١/٦/٢٤ من ديرنج (روما) الى جراى ٠

(٥٠) الوثيقة ٧٦ فى ١٩١١/٦/٢٩ من تشيتهام (القاهرة) الى جراى ٠

(٥١) الوثيقة ١٣٩ فى ١٩١١/٨/٢٥ من جراى الى تشيتهام (القاهرة) ٠

(٥٢) مذكرة بتاريخ ١٩١١/١٠/١٦ الى المركيز امبريالى٠

(م ـ ٨ الرسالة)

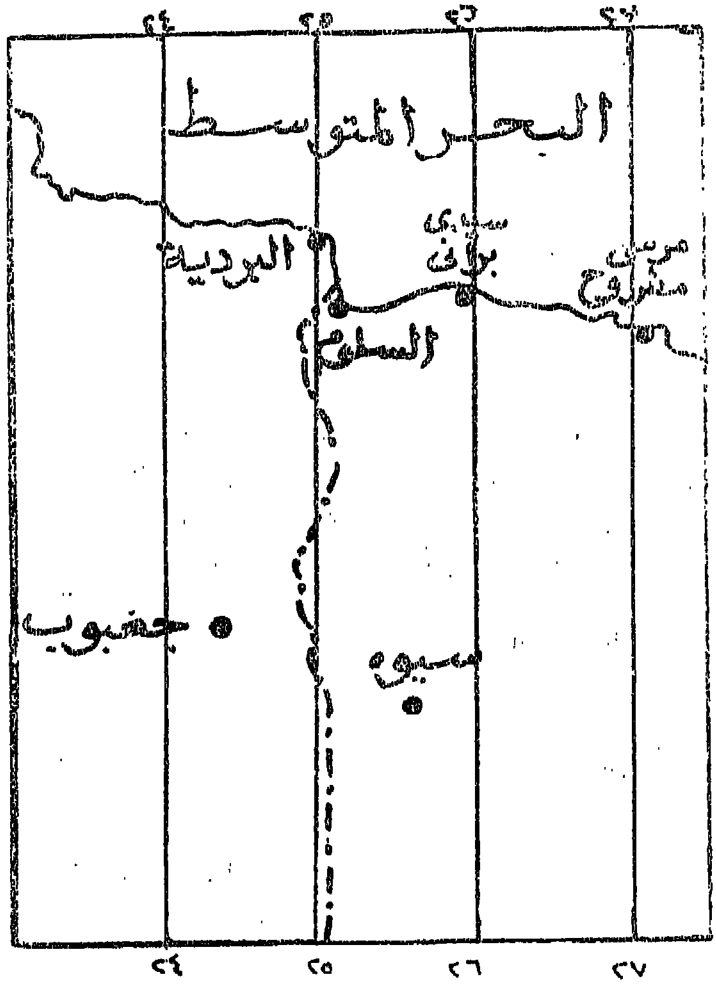
يضاف الى ذلك أنه فيما يختص بجغبوب جاء فى تقرير وزارة الحربية البريطانية المؤرخ فى ٣ أبريل (نيسان) ١٩١٢ والمرفوع الى وزارة الخارجية أنه « فى ظروف معينة ستكون هناك ميزة عسكرية لضم واحة جغبوب لتدخل الحدود المصرية على أساس أن وجود واحة داخل الأرض المصرية قرب الحدود أفضل من وجودها فى أرض دولة أجنبية » .

وعندما ابلغ جراى كتشنر بتقارير وزارة الحربية والاميرالية البريطانيتين بشأن حدود مصر الغربية ، طلب من كتشنر أن يضع فى اعتباره أنه من الممكن التنازل مستقبلا عن جغبوب مقابل المنطقة الواقعة بين خطى الحدود أ ، ب اللذين أشار اليهما كتشنر فى رسالته المؤرخة فى ١٧ فبراير (شباط) « الا أن مثل هذه المفاوضات لا يمكن أن تبدأ فى اللحظة الحالية ، فقد تظهر فرصة أكثر ملاءمة عندما يصير من الضرورى تخطيط الحدود بدقة بين مصر وبرقة عند نهاية الحرب الحالية ، ولذلك فانه من الضرورى الاحتفاظ بحقوق مصر على واحة جغبوب » (٥٣) .

وقد أكد سفير بريطانيا فى روما أنه فهم من المراسلات الواردة من القاهرة أن كتشنر يميل الى زحزحة الحدود المصرية الى الغرب من النقطة المعروفة برأس جبل السلوم بحيث يصبح كل خليج السلوم أرضا مصرية ، وان هناك اتجاها لاستخدام جغبوب فى المساومة لاقناع ايطاليا بهذا التعديل على الساحل عند الدخول معها فى مفاوضات بعد انتهاء الحرب الطرابلسية » (٥٤) . ولو ان السفير البريطانى فى روما خرج من محادثاته مع المسئولين فى وزارة الخارجية الايطالية بانطباع مؤداه ان ايطاليا تريد الحصول على جغبوب « ولذلك فهناك صعوبة في اتخاذها اساسا لتسوية الحدود بين مصر وبرقة عند الساحل » (٥٥) .

---

(٥٣) الوثيقة ٦٠ (سرى) فى ١٩١٢/٤/٣٠ من جراى الى كتشنر (القاهرة) .
(٥٤) الوثيقة ١٣٨ (سرى فى ١٩١٢/٦/١ من رود (روما) الى جراى .
(٥٥) الوثيقة ٩٤ فى ١٩١٢/٦/٢٣ من جراى الى كتشنر (القاهرة) .



وبمرور الوقت كانت بريطانيا مستمرة فى تاكيد تبعية جغبوب لمصر سواء فى مواجهة الترك أو فى مواجهة الايطاليين ، فعندما ابلغ كتشنر جراى بان أنور بك القائد العثمانى فى طرابلس قد ارسل قوة عربية لاحتلال جغبوب ابلغ جراى ذلك الى سفير بريطانيا فى الآستانة وطلب منه ان يذكر الحكومة التركية بان « جغبوب أرض مصرية ، ويحذرهم من ان أى عمل من هذا القبيل من جانب أنور بك سوف تعتبره الحكومة البريطانية خرقا لحياد مصر ... » .

كما انه عندما ابلغ كتشنر جراى بأن أنور بك ارسل الى جغبوب

بعض الأشخاص (مدير واثنين من الضباط وكاتبا وبعضا من غير النظاميين) لاقامة مركز فى مكان ما بين جغبوب وسيوه طلب جراى من سفيره فى الآستانة ان يطلب من حكومة الباب العالى اصدار التعليمات الى الموظفين الترك فى جغبوب بالانسحاب (٥٦) .

كما انه عندما ابلغت دار المعتمد البريطانى فى القاهرة وزارة الخارجية البريطانية بأنه قد وصلت الى جغبوب مجموعة أخرى من الترك تحمل الأموال والهدايا من أنور بك الى الشريف السنوسى للاتصال به فى الكفرة ومعرفة ما اذا كان سيحضر الى جغبوب أم لا ، عندئذ ابلغ جراى هذه المعلومات الى سفيره فى الآستانة طالبا الاستفسار عن معنى هذه البعثة « حيث أنها تتعارض مع حقوق مصر » (٥٧) .

وفى لقاء بين توفيق باشا السفير التركى فى لندن مع سير آرثر نيكولسون وكيل الخارجية البريطانية فى ٢٠ مايو (آيار) ١٩١٢ ذكر الأخير أن « جغبوب أرض مصرية احتلها خطأ ، أو على وشك أن يحتلها خطأ ، انور بك ، ونحن نطلب أن ينسحب انور بك وأى قوة تركية او عربية (أى ليبية) بدون تأخير ، وحق مصر فى جغبوب ليس موضع شك ، ولما كانت مصر محايدة فاننا يجب ان نتأكد من أن أيا من الجانبين المتحاربين لم يحتلها » .

وعندما ابلغ لوثر وزير خارجية بريطانيا بان مجلس الوزراء التركى يعتبر جغبوب جزءا من ولاية بنغازى رد جراى « اننا ابلغنا حكومة الباب العالى بطريقة قاطعة فى سنة ١٩٠٤ بان جغبوب جزء من الأراضى المصرية ولم يصادف هذا الرأى اعتراضا وقتئذ ، وعلى ذلك لا يمكن ان يعتبر المكان جزءا من ولاية بنغازى » (٥٨) .

أما فى مواجهة ايطاليا فانه عندما اخطر سفير بريطانيا فى روما وزير الخارجية الايطالية بالظروف التى تحيط بمحاولة أنور بك اقامة مركز بجوار جغبوب والخطوات التى اتخذتها السلطات البريطانية لضمان انسحاب الترك انتهز السفير البريطانى الفرصة لتاكيد حق الحكومة المصرية فى امتلاك جغبوب (وذلك حتى لا تطالب بها ايطاليا كجزء من برقة) .

---

(٥٦) برقية ٣٠٤ فى ١٩١٢/٤/١٦ ، ورقم ٢٣٦ فى ١٩١٢/٤/٢٧ من جراى الى لوثر (الاستانة).

(٥٧) برقية ٣٠٨ فى ١٩١٢/٥/٣٠ من جراى الى لوثر (الاستانة) .

(٥٨) الوثيقة ٣٢٤ فى ١٩١٢/٦/١١ ، ورقم ٣٣١ فى ١٩١٢/٦/١٧ من جراى الى لوثر .

ومن أجل تدعيم وجهة النظر البريطانية فى مواجهة كل من الدولة العثمانية وايطاليا اقترح كتشنر على جراى ان يجرى (كتشنر) اتصالا بالسنوسى لمحاولة الحصول على تأكيد منه بتفضيل بقاء جغبوب تحت الحكم المصرى « فاذا تم ذلك فان الباب العالى لن يقدم على معارضة وجهة نظر الزعيم السنوسى فى هذه المرحلة من تطور الاحداث » (٥٩) (لان الحكومة العثمانية يهمها استرضاء السنوسيين فى مواجهة الغزو الايطالى) • كما انه ببقاء جغبوب ـ ولها مالها من مركز عظيم بين السنوسيين ـ تحت السيطرة المصرية (البريطانية) ستنجو من الخضوع السيادة الايطالية ، وهذا عامل له أهميته فى ازدياد أمل بريطانيا فى الحصول على موافقة السنوسى •

يضاف الى ذلك ما صارت تعتقده السلطات البريطانية فى مصر من احتمال أن تكون لدى الشيخ السنوسى أوراق تثبت حصوله على حقوق فى جغبوب من والى مصر (سعيد أو اسماعيل (٦٠) ، ولذلك كان هناك اتجاه بين بعض الساسة البريطانيين يؤيد قيام كتشنر بالتأثير على السنوسى ـ بطريقة غير مباشرة ـ لمقاومة ادعاءات الترك ، ولربما للحصول على معونة السنوسيين فى طرد الترك من جغبوب « لأن أى اتصالات مباشرة معه قد تكون سابقة لاوانها ، حيث أن أمرها قد ينكشف وتصير معروفة وتخلق انطباعا باننا نحاول منعه من الدفاع عن قضية الاسلام » (٦١) •

ومن ناحية أخرى كان جراى وزير خارجية بريطانيا يخشى مغبة هذه الخطوة « حيث ان السنوسى ـ اذا ما سلمت بريطانيا جغبوب للايطاليين مقابل التسوية عند السلوم ـ قد يشعر بأننا خدعناه بعد أن اقنعناه وحرضناه على طرد الترك من جغبوب ، كما ان الحصول على تأييده لمصرية جغبوب يضعنا فى التزام نحوه » (٦٢) (أى يجعل من الصعب علينا التنازل عنها لايطاليا فيما بعد • وقد أيد كتشنر وجهة نظر جراى من حيث الاثر السىء للغاية الذى سوف يحدثه فى نفس السنوسى التنازل عن جغبوب ، « ولا شك فى انه اذا كانت جغبوب ستدخل تحت سيطرة أجنبية فانه (أى السنوسى) يفضل كل التفضيل ان يكون تحت سيادة مصر لا ايطاليا » •

---

(٥٩) البرقية ٣٥ فى ١٦١٢/٦/٢٠ من كتشنر (القاهرة) الى جراى •

(٦٠) البرقية ٣٧ فى ١٩١٢/٦/٢٠ من كتشنر (القاهرة) الى جراى •

(٦١) البرقية ١٩٦ فى ١٩١٢/٦/٢٠ من لوثر (الاستانة) الى جراى •

(٦٢) الوثيقة ٤٢ (سرى) فى ١٩١٢/٦/٢٧ من جراى الى كتشنر (للقاهرة) •

ولا شك انه كان لدى المسئولين البريطانيين هدف آخر من محاولة اثبات مصرية جغبوب والحصول على تأييد السنوسى لذلك ولو بطريقة غير مباشرة ، ذلك انه كان من المعروف ان السلطات التركية تتوق لاستخدام جغبوب فى الأعمال العسكرية ضد الايطاليين ، كما صار معروفا ان السنوسى واتباعه قد حملوا السلاح ضد الايطاليين ، ومن ثم فان تأكيد مصرية جغبوب سيحول دون استخدامها فى القتال سواء من جانب الترك أو من جانب السنوسيين على أساس أن استخدامها فى الأعمال العسكرية سيكون خرقا للحياد الذى ألزمت بريطانيا مصربه ، الأمر الذى يضع بريطانيا فى مركز حرج ٠

وظلت السلطات البريطانية فى مصر تلتقط من هنا وهناك أخبار تواجد الترك فى جغبوب ، وكذلك الموعد الذى سيصل فيه الشيخ السنوسى اليها ، وتوافى بها وزارة الخارجية البريطانية لترسل اليها بالتعليمات التى تتصرف على أساسها ، ونقلا عن تاجر مغربى جاء الى القاهرة من جالو علم كتشنر ان الضابط التركى وكاتبه وحفنة من الرجال من أصل عربى لا يزالون فى جغبوب وأنهم « فى البداية كانوا يرفعون العلم التركى بشكل مستمر ، وعندما احتج مندوب السنوسى على أساس ان جغبوب مركز دينى وليست مركزا سياسيا تخابر الضابط التركى مع انور بك واستقر الرأى على ان يرفع العلم التركى فى أيام الجمعة فقط وذلك لحين وصول السنوسى الى جغبوب وهو أمر من المتوقع حدوثه قريبا » (٦٣) ٠

ولما كان من المتوقع وصول السنوسى الى جغبوب بين يوم وآخر فقد فكرت السلطات العثمانية فى تدبير لقاء بينه وبين أنور فى مكان ما بالقرب من جغبوب وذلك للتفاهم حول الدور الذى يمكن أن تقوم به السنوسية فى الكفاح ضد الغزاة الايطاليين ، او على الاقل ـ كما تصورت السلطات البريطانية فى القاهرة ـ لكى يدخل أنور بك فى روع العرب أنه حصل على مباركة السيد أحمد السنوسى حتى اذا فشل فى الحصول منه على أية معونة فعالة فى القتال ، على أساس ان ذلك فى حد ذاته « سوف يحدث أثرا فوريا يساعد أنور بك فى تقوية مركزه وتدعيمه بين القبائل التى تشترك حاليا فى الحرب » ٠

وقد سأل المعتمد العثمانى فى مصر الحكومة المصرية عما اذا كان لديها اعتراض على ذلك اللقاء (بين أنور والسنوسى) فى المكان المقترح (بالقرب من جغبوب) ، واستشارت دار المعتمد البريطانى وزارة الخارجية

---

(٦٣) الوثيقة ٧٦ فى ١٩١٢/٧/١ من كتشنر الى جراى ٠

البريطانية التى أفادت بأنها « لا تستطيع السماح باستخدام الأراضى المصرية ولا ان تقدم على عمل لــه صلة بالترتيبات الخاصــة بعقد اجتماع بين أنــور بــك والسنوسى ٠٠٠ وتسـهيل ذلك بأيــة طريقــة سيكون خرقــا للحيــاد (٦٤) ٠

وخوفــا من أن يتـم التفاهم بين التــرك والسنوسى بحيث ينضم الأخير الى المقاومة ضـد الغـزو الايطالى فكـرت دار المعتمد البريطانى من أجل التأثيـر على السنوسى للبقــاء على الحيــاد والتزام الهـدوء أن يكتب اليــه كتشنر بنفســه (شخصيا) رسـالة ترسـل اليــه عن طريق مندوب السنوسى فى القاهرة على ان تقتصر الرسـالة على توجيــه تحذير عــام للسنوسى حتى يلتزم الهدوء (٦٥) أى لكى لا يستخدم جغبوب كقاعدة ضـد الايطاليين ، خصوصا وان الحكومة الايطاليــة ـ عن طريق سفيرها فى لنــدن المركيز امبريالــى ـ كانت قــد طلبت من الحكومة البريطانيــة أن تعمل من أجل التأثيــر على السنوسى لكى يبقى على الحيــاد ، وقــد ردت وزارة الخارجيــة البريطانية بأنها منـذ البدايــة قــد اتخذت كل ما يمكن من اجــراءات المنــع أى خــرق لحيــاد مصر أو ســوء استخدام الأراضى لمصريــة وخصوصــا بالنسبة لواحــة جغبــوب ، وأنهــا ـ حتى قبــل ان يتقدم السفير الايطالى بطلبــه ـ ارسـلت تعليمات الى القائـم بأعمال ممثل بريطانيا وقنصلها العــام فى القاهرة بالا تسمح الحكومــة المصريــة باستخدام الأراضى المصريــة ، أو ان تكــون لهذه الأراضى صــلة بالترتيبات الخاصــة بعقـد لقــاء بين أنــور بــك والسنوسى ، وأن تسـهيل تأثيــر انــور بــك على السنوسى ضــد القوات الايطالية سيكون خرقــا للحيــاد ٠٠٠ « علما بان جغبــوب ليست مقــر الطريقــة السنوسية ولا هى مقــر الشيخ فى الوقت الحاضر ولذلك فان الحكومة البريطانيــة ليسـت فى وضــع يسمح لهــا بالتأثير أكثــر من ذلك على انصــار الشيخ المنتشرين على نطــاق واســع » (٦٦) ٠

وأخيرا وصــل السنوسى الى جغبوب فى أوائــل سبتمبر (ايلــول) ١٩١٢ ، وكانت دار المعتمد البريطانى تعلم حقيقــة موقف السنوسى من القتــال الدائــر على الســاحة الليبية وما أســفر عنــه اللقــاء بينه وبين البعثة التركية فى جغبــوب ، ولمــا كانت الأخبار التى وصلت الى دار المعتمد البريطانى فــى القاهرة تشير الى رحيــل البعثة التركيــة عن جغبــوب فى ٢٤ ســـبتمبر ، فقــد استنتج المسئولون البريطانيون فى القاهرة أن رحيلها كان استجابة لأوامــر

---

(٦٤) البرقية ٤٦ فى ١٩١٢/٨/١٢ من تشيتهام (القــاهرة) الى جراى ، والبرقية ٥٣ فى ١٩١٢/٨/١٤ من جراى الى تشيتهام ٠

(٦٥) البرقية ٥٩ فى ١٩١٢/٨/٣١ من تشيتهام (القاهرة) الى جراى ٠

(٦٦) مذكرة من سير لويس مالت الى المركيز امبريالى فى ١٩١٢/٩/٥ ٠

السنوسى وفسرت السلطات البريطانيـة ذلك على ان السنوسى سيقف علـى الحيـاد بين التـرك والطليـان ولن يقـدم أيـة معونـة فعالـة لأى مـن الجانبيـن (٦٧) ٠

وقـد اثبتت الحوادث خطـأ هذا الاستنتاج ، فقـد قـام السنوسيون بدورهم فى حركـة المقاومة فالقطر الليبى مقرهم ، وهو فى الوقت نفسـه جـزء من العالـم الاسلامى من واجبهم الدفـاع عنـه ٠

البحر الأحمر وارتريـة :

لقـد كانت الحكومة الايطاليـة ترحب باستثناء البحر الأحمر من مجـال الأعمـال العسكرية اى تحييده ، ولا شـك ان ذلك كان فى مصلحة ايطاليـا أكثـر من كونـه فى مصلحة الدولة العثمانية ، لان هذه الاخيرة كانت تسـتطيع الاستفادة من قـوات حامياتها فى شـبه الجزيـرة العربيـة ونقلها الى ميدان القتـال فى ليبيـا خصوصـا بعد ان عقـد الصـلح بين الدولة العثمانية والامام يحيى فى اليمن ، كمـا كان فى استطاعـة الدولة العثمانية ان تتخذ من السواحل الشرقيـة للبحر الأحمر قواعـد للاغـارة على ارتريـة ، ولقـد علمت السـلطات الايطاليـة أن التـرك يجمعون فعـلا فى مخـا وموان أخـرى قوارب مسلحة للاغـارة على ارتريـة ٠ وحيـاد البحـر الأحمر من شـانه ان يحـول بين الترك وبين النشـاط العسـكرى فيه ، كمـا انـه فى الوقت نفسـه يحـول بين الترك وبين نقـل قواتهم من شـبه الجزيرة العربيـة عن طريق البحر الأحمر (٦٨) ٠

أمـا من ناحيـة ايطاليـا فانها لـم تكن بحاجـة الى البحر الأحمر لانهـا تسـتطيع امداد قواتهـا المقاتلة فى ليبيـا بمزيـد من الجنـود والعتـاد من ايطاليـا ذاتهـا ٠ الا ان الحكومة الايطاليـة كانت تفضـل ألا تقتـرح هى فكـرة تحييد البحر الأحمر ولكنهـا ترحب بهـا اذا تقدمت بهذا الاقتراح دولة ثالثة وبشرط ان تلتـزم بـه الدولة العثمانية أيضا (٦٩) ٠

وارادت الحكومة الايطاليـة أن تدخل فى روع الحكومـة البريطانية انهـا تقبـل تحييد البحر الأحمر من أجل خاطـر بريطانيا والحفـاظ على مصالحهـا

---

(٦٧) الوثيقة ٥٩ فى ١٩١٢/٩/٢٨ والرسـالة رقم ١٠٦ فى ١٩١٢/٩/٢٩ من تشيتهام الى جراى ٠

(٦٨) الوثيقـة ٢٨١ فى ١٩١١/١٠/١٦ من جراى الى لوثـر (الآستانة) ٠

(٦٩) الوثيقة ٩٤ فى ١٩١١/١٠/٩ من رود (روما) الى جراى ٠

« فانه لخدمة أغراض الحرب تــود الحكومة الايطاليــة بطبيعــة الحــال أن تدمــر الاســطول التركــى وكل الناقــلات التركيــة فى البحر الأحمر ، ولــن يكون لذلك أثــر معنــوى فحسب ولكنــه أيضــا ســوف يقضى على كل خطر من جانــب القوات التركيــة التى يمكن أن تنقل من اليمن الى طرابلس ، ولكن الــود الصادق الذى تكنــه ايطاليــا لبريطانيا جعل ايطاليــا تلبــى رغبتنــا (أى رغبــة بريطانيا) فى ان يبقى البحر الأحمر حــرا للتجــارة ، ولذلك فان الحكومة الايطالية على اســـتعداد للموافقــة على حيــاد البحــر الأحمر بشروط معينه ... » .

وقــد طلب السفير البريطانى فى رومــا من وزير الخارجية البريطانيــة ان يكون اتصــال بريطانيا بالترك فى هذا الشـــأن بطريقــة لا تضر مركــز ايطاليــا ، أى انــه يرغب فى أن « نتجنب اعطــاء أى انطبــاع فى الآســتانة بأن ايطاليــا قــد قدمت الاقتراح من أجــل مصالحها هى ، خوفــا ان يؤخذ ذلك كمظهر على ضعف ايطاليــا » . كمــا كانت الحكومة الايطاليــة ترى ان تمتنــع عن تقديــم مقترحات حــول هذا الموضــوع لانــه اذا صــدر هذا الاقتراح عــن دولــة محايــدة فان التــرك ســوف يوافقون عليه (٧٠) .

وكانت الشروط التى ذكرتها ايطاليــا فى مذكرتها الى الحكومة البريطانيــة تتضمن انــه يجب الا تجرى أيــة عمليــات فى البحر الأحمر « ســـواء مــن جانبنــا أو من جانب الترك ، ويمكن تــرك الأنوار فى هذا البحر مضــاءة ، ويجب ان تتعهد تركيــا بألا تقــوم بعمليــات نقــل للقوات أو الأســـلحة والمــؤن فى هذا البحر فى أى اتجــاه ، فلا تدخل الى البحر المتوســط ســـواء عن طريق قنــاة السويس أو بواســطة خط ســكة حديد الحجــاز أو بأى طريق آخــر ، كمــا لا يســمح بان تخرج من هذا البحر صــوب الشــمال أيــة ســفينة حربيــة أو نــاقــلة عسكرية حتى ولــو كانت فارغــة » (٧١) .

وعلى الرغم من أن سفير بريطانيا فى رومــا كان يعتقــد انــه من الصعب تحديد أى من الدولتين (تركيــا أو ايطاليــا) ســوف تستفيد من قــرار تحييــد البحر الأحمر أكثــر من الأخرى ، الا انــه مما لا شــك فيه ان ايطاليــا ســتكون أكثــر فائــدة كمــا ســبق القــول .

وكأنما ارادت ايطاليــا أن ترغم الدولة العثمانية على قبــول اقتـــراح تحييــد البحر الأحمر اذا ما قامت الحكومــة البريطانية بعرضــه عليها ، فقــد قامت ســفينتان ايطاليتان فى الثانى من أكتوبــر (تشرين أول) باطــلاق احدى

---

(٧٠) الوثيقــة ١٨٥ فى ١٩١١/١٠/٩ من رود (رومــا) الى جراى .

(٧١) الوثيقة ١٦٢ فى ١٩١١/١٠/١١ من جراى الى رود (روما) ومرفق بها مذكرة المركيز امبريالى الى وزارة الخارجية البريطانية .

وعشرين قذيفة على ميناء الحديدة فى اليمن ، الأمر الذى أدى الى سخط القبائل اليمنية وتجمعها فى الداخل صوب الساحل ، وقرار الامام يحيى باعلان الحرب الدينية ، الأمر الذى دفع رتشاردسون نائب القنصل البريطانى فى الحديدة الى تحبيذ اقتراح بان ترسل الاميرالية البريطانية سفينة حربية ترابط بجوار الحديدة (٧٢) •

وقد طلب وزير الخارجية البريطانية من سفيره فى الآستانة ابلاغ الحكومة العثمانية بان « الحكومة البريطانية ـ وقد أنتابها القلق على مصلحة التجارة البريطانية ـ تتوق الى ضمان حياد البحر الأحمر فى الحرب الحالية » (٧٣) •

ويبدو أن الحكومة الايطالية كانت تدرك ان الحكومة العثمانية لن توافق على حياد البحر الأحمر لأنه سيكون عديم الفائدة لتركيا ما لم يساعدها على نقل قواتها دون التعرض لها ، ولذلك فكرت ايطاليا ـ بدعوى الرغبة فى ارضاء الحكومة البريطانية ـ فى المطالبة باضاءة الأنوار ذات الأهمية للملاحة العالمية والتى تخدم فى ارشاد السفن المتجهة من المحيط الهندى الى البحر المتوسط والعكس وقد نقلت الحكومة البريطانية هذه الرغبة ـ رغبة الحكومة الايطالية ـ عن طريق السفير البريطانى فى الآستانة من أجل الحصول على موافقة الحكومة العثمانية • ولكن حتى هذا الاقتراح الايطالى لم تكن الحكومة العثمانية تستطيع قبوله ، فقد كان عاصم بك وزير الخارجية التركى يرى ان « تركيا ليس فى متناولها سوى سلاح واحد فى البحر الأحمر وهو اطفاء الأنوار ، وان التخلى عن هذا السلاح لا يضمن لتركيا مزايا الحياد التى ستتوفر للآخريين ـ أى لايطاليا » بل واشتد السخط فى الدولة العثمانية على موقف الحكومة البريطانية لأنها تتبنى شروطا فى صالح ايطاليا وحدها (٧٤) •

وكان من رأى وزير الخارجية العثمانية أيضا ان الحكومة العثمانية لن تستفيد شيئا بالموافقة على الاقتراحات المقدمة ، كما كان يرى ان الحالة الراهنة اذ تسبب المتاعب والصعوبات لتجارة العالم قد تجعل من المحتمل ان تحاول الدول الضغط على ايطاليا •

---

(٧٢) البرقية ٢٥٨ فى ١٩١١/١٠/١١ من لوثر (الاستانة) الى جراى •

(٧٣) البرقية ٣٧٧ فى ١٩١١/١٠/١٢ من جراى الى لوثر •

(٧٤) مذكرة امبريالى فى ١٩١١/١٠/١٨ ، الوثيقة ٢٨٨ فى ١٩١١/١٠/٢٥ من لوثر الى جراى •

ولكن المسألة انتهت عند هذا الحد فلم يتقرر حياد البحر الأحمر كما لم يتقرر اطفاء الأنوار على سواحله ٠

أما عن ارترية ومصوع ، فقد قامت ايطاليا بنقل قوات اسلامية من مصوع لاستخدامها فى ليبيا ، ونقلت هذه القوات طبعا عن طريق قناة السويس ، وكان لهذه المسألة جانبان ، الجانب الأول يتمثل فى سماح بريطانيا بمرور هذه القوات عبر قناة السويس مما يعتبر خرقا لحياد القناة ، خصوصا وان بريطانيا كانت تمنع مرور السفن العثمانية المحملة بالجنود والعتاد من هذا الحق ، مما يجعلنا نرى أن بريطانيا بهذا الموقف انما كانت منحازة الى جانب ايطاليا ٠

أما الجانب الثانى فيتمثل فى مدى حق ايطاليا فى استخدام القوات الارترية ضد الدولة العثمانية ، وفى هذا الشأن كانت الحكومة المصرية ترى ان « مصوع عندما انتقلت الى أيدى الايطاليين لم تكن ارضا بلا صاحب بل كانت تديرها مصر ولم تنقطع علاقتها بالحكومة المصرية التى ظلت على صلة بها عن طريق قناة السويس ، وان ايطاليا اعترفت بالسلطة المصرية هناك ورفعت العلم المصرى الى جانب العلم الايطالى ، حقا انه بعد ذلك لم يعد العلم المصرى يرفرف ولكن ذلك كان موضع احتجاج فى حينه من جانب الحكومة المصرية ٠ وازاء ذلك ، وحيث أن مصر لم تتنازل رسميا عن حقوقها فان الوزراء المصريين يرون أن ايطاليا لا يحق لها ان تجند قوات ارترية للقتال ضد تركيا صاحبة السيادة على مصر » ٠

وقد أثار هذا الأمر سخط الشعب المصرى الذى اعتبره تصرفا غير شرعى وخرقا للحياد ، كما أثار حملة صحفية عنيفة حيث هاجمت المؤيد وغيرها من الصحف الوطنية الحكومة المصرية « لاهمالها المصالح الوطنية واذعانها للايطاليين ، وهناك اتجاه لمطالبة بريطانيا بتأييد وجهة النظر المصرية » ٠ ولما كان مركز بريطانيا فى مصر قد يتأثر نتيجة لذلك ، فقد كان كتشنر يحبذ تدخل الحكومة البريطانية بأن تقترح على السلطات الايطالية عدم الاعتماد على المجندين من ارترية ، ووقف نقل مزيد من القوات الاسلامية من مصوع (٧٥) ٠

وعندما علمت الحكومة الايطالية ـ عن طريق القائم بالأعمال الايطالى

---

(٧٥) الرسالة ١٥ فى ١٩١٢/٢/١١ من كتشنر الى جراى ومرفق بها مذكرة من الحكومة المصرية ، البرقية ٩ فى ١٩١٢/٢/١٤ ، رقم ١٩١٢ ، رقم ١٧ فى ١٩١٢/٢/١٨ من كتشنر الى جراى ٠

فى مصر — بان لورد كتشنر والحكومة المصرية تلحان على القائم بالاعمال الايطالى لكى يوصى حكومته بالامتناع عن استخدام قوات ارترية فى ليبيا ، عبر وزير الخارجية الايطالية للسفير البريطانى فى روما عن اعتقاده وثقته فى ان الحكومة البريطانية لن ترد على أية احتجاجات تتقدم بها مصر « وقد تترتب عليها نتائج تضر بالعلاقات التى ترغب الحكومة الايطالية فى الاحتفاظ بها مع بريطانيا » . وكانت الحكومة الايطالية ترى انها لا يمكن ان تسمح بان تكون سيادتها على ارترية كاقليم ايطالى محلا للمناقشة وبالتالى حقها فى استخدام قوات من ارترية فى ليبيا أو اى مكان آخر ، وانها مصممة على استخدام جنودها فى المستقبل مثلما استخدمته فى الماضى ، وادعت ايطاليا أن الاساس الذى تبنى عليه مصر ادعاءها غير سليم (٧٦) .

وفى الوقت نفسه قدم المركيز امبريالى سفير ايطاليا فى لندن وجهة نظر الحكومة الايطالية الى ادوار جراى وزير خارجية بريطانيا . فذهب السفير الايطالى الى القول بأن « مصر تستند فى احتجاجها على تجنيد قوات ارترية للعمل فى ليبيا على اساس ان الوضع فى ارترية هو نوع من الحكم الثنائى المماثل لوضع بريطانيا ومصر فى السودان ، وان مصر لا تزال لها حقوق من نوع ما فى ارترية . واشار السفير الايطالى ان كتشنر ذكر للقنصل الايطالى فى مصر ان ارترية ليست مستعمرة حقيقية ، لأن العلم المصرى كان فى العادة يرفرف الى جانب العلم الايطالى ولو ان ذلك الاجراء قد أوقفه الايطاليون فى الوقت الحاضر ، وان كتشنر لا يرغب فى الاقدام على تصرف قد يثير مزيدا من الجدل والنقاش فى الصحف المصرية حول ارترية اكثر مما اثير فعلا ، واستطرد السفير الايطالى فقال ان كتشنر يعتقد انه من الأفضل أن توقف ايطاليا ارسال قوات ارترية الى ليبيا . وذكر السفير الايطالى فى لندن أن وزير الخارجية الايطالية كلفه بابلاغ جراى بانه يثق فى نظرته العادلة للمسألة ، وانه ليس على استعداد لبحث أى موضوع يتصل بحق ايطاليا فى ليبيا .

وأخذ السفير الايطالى يسرد على جراى المعاهدات والاتفاقيات التى تثبت حق ايطاليا فى امتلاك ارترية ، فقال ان « تحفظ مصر سنة ١٨٨٥ م كان يتصل بمصوع فقط لان كل بقية ارترية قد منحته مصر للحبشة ، وان هناك معاهدة بتاريخ ٣ يونيو (حزيران) ١٨٨٤ م بين انجلترا ومصر والنجاشى وفيها اعادت مصر الى الحبشة ارض بوغوص . كما حصلت ايطاليا على معظم أراضى ارترية بالغزو أو الشراء من النجاشى . واضاف السفير

---

(٧٦) البرقية ١٥ فى ١٩١٢/٢/١٨ من رود (روما) الى جراى .

الايطالـى أن أى تحفظـات قدمتها مصر بشأن مصـوع قـد سـقطت باعتـراف مصر بان ارترية أرض ايطاليـة ، حيث ان اتفاقـا فى هذا الشـان قـد وقـع فى ٢٥ يونيو (حزيران) ١٨٩٥ م بين الجنرال باراتييرى واللورد كتشـنر (الذى كان وقتئـذ سردارا للجيش المصرى) كمـا اعترفت انجلترا فى سـنة ١٨٩١ م بالمنطقـة الايطاليـة فى بروتوكول بشـأن حدودهما فى شرق أفريقية ، وان هنـاك اتفاقـا عقـد بين مصر (وكـان يمثلها بارسونز) وايطاليـا وكان يمثلها حاكم ارتريـة فى ٢٥ ديسمبر (كانون أول) ١٨٩٧ م تـم فيه الاعتراف بالحكومة الايطاليـة فى ارتريـة ، عـلاوة على اتفـاق سنة ١٩٠٥ م وقـع فى اديس أبابا بين انجلترا (ويمثلها سيرجون هارنجتون) وايطاليـا (ويمثلها الكولونيل تشيكوديكولا) والحبشـة (ويمثلها الامبراطـور منليك) وتـم فى هذا الاتفـاق الاعتراف بالحدود الارتريـة ، وانـه فى ١٣ ديسمبر (كانون أول) ١٩٠٦ م وقعت اتفاقيـة فى لنـدن بين سير ادوار جراى وسفيرى فرنسا وايطاليا تـم الاعتراف فى المـادة ٤ ب فيها بمصالح ايطاليا المترتبة على امتلاكها مستعمرة ارتريـــة ٠

واستطرد الوزير الايطالى فقال انـه « لا يصدق عينيه عندما يقـرأ أن لور كتشنر يناقش حقوق ايطاليـا فى ارتريـة » ، وأكـد السفير مـرة أخـرى أن الحكومة الايطالية لا تستطيع مناقشـة هذه الحقوق ، وأشـار الى الأثـر السىء الذى سيحدث فى ايطاليـا اذا ما أثارت بريطانيا هذا الموضوع ٠

وقـد رد وزيـر الخارجيـة البريطانية على السفير الايطالى بانه لـم يسبق لـه الاطـلاع على المعاهـدات التى استشهد بهـا السفير ، « ولذلك فالأمـر جديد بالنسبة لـى ، ولا أستطيع أن أقول فيه شيئا قبل بحثـه ودراسته » (٧٧) ٠

ولـم يلبث جراى ان سـلم بوجهة نظـر ايطاليـا ، فطلب من سـفيره فى رومـا أن يطمئـن الحكومة الايطالية بشأن ارتريـة وان يبلغهـا انه ليس هنـاك نيـة للوقوف فى وجـه مـرور القـوات عبر قنـاة السويس ، كمـا ارسـل الى كتشنر فى نفس المعنى مشيرا الى ان احتجاج الحكومة المصريـة غير مقبـول (٧٨) ٠

---

(٧٧) الوثيقـة ٤٦ فى ١٩١٢/٢/١٩ من جـراى الى رود (روما) ، والوثيقـة ٥٢ فى ١٩١٢/٢/٢٠ من رود الى جراى ٠

(٧٨) الوثيقة ٥١ أ فى ١٩١٢/٢/٢٢ من جراى الى رود ، والبرقية ١٢ فى ١٩١٢/٢/٢٢ من جراى الى كتشنر ٠

والاتفاقيات التى أوردهـا السفير الايطالى للتدليل على تنازل مصر عن حقهـا فى ارتريـة انما هى اتفاقيات عقدت بين ايطاليا من جهـة والحكومـة البريطانيـة أو الحكومة المصريـة من جهـة أخـرى ، وهذه الأخيرة كانت فى تلك الفتـرة لا تملك من أمـر نفسـها شيئا ، بـل كانت تسيطر عليها وتوجـه سياسـتها الحكومة البريطانية ، حتى ان ممثل الحكومة المصريـة الذى وقـع على هذه المعاهدات كان موظفا بريطانيا (كتشنر وبارسونز) ، ولذلك فانه يمكن القول بأن مصر لم تتنازل عن حقها وحق الدولة العثمانية صاحبة السيادة العليـا ، والدليـل على ذلك انـه رغـم سيطرة بريطانيا على مقـدرات مصر فان الحكومة المصريـة احتجت رسميا على احتـلال ايطاليـا لهذه المناطق التى كانت توجد بهـا حامية مصريـة عندما نـزل بهـا الايطاليـون الذين رفعوا علـم مصر عليهـا فتـرة من الزمن الى جانب العلم الايطالـى اعترافا منهم بانها من ممتلكـات مصر ، بـل ان مصر استمرت فى دفـع الجزيـة السنوية عن مصوع للبـاب العالـى بعـد احتلال الايطاليين لهـا ٠

واذا كانت بريطانيا قـد غضت النظـر عن احتـلال ايطاليـا لارتريـة بـل وشجعتها على ذلك ، فان ذلك يرجـع الى ما كان سيعود على بريطانيـا ذاتها من فوائـد من وراء الاحتـلال الايطالـى لارتريـة (٧٩) ٠

موقف الخديو عباس الثانى ابـان الحـرب :

يذهب البعض الى ان الخديـو عباس حلمى اسـتطاع فى البدايـة ارسـال بعض المساعدات الى المجاهدين فى ليبيـا ، ولكنه لـم يلبث أن غير موقفـه ، مستندين الى ما ذكـره الأمير شكيب أرسـلان فى رسـالة منه الى الشـيخ محمد الاخضر العيسـاوى فى ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٣٦ ، وفيها ذكر أرسـلان انـه فى أثنـاء مروره بمصر فى أغسطس (آب) ١٩١٢ فى طريقه من طرابلس الى الآسـتانة علم ان الخديـو كان قـد اتفق مع ايطاليـا على أن يبيعها خط سـكة حديد مريوط بمبلغ كبير ، وفى مقابـل ذلك يساعدهـا فى اخماد الحـرب المشتعلة فى ليبيـا ، ويؤكـد هذه الصفقـة أحمد شـفيق فيذكر انـه أشـيع بعد عقـد الصلح بين الاتراك والطليـان بثلاثة شـهور أى فى أوائـل سنة ١٩١٣ ان الخديـو بـاع خط سـكة حديد مريوط الى بنـك درسـدن الالمانـى ، ولـم يلبث أن اتضح بعد ذلك أن عقـد البيـع قـد ابـرم فى الحقيقة مع بنك ايطالـى ، رخص لـه الخديو أيضا بمد هذا الخط الى نهايـة حـدود طرابلس عند السـلوم ،

---

(٧٩) لمزيد من التفاصيل انظـر : السيد رجب حراز : ارتريه ـ الفصـل الخـامس ، محمد صبرى : الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ص ص ١٦٣ ـ ١٧٠ ، شوقى الجمل : سياسة مصر فى البحر الاحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ص ص ١٠٧ ـ ١١٦ ٠

فأثار عقد هذه الصفقة اهتمام الانجليز وتدخل كتشنر فى الأمر وهدد الخديو واضطره الى العدول عن بيع الخط لايطاليا والغى عقد البيع مع البنك الايطالى وباع السكة للحكومة المصرية (٨٠) .

وقد أكدت الوثائق البريطانية خبر هذه الصفقة بين الخديو والمهندس الدون امبرون من رعايا ايطاليا فى الاسكندرية وممثل المؤسسة الايطالية لسكة حديد شمال افريقية المنشأة بمقتضى المرسوم الصادر فى ٦ مايو (أيار) ١٩١٠ (٨١) .

وكلف وزير خارجية بريطانيا سفيره فى روما للسعى لدى الحكومة الايطالية لالغاء العقد بين المؤسسة الايطالية والخديو وطلب من السفير ابلاغ قلق الحكومة البريطانية عندما علمت أن الحكومة الايطالية قد دخلت فى مفاوضات مباشرة مع الخديو وتتصل بامور تؤثر على أمن وسلامة مصر دون اخطار الحكومة البريطانية أو المصرية ، وان الدهشة استولت على الحكومة البريطانية لتصرف الحكومة الايطالية وخصوصا بعد الموقف الذى وقفته الحكومة البريطانية والحكومة المصرية خلال النزاع التركى الايطالى . وهددت الحكومة البريطانية بان هذا الموقف من الحكومة الايطالية سيجعل من الصعب منع الخديو من أقامة علاقات مع زعماء برقة فى اثناء مقاومتهم للاحتلال الايطالى (٨٢) .
وعلاوة على ذلك فقد وسط الايطاليون الخديو لكى يقنع السنوسيين بضرورة الاخلاد الى السكينة ويجزل لهم الوعود الطيبة اذا هم قبلوا الأمر الواقع وكفوا عن القتال والجهاد ، فقبل الخديو الوساطة والرسل الى السنوسيين وزعيمهم السيد أحمد الشريف السنوسى فى أواسط ١٩١٣ وفدا كان من أعضائه عبد الحميد شديد بك من رجال المال فى مصر ويحمل الوفد كتابا خاصا من الخديو الى السنوسى ، ولكن الأخير كان مصرا على ضرورة جلاء ايطاليا عن البلاد كلية قبل التفاهم فى شىء ، فأخفقت الوساطة وعاد الوفد الى مصر .

ويذكر أحمد شفيق انه كان من مهمة عبد الحميد شديد الاتصال بالسيد محمد ادريس السنوسى لاغرائه بالاتفاق مع ايطاليا حسما للحرب مقابل ان يسعى الخديو لدى الايطاليين لكى ينصبوا ادريس على السنوسيين

---

(٨٠) شكرى : السنوسية صص ١٥٢ ــ ١٥٤ ، أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ ص ٢٦٦ .

(٨١) البرقية ٢٣ فى ١٩١٣/٣/١٢ من كتشنر الى جراى .

(٨٢) البرقية ١١ فى ١٩١٣/٣/٢٤ من جراى الى رود (روما) .

رئيسا بدلا من عمه الشيخ أحمد الشريف السنوسى ، وكان الثمن الذى سيحصل عليه الخديو هو بيع خط سكة حديد مريوط بالثمن الذى يرتضيه لولا أن كتشنر نسف مشروع بيع هذا الخط (٨٣) ٠

ولم يقف نشاط الخديو لمصلحة الطليان عند هذا الحد ، بل انه تدخل للوقيعة بين عزيز المصرى والسنوسى فى اثناء الجهاد عقب توقيع معاهدة الصلح بين تركيا وايطاليا كما سيأتى بيانه (الفصل العاشر) ٠

---

(٨٣) احمد شفيق : المرجع السابق ٠

الفصل السابع

ايطاليا تعلن ضم ليبيا

وبعد أيام قلائل من الغزو الايطالي لليبيا أخذت الحكومة الايطالية تفكر في اعلان ضمها الى ايطاليا ، ولو أن رئيس الوزارة الايطالية كان يود الانتظار الى ان تتمكن القوات الايطالية من انجاز عمل عسكرى حاسم ، الا أنه لم يكن من المتوقع ـ في رأى السفير البريطاني في روما ـ أن يطول انتظار اعلان قرار الضم ، حتى اذا لم تسنح الفرصة لتحقيق هذا العمل العسكرى بسرعة ، بل توقع أن تتقدم الحكومة الايطالية على أعلان الضم ، وكان هذا الانطباع موجودا كذلك لدى سفيرى فرنسا وروسيا في روما ، وقد أبلغ السفراء الثلاثة حكوماتهم بهذا الاحتمال حتى تكون لدى الحكومات الثلاث فرصة كافية لبحث الموقف الذى ستتخذه ازاء هذه الخطوة من جانب ايطاليا ٠

وفي الخامس من نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١١ وقع ملك ايطاليا مرسوما ملكيا أعلن فيه وضع طرابلس وبرقة تحت السيطرة التامة المطلقة لملكة ايطاليا(١) ٠

دوافع ايطاليا :

ولا شك في أن ايطاليا عندما أقدمت على هذه الخطوة كانت تريد وضع الدولة العثمانية والدول الأوربية أمام الأمر الواقع : الدولة العثمانية لكى تفقد الأمل نهائيا في الاحتفاظ بهذه الولاية فتضطر الى الكف عن المقاومة على أساس أن المقاومة صارت بهذه الخطوة عديمة الجدوى ولا أمل فيها كما تضطر بالتالي الى قبول الصلح مع ايطاليا على أساس التسليم بالأمر الواقع والتنازل عن القطر الليبي ، وبذلك يخف العبء العسكرى عن ايطاليا ، وهو العبء الذى كان اثقل مما توقعته الحكومة الايطالية ، بعد أن صادفت قواتها مقاومة عنيدة للغزو بحيث لم تستطع ان تثبت أقدامها الا في النقاط الساحلية دون أن تتمكن من التوغل في الداخل ، رغم أنها تكبدت الكثير من الخسائر في الأرواح ٠ وقد اعترف وكيل الخارجية الايطالية للسفير البريطاني في روما بان قرار الضم اتخذ على أمل أن يؤدى الى تسهيل عقد الصلح (٢) ، وبالاضافة الى ذلك كانت الحكومة الايطالية تهدف الى اضعاف المقاومة الشعبية بعد أن يوقن الأهالي أنه لم يعد ثمة أمل في الافلات من هذا المصير ٠

---

(١) البرقية ١٣٨ في ١٩١١/١١/٤ ، ١٤٠ في ١٩١١/١١/٥ من رود (روما) الى جراى ٠

(٢) البرقية ١٤٢ في ١٩١١/١١/٧ من رود (روما) الى جراى ٠

ومن ناحية أخرى كانت الحكومة الايطالية تهدف الى وضع الدول الأوربية أمام الامر الواقع فلا يكون ثمة احتمال للتدخل من جانب احداها لعقد صلح بين ايطاليا والدولة العثمانية على أساس آخر غير تنازل الاخيرة عن القطر الليبي ، بعد أن صار رسميا تحت السيادة الايطالية .
ولا يمكن ان نغفل في هذا المجال أيضا الاثر الذى سوف يحدثه قرار الضم على رفع معنوية الشعب الايطالي حين يدخل في روعه ان قواته قد احرزت نصرا مؤزرا مما أدى الى اعلان هذا القرار .

« وان الحل الذي اتخذناه هو الحل الوحيد الذى يحافظ بكل دقة على مصالح ايطاليا واوربا كلها وتركيا ذاتها ، فان صلحا يبرم على هذا الاساس سوف يقضي على كل سبب للخلاف بين ايطاليا وتركيا ...

ولم تعد طرابلس وبرقة جزءا من الدولة العثمانية ، ولكننا على استعداد لان نبحث بروح مسالمة واسترضائية وسيلة تنظيم النتائج بطريقة مريحة ومشرفة لتركيا ، ومن المؤكد اننا لن نستطيع الاحتفاظ بمثل هذه الروح الاسترضائية اذا ما اصرت تركيا على اطالة أمد الحرب ، ولكننا واثقون من أن العمل المشترك من جانب الدول الكبرى سوف يقنع تركيا بالاقدام - دون تاخير - على اتخاذ القرار الحازم والحكيم الذى يتفق مع مصالحها ومع مصالح كل العالم المتحضر » (٣) .

وأخذت ايطاليا تسوق المبررات التى تجعل من الضرورى أن تتقبل تركيا ضم ليبيا « لانه اذا استطالت الحرب حتى ربيع العام القادم فان النمسا سوف تستولى على صنجق نوفي بازار ، كما أن تطورات أخرى قد تتولى وتفقد تركيا كل ما تبقى لها في أوربا ، وترغب ايطاليا في تجنب القلاقل والحروب التى تنشب في حالة تحطم تركيا » . واخذ السفير الايطالي في لندن يلح على وزير الخارجية البريطانية لكى يوضح للحكومة العثمانية بطريقة أو بأخرى حكمة الاستسلام (٤) .

صدي القرار الايطالي بضم ليبيا :

في الدولة العثمانية :

قوبل اعلان ايطاليا ضم ليبيا بدهشة بالغة وسخط عظيم ، واعتبرته بعض الصحف التركية صفعة مهينة لا مثيل لها في التاريخ الأوربي ، وقد

---

(٣) مذكرة من السفير الايطالي في لندن مرفقة برسالة جراي الى روده (روما) في ١٩١١/١١/٦ .
(٤) الرسالة ١٨٨ في ١٩١١/١١/٢٠ من جراي الى روده (روما) .

فوجىء الرأى العام التركى بهذا القرار بعد ان كان الأمل يحدوه فى استرداد هذه الولاية على ضوء ما كانت الصحف التركية تملأ به أعمدتها من أخبار الهجمات التركية على مواقع الايطاليين فى ليبيا ونجاح العمليات التركية العربية المشتركة التى كان الرأى العام التركى يتصور أنها سوف تؤدى الى طرد الايطاليين من الولاية سريعا ٠

ولقد أدت هذه الخطوة من جانب ايطاليا الى تقوية مركز أولئك الذين كانوا يطالبون منذ بداية الحرب باتخاذ اجراءات انتقامية (متطرفة) ضد ايطاليا ، والتى كان من أهمها الغاء الامتيازات الأجنبية ، واخضاع كل المقيمين داخل الامبراطورية العثمانية ، بالزامهم بدفع الضرائب كاملة ، وفرض رسوم جمركية على البضائع الأجنبية بما يتفق والمصالح القومية والاقتصادية لتركيا ، ولتعويض الخسائر المترتبة على ضم ليبيا « وحتى تدرك ايطاليا أن طرابلس ما هى الا بندقة أصلب من ان تحطم » (٥) ٠

اما الحكومة العثمانية فقد احتجت بشدة على القرار الايطالى واعتبرته لا قيمة له وكأن لم يكن ، لأنه ـ كما جاء فى المذكرة التركية ـ مازالت تركيا وايطاليا فى حالة حرب ، ومازالت تركيا تواصل الدفاع عن سيادتها بقوة السلاح ولم تنهزم بعد لكى ينتزع منها الاقليم ، كما أن هذا الاعلان الايطالى الذى ابلغ للدول يمثل خرقا للالتزامات المتفق عليها فى معاهدات دولية وبخاصة معاهدة باريس ١٨٥٦ ومعاهدة برلين ١٨٧٨ ، والالتزامات الدولية بشأن المحافظة على تكامل الامبراطورية العثمانية وتماميتها (٦) ٠

فى بريطانيا :

لقد كانت ايطاليا تقدر أهمية موقف بريطانيا من هذا القرار وقد اعترف وكيل الخارجية الايطالية للسفير البريطانى فى روما بأن الموقف البريطانى يسبب كثيرا من القلق للحكومة الايطالية ، وعبر عن مخاوفه من أن تبادر بريطانيا بالرد ردا غير مناسب على التبليغ الخاص بضم ليبيا ، وعمد وكيل الخارجية الايطالية الى التهديد بأنه « فى هذه الحالة فان الرأى العام الايطالى سيلقى بنفسه فى أحضان المانيا » ٠ (٧) وهكذا أرادت الحكومة الايطالية أن تستغل انقسام أوربا فى ذلك الوقت الى معسكريين متنافسين للحصول على تأييد دولى لموقفها فى ليبيا ٠

---

(٥) الرسالة ٨٢٠ فى ١٥/١١/١٩١١ من لوثير (الآستانة) الى جراى ٠

(٦) مذكرة بتاريخ ١٧/٨/١٩١١ من توفيق باشا السفير التركى فى لندن الى جراى ٠

(٧) البرقية ١٤٣ فى ٧/١١/١٩١١ من رود (روما) الى جراى ٠

ومما يلفت النظر أنه عندما قام سفير ايطاليا فى لندن بابلاغ جراى وزير الخارجية البريطانية بالقرار الايطالى أعرب الوزير البريطانى أنه لم يكن يتوقع اصدار هذا القرار بهذه السرعة ، وانه يجب أن يتشاور مع الدول الأخرى ، وأن يبحث ما اذا كانت حقوق بريطانيا وخاصة التجارية قد تأثرت بهذا القرار . ومعنى هذا أن وزير الخارجية البريطانية لم يعترض على هذا الاجراء فى ذاته أى من ناحيته القانونية من حيث أثره على الدولة العثمانية قدر إهتمامه بمدى تأثر حقوق بريطانيا التجارية بهذا الاجراء الايطالى (٨) . أما بالنسبة لأثر هذا الاجراء الايطالى على المعاهدات الدولية فقد كان جراى يعتقد أن معاهدة باريس ١٨٥٦ هى المعاهدة الوحيدة ذات الصبغة الدولية التى تتأثر باعلان الضم .

وقد رد السفير الايطالى فى لندن على هذه الملاحظة الأخيرة للوزير البريطانى بأن معاهدة ١٨٥٦ قد حلت محلها معاهدة برلين ١٨٧٨ وهذه بدورها اختفت نتيجة العمل الذى أقدمت عليه النمسا قبل ثلاث سنوات عندما قامت بضم البوسنة والهرسك سنة ١٩٠٨ . أما فيما يختص بحقوق بريطانيا التجارية فقد أعرب السفير الايطالى عن تأكده من أن حكومته سوف تحافظ عليها بكل وسيلة (٩) .

فى النمسا :

أما النمسا فقد اعترف وزير خارجيتها الكونت اهرنتال بخطورة الخطوة التى أقدمت عليها ايطاليا على اعتبار أنها سابقة لأوانها وليس لها ما يبررها قانونا ، حيث لا يمكن القول بان الايطاليين قد امتلكوا طرابلس فعلا ، كما أن هذه الخطوة قد تؤدى الى صعوبات وتعقيدات دولية ، وكان من رأى وزير خارجية النمسا انه ما دامت الدول الكبرى قد اتخذت موقف الحياد من المشكلة فانها يجب الا توافق على هذه الخطوة من جانب ايطاليا (على أساس أن الموافقة على القرار الايطالى بضم ليبيا معناه ـ فى رأى الوزير النمسوى ـ الانحياز الى ايطاليا وتخلى الدول عن حيادها) . كما كان الوزير النمسوى يرى أن هذه الخطوة من جانب ايطاليا سوف تجعل السلام أمرا بعيدا (١٠) .

---

(٨) الرسالة ١٧٩ فى ١٩١١/١١/٦ والبرقية ٢٤٤ فى ١٩١١/١١/٦ من جراى الى رود .

(٩) الوثيقة ١٧٩ فى ١٩١١/١١/٦ من جراى الى رود (روما) .

(١٠) البرقية ١٢٠ فى ١٩١١/١١/٦ من كارترايت (فينا) الى جراى .

فـى المانيـا :

أمـا الحكومة الألمانيـة فقد كان موقفها مائعـا للغايـة اذ أبلـغ وزيـر خارجيتها السفير البريطانـى فى برلين بأن الحكومة الألمانيـة قـد أحيطـت علما بالبلاغ الايطالى ، دون أن يبـدى أيـة ملاحظـات على هذا البـلاغ ، وأنـه سـيفعل نفس الشىء (أى لن يبـدى أيـة ملاحظـات) ازاء الاحتجاج التركى ٠ واعـرب وزير خارجيـة المانيا عن اعتقـاده بانـه لا يوجـد ما يمكن قولـه فى الموضوع حتى تتوقف الأعمـال العسكرية (١١) ، أى أن الحكومة الألمانيـة ارادت أن تلتـزم الصمت حتى لا يؤدى اعـلان رأيها الى اغضاب أى من الطرفين ، وفضلت أن تنتظـر الى أن تنتهى العمليـات العسـكرية لترى ما تسفر عنه ، وعندئـذ تعلن رأيها بما يتفق والوضـع القائـم عندئذ ٠

البرلمـان الايطالى يوافق على قانون الضـم :

بعد عطلة طويلة عـاد البرلمـان الايطالى الى الاجتماع فى ٢٣ فبرايـر (شـباط) ١٩١٢ ، وافتتح رئيس مجلس النـواب الجلسـة بخطبـة بليغـة اقتـرح فيها توجيـه رسـالة شـكر وعرفان الى الجيش والاسـطول للأعمـال البطولية التى قامـوا بهـا « والطريقة التى حافظوا بهـا على شرف ايطاليـا » ، وقـد قوبلت خطبتـه بتصفيق حـاد ، وتمت الموافقـة على اقتراحه بالاجماع ٠

ثـم قـدم السـنيور جيوليتى رئيس الوزارة الايطاليـة مشروع قانـون بالموافقـة على مرسـوم ٥ نوفمبر (تشرين ثـان) ١٩١١ بضم اقليمى طرابلس وبرقـة ، فتقرر تشـكيل لجنـة من واحـد وعشرين عضوا لدراسـته ٠

واستؤنف الاجتماع فى اليوم التالـى (٢٤ فبراير ـ شـباط) وفيه سرد رئيس اللجنـة الأسـباب التى أدت الى الحرب والدوافـع لاصدار المرسـوم باعـلان ضـم الاقليمين ٠ وتحـدث البارون سونينو زعيـم المعارضـة الدستورية وأعلن نيتـه فى تأييد سياسة الحـرب ومرسـوم الضـم ومنح الحكومة كـل معونـة وتأييد للوصول بالمشروع الى نهاية ناجحة ٠

أمـا السـنيور بيسـولاتى زعيم الاشتراكيين المعتدلين ، فعلى الرغم من أنه كان ـ كما قـال ـ لا يوافق على الحرب ، فانه يـرى أن الحقيقـة الوحيدة التى يمكن ذكرهـا لتبرير الحرب هى الخـوف من ان تكـون لدولة أخرى مخططات فى طرابلس وهو أمـر لا تسـتطيع ايطاليـا احتماله ، ولكنـه لـم يكن مقتنعـا بعجـز الوسـائل الدبلوماسـية عن ابعـاد مثل هذا الخطـر ، وعبر عن عـدم

---

(١١) البرقيـة ١٠٠ فى ١٩١١/١١/٧ من جوشن (برلين) الى جراى ٠

موافقتــه على قرار الضـم الذى اعتبره ســابقا لأوانــه وعقبــة اخرى فــى سبيل السلام ، وفى الختام أعلن انه سيصوت ضد القانون عن اقتناع بـــأن « المغامـرة الطرابلسية » كانت غير ضرورية وسـابقة لأوانها ، ولـو انـــه عـاد ليقول بانـه اذ يعترف بان الحزب فرقتها على الحكومـة موجـة عارمـة من الحماس الذى عـم البـلاد ، فانه وأنصاره لا يريدون خلـق صعوبـات للحكومة فى ذلك الوقت .

أما السـنيور توراتى زعيـم الجنـاح المتطرف من الاشتراكيين فقـد أعلن أنـه ينـوى التصويت ضد القانـون كاحتجاج على سياسـة المغامـرة التى سـارت عليهـا الحكومة فى الوقت الذى كان يجب عليهـا فيه ان توجـه كل طاقاتهـا لتحسين الأحوال الاجتماعيـة فى البلاد ، وعبر عن أمله فقط فى ان يفلت المشروع (مشروع المغامرة الطرابلسية) من الكوارث التى صادفتهـــا المغامرات الافريقيـة السابقة (يقصـد هزيمة عـدوه فى الحبشـة) . وقـد آثـار حديث توراتى عاصفـة من الاحتجاج من كل جنبات المجلس باسـتثناء اليســار المتطـرف .

وفى الختـام اشـار السـنيور جيوليتى ـ مبررا الحملة ـ بانها تمت من أجل مصلحة المدنيـة ، وأضاف أن ايطاليـا ما كانت لتسمح لدولة أخـرى باحتـلال طرابلس، وان السـيادة الايطاليـة سـوف تمارس بطريقة تتـلاءم مـع الأحوال المحليـة والمشـاعر الدينية للأهلين ، وان مرسـوم الضم كـان ضروريـا « لنوضـح لاصدقائنا وحلفائنـا وأعدائنـا المدى الذى لا تسـتطيع تنازلاتنـا ان تتجاوزه » ، وأعلن ان ايطاليـا لـم تصادف معارضة من جانب أيـة دولة ، وأنها اذا كانت قـد قصرت عملهـا العسـكرى داخـل نطـاق معين فقـد فعلت ذلك من تلقـاء نفسـها وبدافـع من تقدير مصالحها هى (أى بدون ضغط أو تدخـل من جانب دولة أخـرى) .

وبعـد المناقشـة ، وفى اقتراع سرى ، تمت الموافقـة على القانون باغلبية ٤٣٢ صوتـا مقابـل تسعة أصوات عارضته ، وكان المجلس غاصا بالحضور ، الذين غمرتهم موجـة من الحماس الدافـق ، وتكـرر المشـهد الحماسى فى خارج مبنى المجلس ، وفى أثنـاء خروج الوزراء ، وكان الحماس فى مجلس الشيوخ ـ كما يقول السفير البريطانى فى روما ـ لا يقل عنه فى مجلس النواب (١٢) .

ويبـدو أن الحكومة الايطالية أدركت مغبـة هذا القـرار وما قـد يحدثـه من أثـر على الأهالى المسلمين،وهم يرون أنفسـهم وبلادهم تحت سيطرة دولـة

(١٢) الرسالة ٥٤ فى ١٩١١/٢/٢٤ من رود (روما) الى جراى .

مسيحية وسيادتها ، مما قد يؤدى الى اشتداد مقاومتهم واستماتتهم فى الدفاع عن بلادهم وعقيدتهم ، ولذلك ، ومن أجل تهدئتهم ، فقد عبر السنيور جيوليتى - فى اثناء اجتماع تم فى مدينة البندقية بين الامبراطور الألمانى وملك ايطاليا - أن مرسوم ضم طرابلس يعنى السيادة فقط على طرابلس وبرقة بلا قيود ، ولا يعنى الضم بالمعنى الدقيق للكلمة والذى بمقتضاه يصير السكان المسلمون خاضعين للقانون الايطالى ، وقد أكد الملك الايطالى وجهة نظر رئيس وزرائه (١٣) .

---

(١٣) الرسالة رقم ٧٤ (سرى) فى ١٩١٢/٦/١٢ من رود (روما) الى جراى -

الفصل الثامن

الوساطة الدولية بين تركيا وايطاليا

قبل أن يمضى أسبوع على وقوع الغزو الايطالى لليبيا أخذت الحكومة العثمانية تسعى لدى الدول الأوربية لكى تتوسط فى النزاع ، وكانت الأسس التى تأمل الحكومة العثمانية عقد الصلح على أساسها أن يتم الصلح فى وقت مبكر بقدر الامكان وذلك قبل ان تحرز القوات الايطالية انتصارات حاسمة تستحوذ بمقتضاها على نطاق واسع من الأراضى الليبية حتى لا يكون من الصعب اقناع ايطاليا بالجلاء عنها بعد أن صارت ملكا لها بقوة السلاح ، لأن الحكومة العثمانية فى ذلك الوقت كانت ترفض الدخول فى مفاوضات للصلح مع ايطاليا اذا جعلت هذه امتلاك ليبيا أساسا لهذه المفاوضات ، حيث كانت الحكومة العثمانية تخشى رد الفعل السىء الذى سيحدثه تنازلها عن ليبيا فى العالم الاسلامى الذى سيعتبر الحكومة العثمانية مسئولة عن ضياع هذا القطر الاسلامى وتركه لقمة سائغة للاستعمار الأوربى النصرانى ٠

وبالاضافة الى ذلك فان الحكومة العثمانية كانت تخشى أن تمد ايطاليا عملياتها الحربية وتوسع نطاقها خارج ميدان القتال فى طرابلس وبرقة للحصول على نصر حاسم اذا أعوزها ذلك فى الجبهة الليبية ، ونقل ميدان القتال الى مناطق أخرى قد يؤثر على الامبراطورية وقد يؤدى الى فقدانها ممتلكات أخرى فى مكان آخر غير ليبيا وخصوصا فى البلقان ٠

لكل هذه الأسباب اتجهت الحكومة العثمانية الى الحكومة البريطانية قبل سواها من الحكومات الأوربية طلبا للتوسط فى النزاع ، وكان البعض يعتقد أنه كان يجدر بالحكومة العثمانية أن تلجأ الى ألمانيا لا الى بريطانيا فى طلب التوسط ، بحكم الصداقة الوطيدة التى كانت تربط بين الدولة العثمانية والامبراطورية الألمانية فى ذلك الوقت ، ولكن المسئولين العثمانيين قدروا ان الاتجاه الى بريطانيا قد يحقق نتائج أفضل لأسباب معينة فى مقدمتها أن ايطاليا عضو فى التحالف الثلاثى مع ألمانيا (١) مما قد يؤدى الى حرج موقفها فى الوساطة فلا هى تستطيع أن تتوسط على أساس تنازل الدولة العثمانية عن ليبيا لايطاليا ، ولا على أساس عدول ايطاليا عن امتلاك ليبيا ، ولا تستطيع ألمانيا أن ترغم ايطاليا على اتخاذ

---

(١) الوثيقة رقم ١٠١ (سرى) فى ١٩١١/١٠/٥ من كارترايت (فينا) الى جراى ٠

موقف معين في صالح الدولة العثمانية خصوصا وان ايطاليا رغم عضويتها في التحالف الثلاثي ـ لم تكن منحازة اليه قلبا وقالبا ويشوب ولاءها للتحالف شك يتزايد سعيا وراء مصالحها .

الاقتراحات التركية :

وعندما بدأ الترك يتحدثون مع المسئولين البريطانيين عن الوساطة تحدثوا بطريقة سرية وغير رسمية ، وكان في مقدمة الأسس التي اقترحها المسئولون الترك ما عرضه توفيق باشا سفير الدولة العثمانية في لندن على سير آرثر نيكولسون الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية في ٩ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١١ من انه يمكن تحويل ليبيا الى ولاية تتمتع بالحكم الذاتي ويحكمها خديو مصر عن طريق نائب له ، مع منح كل الضمانات والامتيازات الاقتصادية الممكنة لايطاليا ، وكان هذا يعني بطبيعة الحال ، وكما أكد توفيق باشا ، جلاء القوات الايطالية عن طرابلس وبرقة (٢) •

ولربما كانت الحكومة العثمانية تريد أن تجذب الحكومة البريطانية الى جانبها بهذا الاقتراح ، لان وضع ليبيا تحت حكم خديو مصر معناه أنها ستصبح تحت حكم بريطانيا شأنها شأن مصر في ذلك الوقت • وعلى اية حال فقد كان من رأى وكيل الخارجية البريطانية ان ايطاليا لن توافق على التخلي عن ليبيا لمصر •

ولم تكن هذه هي المحاولة الوحيدة من جانب الحكومة العثمانية للتوصل الى صلح مع ايطاليا وانهاء الازمة حول ليبيا ، كما ان الحكومة العثمانية لم تكتف بهذا الاتصال السري مع الحكومة البريطانية ، ولكنها حاولت في الوقت نفسه تقريبا أن تجس نبض دول أخرى من دول الوفاق مثل فرنسا •

ويبدو أن ما عرضته الحكومة العثمانية ـ على لسان السفير التركي في باريس ـ على وزير الخارجية الفرنسية لم يخرج عن المقترحات التي عرضتها على الحكومة البريطانية ، ولذلك فان الوزير الفرنسي أبلغ السفير التركي بان رسائل حكومة الباب العالي لا تزال غامضة ولا تصلح أساسا للتوسط لدى روما ، وانه ليس من المنتظر أن يقتنع الايطاليون بامتيازات اقتصادية وهم على هذه الحال العقلية ، حيث يتمسكون باصرار بامتلاك ليبيا امتلاكا تاما كاملا ، وانه لا فائدة ترجى من الاتصال بالحكومة الايطالية ما لم تتمكن الدول الأوربية من معرفة ما يمكن ان تتنازل عنه الحكومة العثمانية ، ولذلك فعلى هذه الأخيرة ان تعرض ما تراه كحل للمشكلة مع ايطاليا •

---

(٢) الوثيقة ٢٧٩ في ١٩١١/١٠/٩ من جراى الى لوثر (الآستانة) •

وقد لاحظ وزير خارجية فرنسا من حديثه مع السفير التركي ان الحكومة العثمانية تدرك ان ايطاليا لن تنسحب من ليبيا تحت أي ظرف من الظروف ، وان الحكومة العثمانية لا تستطيع الاستمرار في الوضع الحالي (المقاومة) ولكنها تريد أن تظهر امام الرأي التركي وكأن الحل الذي تقبله انما تقبله اذعانا لضغط الدول •

وقد حاول الوزير الفرنسي معرفة وجهة النظر الايطالية أيضا وقد أدرك – من حديثه مع السفير الايطالي في باريس – أن الحكومة الايطالية قد تتقبل بعض أشكال أو مظاهر السيادة التركية من الناحية الدينية ، ولو ان السفير الايطالي ذكر انه ثمة اعتراض في الأوساط الايطالية على ذلك (٣) •

وأخذت المقترحات التركية تتوالى ، فقد أرسلت الحكومة الفرنسية الى سفيرها في الآستانة لكي يحاول معرفة شروط الصلح التي تبدي الحكومة العثمانية استعدادا لقبولها ، وقد ألمح الصدر الأعظم للسفير الفرنسي ان الحكومة العثمانية قد تقبل الصلح على أساس اقامة أسرة حاكمة عربية في ليبيا تحت السيادة الاسمية للسلطان العثماني وتحت الحماية الايطالية أي على نمط وضع الخديوية في مصر (٤) •

ولكن معظم المساعي العثمانية كانت موجهة الى بريطانيا مما يدل على ثقة الحكومة العثمانية في ان بريطانيا هي الدولة الوحيدة القادرة على حل المشكلة سواء تدخلت بمفردها أو بالاشتراك مع الدول الأوربية الأخرى • ولذلك فانه في ١٣ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١١ عرض الصدر الأعظم على السفير البريطاني في الآستانة الأسس التي يمكن على أساسها عقد هدنة تمهيدا لانعقاد مؤتمر دولي تنضم اليه ايطاليا ، ويتضمن الاقتراح العثماني اقامة حكم ذاتي في القطر الليبي مع الاحتفاظ بسيادة السلطان عليه ، وتعيين نائب محلي للسلطان ، ومنح ايطاليا امتيازات اقتصادية واسعة النطاق ، وميناءين لاستخدامهما كقواعد بحرية (٥) •

وبعد ثلاثة أسابيع جرى حديث بين السفير البريطاني في الآستانة وبين حلمي باشا الصدر الأعظم السابق ، والذي يعتبر – في رأى السفير – من الساسة المعتدلين ، ودار الحديث بينهما حول احتمالات الصلح ، فذكر حلمي باشا انه في المرحلة المبكرة من الحرب كان يرى انه من الممكن الوصول

---

(٣) الوثيقة ١٧١ (سري) في ١٩١١/١٠/١٣ من برتي (باريس) الى جراي •

(٤) الوثيقة ١١٨ (سري) في ١٩١١/١٠/٣١ من كارترايت (فينا) الى جراي •

(٥) البرقية ٣١٦ في ١٩١١/١١/١٣ من لوثر (الآستانة) الى جراي •

الى تسوية على أساس استبدال طرابلس مقابل ارترية ، حيث أن ايطاليا ــ فى رأيه ــ لم تحقق شيئا فى ارترية منذ احتلالها لها ، ونفقات ادارتها باهظة ، وتنفيذ هذا التبادل قد يؤدى ــ فى رأى السياسى التركى ــ الى ارضاء الرأى العام الاسلامى ، ولكن اعلان ايطاليا ضم ليبيا جعل هذا الحل بعيدا ٠

وقد علق السفير البريطانى ــ فى تقريره هذا ــ فأورد حقيقة مؤداها أن معظم الضباط الذين يحاربون فى ليبيا متطوعون ومن المحتمل ــ لاسباب وطنية ودينية ــ ألا يطيعوا أوامر الحكومة بوقف القتال ، اذا صدرت مثل هذه الأوامر من الحكومة العثمانية ٠

وعلاوة على ذلك فان الحكومة العثمانية ــ وهى متهمة من قبل ذلك بأنها متطرفة فى عثمانيتها (يقصد تركيتها) وبأنها تميل كثيرا الى اهمال مصالح العناصر والأجناس الأخرى فى الامبراطورية وخصوصا العرب ، لا تستطيع أن توافق على التنازل عن ولاية عربية اسلامية الى دولة مسيحية ، « فان ذلك يعنى ثورة عارمة وعامة فى كل الولايات العربية فى الامبراطورية ضد الحكومة » (٦) ٠

ومن الاقتراحات التى ظهرت لعقد الصلح على أساسها أن تقوم الدولة العثمانية بمنح الاستقلال لعرب ليبيا ، وترك هؤلاء يتعاملون مع ايطاليا وبذلك تتجنب الدولة العثمانية الاعتراف من جانبها بالتنازل عن هذه الولاية ، وقد قيل ان هذا الاقتراح ورد الى روما من بعض المصادر فى العاصمة التركية (٧) ٠ وبعد أيام قلائل ظهر اقتراح قيل ان من الغازى مختار باشا ، ويقوم على أساس تسليم برقة لمصر وطرابلس لتونس ، ثم تقوم ايطاليا بتسوية أمورها مع هاتين الدولتين ، وبذلك يمكن تجنب تنازل الخليفة عن ولاية اسلامية لدولة مسيحية ، ولكن كلا الاقتراحين كانا لا يحظيان بالقبول من الدوائر السياسية فى الحكومة الايطالية ، التى تعترض على الاقتراح الأول بدعوى انه لا توجد فى القطر الليبى أسرة يمكن أن يعهد اليها بالحكم بعد الاستقلال عن الحكم العثمانى ، وتعترض على الاقتراح الثانى على أساس أن الخديو فى مصر لن يقبل أن يجلب على نفسه الخزى والسخط بالتنازل عن برقة لايطاليا (٨) ٠

وهناك اقتراح آخر عرضه وزير الحربية التركى على السفير

---

(٦) الوثيقة ٨٩٣ (سرى) فى ١٩١١/١٢/١٤ من لوثر (الآستانة) الى جراى ٠

(٧) البرقية ١٣٦ فى ١٩١١/١٢/٢٨ من رود (روما) الى جراى ٠

(٨) البرقية ٥ فى ١٩١٢/١/٣ من رود (روما) الى جراى ٠

البريطانى فى الآستانة حول الأسس المكفنة للصلح ، على أنه رأيه الشخصى ، فقال انه يعتقد ان ايطاليا لن تستطيع الغاء مرسوم ضم مقاطعتى برقة وطرابلس ، وفى الوقت نفسه فان تركيا لا تستطيع طرد الايطاليين من ليبيا ولكنها من ناحية أخرى ، وازاء المقاومة الشديدة التى جوبه بها الغزو الايطالى ، لا تستطيع أن تتنازل عن كلا الاقليمين أو أن تعطى أوامرها لضباطها بوقف القتال حيث ان هؤلاء سوف يستقيلون من مناصبهم وينضمون الى العرب فى المقاومة ، كما كان الوزير التركى يعتقد أن سحق المقاومة العربية فى القطر الليبى قد يستغرق من الإيطاليين خمس سنوات ، وعلى ضوء هذه الحقائق جميعا كان الوزير التركى يرى انه يمكن ايجاد أساس للتسوية بترك طرابلس لايطاليا واحتفاظ تركيا ببرقة ، ولكنه كان يرى أيضا أن هذا الاقتراح يجب ألا يصدر عن أى من الجانبين المتحاربين ، ولكنه يجب ان يقدم من الدول الأوربية مجتمعة وأن تصر عليه هذه الدول وتتمسك به ٠

وقد أبدى السفير البريطانى للوزير التركى ملاحظة على هذا الاقتراح بأن ايطاليا قد تضار بترك برقة لتركيا ، فتكون برقة المجاورة لطرابلس مصدر تهديد دائم لطرابلس الايطالية ، وقد رد الوزير التركى على هذه الملاحظة بان احتفاظ تركيا ببرقة لا يمكن أن يمثل خطرا على ايطاليا فى طرابلس حيث ان تركيا لا تمتلك اسطولا كبيرا ٠

وقد تحدث وزير الحربية التركى فى نفس المعنى الى السفير النمسوى فى الآستانة ، ولما كان الوزير التركى عضوا بارزا فى الوزارة ، فقد اعتبر السفير البريطانى ان حديثه يمكن ان يكون تعبيرا عن وجهة نظر كل مجلس الوزراء التركى (٩) ٠

وبعد أيام تحدث وزير الخارجية التركى مع السفير البريطانى فى الآستانة فى نفس اتجاه حديث وزير الحربية ، مؤكدا هو الآخر ان ذلك هو رأيه الشخصى ، وأن تركيا ستوافق فقط على هذه الأسس اذا ما أصرت عليها الدول الأوربية بلا استثناء ، وان تركيا لا تستطيع أن تذهب الى أبعد من ذلك ، وانه اذا لم تبرم ايطاليا الصلح على أساس هذه الشروط فان الحرب يجب ان تستمر ٠ وقد علم السفير البريطانى أن وزير الخارجية التركى تحدث فى هذا المعنى مع السفير الفرنسى (١٠) ٠

هذه هى الأفكار والمقترحات التى عرضتها الحكومة العثمانية بصفة

---

(٩) البرقية ١٢٠ فى ١٩١٢/٤/٢٢ من لوثر (الآستانة) الى جراى ٠

(١٠) البرقية ١٤١ فى ١٩١٢/٥/١ من لوثر الى جراى ٠

رسمية أو عرضها بعض رجالها على أساس أنها آراؤهم الشخصية ؛ فماذا كان صدى هذه المقترحات لدى الدول الأوربية المختلفة التى عرضت عليها ، وما موقف الدول الأوربية عموما من الوساطة بين تركيا وايطاليا ؟

موقف بريطانيا :

أما بريطانيا فانها عندما تلقت رسالة الحكومة العثمانية بطلب التدخل رد وزير الخارجية البريطانية على السفير التركى بضرورة بحث الأمر مع الدول الأخرى . ولم تلبث الحكومة البريطانية أن كشفت النقاب عن حقيقة موقفها وتجلى هذا فى أكثر من مناسبة ، فعندما وجه أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى سؤالا الى وزير الخارجية عما اذا كان سوف يستخدم مساعيه الحميدة ونفوذ المملكة المتحدة لوضع حد لقتل العرب رجالا ونساء وأطفالا على أيدى الايطاليين فى طرابلس ردت الحكومة بأن « العمليات الحربية التى تقوم بها الحكومة الايطالية فى طرابلس أمر لا تستطيع الحكومة البريطانية أن تتدخل فيه ، وان أى موقف غير ذلك لن يكون متفقا مع الحياد الذى أعلنته الحكومة » ، كما استنكر وزير الخارجية البريطانية بشدة ادراج أسئلة فى جدول أعمال المجلس بشكل قد يسىء الى حكومات أخرى (يقصد ايطاليا) أى أن الحكومة البريطانية لم تتملص فقط من التدخل والوساطة بل انها أيضا انبرت للدفاع عن أعمال ايطاليا فى ليبيا رغم ما أجمع عليه المراقبون من وصمها بالقسوة والفظاعة .

وعندما اتصل توفيق باشا السفير التركى فى لندن بوكيل الخارجية البريطانية أرثر نيكولسون سعيا وراء التوسط رد الأخير بأن سياسة بريطانيا هى عدم التدخل ، ولو أنه أضاف أنه اذا رغبت الدول جميعا فى اتخاذ خطوات من أجل الصلح « فسيسرنا مشاركتهم » ، كما عبر عن اعتقاده بأن الدول المؤهلة أكثر من بريطانيا وفرنسا للاتصال بروما هم حلفاء ايطاليا (أى دول التحالف الثلاثى) « لأن النصيحة فى مثل هذه المسألة الحساسة ـ اذا جاءت منهم ـ ستكون طبيعية أكثر مما لو جاءت منا » (١١) .

كما أبدت الخارجية البريطانية رأيا مماثلا للحكومة الفرنسية ، فاعتبرت أن الحل العملى يتمثل فى أن تضع تركيا قضيتها بدون تحفظ فى أيدى الدول الخمس التى تستطيع عندئذ استخدام نفوذها لاقناع ايطاليا بعقد هدنة تتيح لها الفرصة لبحث امكانية الوصول ـ بوساطة هذه

(١١) الوثيقة ٣٠٢ فى ١٩١١/١١/١٣ من جراي الى لوثر (بالأستانة) .

الدول ـ الى تسوية تتفق مع كرامة وشرف ومصالح كلا الدولتين المتحاربتين (١٢) ، وكان وزير الخارجية البريطانية يرى ان هذا الاقتراح قد يجعل من الممكن أن يكون هناك بعض التنازل من جانب ايطاليا ، وفي الوقت نفسه قد يجعل تركيا تقبل شروطا لم يكن من الممكن أن تقبلها كل دولة من الأخرى (١٣) .

وعندما علم وزير الخارجية البريطانية ان الحكومة الايطالية تقترح ان تقوم بريطانيا بالاشتراك مع المانيا باقناع الحكومة العثمانية بقبول ضم ايطاليا للقطر الليبي وانهاء الحرب على هذا الأساس رد جراى بأنه يعلم ان تركيا ليست مستعدة للرضوخ والاذعان والتنازل عن ليبيا ، وانه عندما تكون تركيا على استعداد للاذعان فالدول الخمس سوف تسعى من أجل ارضاء مشاعر تركيا وكرامتها ، « فعلى تركيا أن تضع قضيتها في أيدى الدول لبحثها ، ثم تقبل نصيحة هذه الدول ... ، وعلى كل حال فانني اعتقد انه من الضرورى أن تعمل الدول الخمس معا » (١٤) .

وعندما ابلغت الحكومة الفرنسية الحكومة البريطانية برغبتها في الاتفاق معها ومع الحكومة الروسية على تقديم اقتراح الى الآستانة لوضع نهاية للحرب ، رد وزير الخارجية البريطانية بانه « لما كان الايطاليون قد ابلغونا بانه لا مجال لبحث فكرة تنازلهم عن ليبيا فانني أرى انه لا فائدة من أي اقتراح يمكن أن يقدم الى الآستانة الا اذا كان اقتراحا قائما على أساس تخلى تركيا عن ليبيا ، ولن يقبل الاتراك مثل هذا الاقتراح ... » (١٥) ، « ولن نكسب رضا تركيا وودها اذا نصحناها بقبول احتلال ايطاليا لليبيا ، وهذه النصيحة ـ وهى كل ما نستطيع تقديمه ـ لن تكون مؤثرة أو فعالة » (١٦)

وهكذا اتخذت بريطانيا من صعوبة التوفيق بين وجهتي النظر التركية والايطالية ذريعة لرفض الوساطة لعقد الصلح بين الطرفين ، بل انها ـ كما تكشف الوثائق ـ كانت تميل الى الأخذ بوجهة النظر الايطالية القائلة بان يكون أساس الصلح قبول تركيا التنازل عن ليبيا لايطاليا ، كما تمسكت بريطانيا بان يكون التوسط جماعيا من جانب الدول الخمس الكبرى حتى لا تقع عليها وحدها مسئولية اغضاب أى من الطرفين .

---

(١٢) البرقية ٣١١ في ١٩١١/١١/٢٥ من جراى الى برتى (باريس) .

(١٣) الوثيقة ٤٢ في ١٩١٢/٢/٨ من جراى الى بوكانان (بطرسبورج) .

(١٤) الوثيقة في ١٩١٢/٢/٩ من جراى الى جوشن (برلين) .

(١٥) الرسالة ٤١٥ في ١٩١١/١٠/٥ من جراى الى برتى (باريس) .

(١٦) الرسالة ٣٦٢ (سرى) في ١٩١١/١٠/٥ من جراى الى لوثر (الاستانة) .

موقف فرنسـا :

أمـا الحكومـة الفرنسية فقد كانت أكثـر صراحـة من حليفتها البريطانية ، وان كانت لـم تشـأ أن تسير فى طريق الوسـاطة بمفردهـا وبدون بريطانيا ، ويتجلى هذا فيما أبلغـه دى سيف وزير خارجيـة فرنسـا لرفعت باشـا السفير التركى فى باريس من ان « وجهات نظر تركيـا وايطاليا مختلفـة فى الوقت الحاضر بدرجـة لا تتيح أيـة فرصـة لنجـاح التدخل والوساطة ، ودعـا الباب العالى الى ضرورة ترويض نفسـه على قبـول استيلاء ايطاليـا على ليبيا وادارتها مـع احتفاظ السلطان بالسيادة على البلاد ، فان ايطاليـا قـد تقبـل مـثل هـذا الحـل ... » .

وكان حديث دى سيلف مع رفعت باشـا يهتدى بحديث أجـراه دى سيلف مـع السـفير الايطالـى قبـل ذلك ، وفهـم دى سـيلف من الحديـث مـع السـفير الايطالـى تيتونـى أنـه يحتمـل ان توافـق الحكومـة الايطاليـة على احتفـاظ السـلطان بشـكل من أشـكال السـيادة علـى ليبيـا من أجل تجنب مزيـد من الصعوبات والمشاكل .

وقـد كان للحكومة الفرنسـية دافـع قـوى يدفعها الى الرغبـة فى التدخل والوسـاطة حيث كان وزير الخارجيـة الفرنسية يـرى أنـه من الأهمية البالغـة أن تكون حكومات بريطانيا وفرنسـا وروسيا (الوفـاق الثلاثى) على استعداد لتقديم مساعيها الحميدة فى أول لحظـة مناسبة لتحقيق تسـوية بين تركيـا وايطاليـا لاحبـاط أيـة محاولة قـد يقـوم بها الامبراطور الالمانى للعمل (كوسيط شريف) ، وبذلك يكسـب ود كـلا الدولتين (تركيا وايطاليا) ، وكذلك كـل المكاسب السياسـية المترتبة على عقـد الصلح « ومسيو دى سيلف تواق لأن تعمل السفارتان البريطانية والفرنسية فى الآسـتانة معـا لمحاولة موازنـة النفوذ الطاغـى للسفير الألمانـى » (١٧) .

موقف روسـيا :

أمـا روسيا فقد كان لهـا موقف مختلف تماما يمكن تفسيره بسياسـة روسـيا التقليدية نحـو الامبراطورية العثمانية ، وهى سياسة تقـوم علـى الرغبـة فى انهيـار هذه الامبراطورية حتى تحقق روسيا أطماعها التقليديـة فى أجـزاء معينة من ممتلكاتها وفى مقدمتها المضايق .

فعندما طلب السفير التركـى من الحكومة الروسية التدخل لـدى الحكومـة

---

(١٧) الوثيقـة ١٦٤ (سرى للغاية) فى ١٩١١/١٠/٤ من برتى (باريس) الى جراى .

الايطالية أبلغت وزارة الخارجية الروسية السفير التركى بأن الاساس الوحيد الذى يمكن على أساسه التوصل الى حل سلمى هو السماح بأن تحتل ايطاليا ليبيا « ويبدو أن الحكومة العثمانية ليست على استعداد لقبول هذا الحل » .

ومن ناحية أخرى أبلغ الوزير الروسى طورخان باشا السفير العثمانى بأن روسيا ستكون راغبة فى التعاون فقط من أجل اتخاذ الخطوات التى تهدف الى الحيلولة دون تصدع السلام فى شبه جزيرة البلقان .

كما أعلنت الحكومة الروسية أنها لا تستطيع التدخل أو اتخاذ اى دور فعال فى النزاع التركى الايطالى لانه كان من الواجب على تركيا ان تقدم مقترحات يمكن ان تكون مقبولة لدى ايطاليا ، وانه اذا امتدت الأعمال العسكرية الى شبه جزيرة البلقان فان الموقف برمته سوف يتغير ، وعندئذ ستتصرف روسيا على ضوء الظروف .

وقد أوضحت الحكومة الروسية ان مصالح روسيا فى النزاع القائم مقصورة أساسا على الرغبة القوية فى الحيلولة دون المساس بالوضع القائم فى البلقان ، وان روسيا لا تشعر بقلق خاص من أجل تخليص تركيا من صعوباتها الحالية .

كما عبرت الصحف الروسية عن وجهة النظر نفسها على أساس أن نظام الاتحاديين ليس لديه من الأسباب ما يجعله يتوقع عطفا من جانب روسيا « ومنذ سنتين كان يبدو ثمة بعض الأمل فى تحسن العلاقات الروسية التركية ولكن رجال تركيا الفتاة اظهروا نحو روسيا نفس الكراهية والشك المتأصل اللذين كانا من سمات العهد الحميدى ، وقد اختارت تركيا أن تنحاز الى دول الوسط ، واتبعت سياسة معادية ومثيرة لحنق روسيا فى الشرقين الأدنى والاوسط » (١٨) .

موقف المانيا :

أما الامبراطورية الألمانية فقد كان لها وضع خاص وفريد لا تشاركها فيه دولة أخرى من الدول الأوربية ، فمن ناحية هى زعيمة التحالف الثلاثى وايطاليا عضو فيه ، ومن ناحية أخرى فهى صديق حميم للدولة العثمانية ، أخذت تتبع نحوها سياسة ودية تقوم على أساس دعمها ومساندتها فى مواجهة الاخطار التى تحيق بها من أجل فائدة ألمانيا ذاتها ومصالحها

---

(١٨) البرقية ٢٣٠ فى ١٩١١/١٠/١ ، والرسالة رقم ٢٨٨ فى ١٩١١/١٠/٥ من اوبيرن (بطرسبورج) الى جراى .

السياسية والعسكرية والاقتصادية • وكان من المتوقع ان تنبرى ألمانيا لانقاذ الدولة العثمانية فى محنتها خصوصا وان الأخيرة صاحبة حق تريد ان تنتزعه منها ايطاليا ، الا انه يبدو ان الحكومة الألمانية آثرت الصمت والسلبية ولم يكن الصمت أو السلبية فى مصلحة تركيا ، واذا فكرت ألمانيا فى اتخاذ موقف ايجابى فى النزاع فقد فضلت جانب ايطاليا حرصا على ابقائها ضمن التحالف رغم انها متجنية ، وازاء الحرج الذى صارت ألمانيا تشعر به حاولت اقناع الحكومة التركية بان العمل المتسرع الذى أقدمت عليه ايطاليا (فى ليبيا) انما يرجع الى نشاط ومساعى بريطانيا وفرنسا •

وعندما طلبت الحكومة التركية من الحكومة الألمانية التوسط على أساس الاحتفاظ بسيادة السلطان على ليبيا مع حماية مصالح ايطاليا وتركيا أصدر وزير الخارجية الألمانية تعليمات الى سفراء ألمانيا لدى الدول الكبرى بان يحاولوا الحصول على التأييد لاقتراح بعقد هدنة ما دامت الحملة المرسلة من ايطاليا قد نجحت فى النزول الى البر (أى ان هذا النجاح فى رأى ألمانيا يمكن استخدامه للضغط على تركيا) ، ويقوم الاقتراح على الأسس التالية : تحتل يطاليا مدينة طرابلس ونطاقا من الأرض حولها ، ويرتب لعقد اجتماع بين المندوبين الترك والطليان على أرض محايدة لبحث شروط الصلح على الأسس السابقة (أى الاحتفاظ بشكل من أشكال السيادة العثمانية على ليبيا) ، واقترح وزير الخارجية الالمانية مالطة أو اثينا مكانا لاجراء المفاوضات بين الترك والطليان (١٩) •

ومعنى هذا أن ألمانيا كانت ترى ان الوساطة ممكنة اذا ما تم لايطاليا احتلال طرابلس وذلك لوضع حكومة الباب العالى أمام الأمر الواقع ويصير لامندوحة عن استمرار هذا الاحتلال ، وعندما ابلغت الحكومة الألمانية الحكومة الروسية وافقت هذه على الفكرة بشرط موافقة بريطانيا وفرنسا ، على ان يترك أمر اقتراح الهدنة رسميا لألمانيا حتى تتحمل وحدها مسئولية الرفض من جانب حكومة الآستانة (٢٠) •

ولم تقبل الحكومة العثمانية وقتئذ هذا العرض الألمانى ، فان الحرب كانت لا تزال فى بدايتها ولم تفقد الامل فى امكانية دحر الايطاليين ، مما دعا الحكومة الألمانية الى التخلى عن هذه الفكرة مؤقتا •

---

(١٩) الوثيقة ٨٣ فى ١٩١١/١٠/٩ ورقم ٨٥ فى ١٩١١/٢٠/١٠ من جرانفيل (برلين) الى جراى •

(٢٠) البرقية ٢٤٢ فى ١٩١١/١٠/١٢ من اوبيرن (بطرسبورج) الى جراى •

موقف امبراطورية النمسا والمجر :

أما امبراطورية النمسا والمجر فقد كانت ترى استحالة التدخل للتوسط فى المشكلة التركية الايطالية فى ذلك الوقت ، شأنها شأن الحكومة البريطانية ، وقد ردت فى هذا المعنى على طلب الحكومة التركية (٢١) ٠

فقد كان الكونت اهرنتال وزير خارجية النمسا لا يرى أى أمل فى العثور على أساس مشترك للاتفاق بين ايطاليا وتركيا ، ولكنه فى الوقت نفسه كان قلقا بشأن مصالح النمسا التى تتأثر فى حالة انتقال العمليات الحربية الى بحر ايجه ، واحتمال ظهور رد فعل سىء فى البلقان اذا جرت مثل هذه العمليات قبالة الشاطىء التركى (الشرقى) للادرياتيك ، ولذلك كان اهرنتال يتمنى اعلان حياد بحر الادرياتيك (٢٢) ٠

وثمة دولة أخرى لم تكن الأضواء مسلطة عليها ولا الانظار متجهة اليها فى هذه المساعى الدبلوماسية ولكنها ارادت ــ مع ذلك ــ أن تدلى بدلوها فى مساعى الوساطة بين تركيا وايطاليا ، تلك الدولة هى **هولنده** ٠

ففى خلال شهر نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١١ ، وبينما كان وزير خارجية هولنده مارا بباريس التقى بوزير خارجية فرنسا واستشاره فيما اذا كانت هولنده تستطيع التوسط ، وكان يعتبر أن دولته مؤهلة لهذا العمل أو هذا الدور على اساس انه لا تحيط بها الشكوك فى أن لها أغراضا سياسية تريد تحقيقها مثلما هو قائم بالنسبة لدول أخرى ، كما أن وجود محكمة العدل الدولية فى لاهاى يضفى على هولنده مركزا وصفة تناسب مهمة التوسط ، والى جانب ذلك فهى تحكم عشرات الملايين من الرعايا المسلمين (أندونيسيا) مما يبرر اهتمامها بابرام الصلح بين الدولة العثمانية المسلمة وايطاليا ٠

ولكن منسيو دى سيلف وزير خارجية فرنسا رد على تساؤل وزير خارجية هولنده بأن الوقت ليس مناسبا للتوسط حيث أن ايطاليا مصرة على الا يكون لتركيا أية سيادة على ليبيا مما يحول دون اتفاق الدولتين (٢٣) ٠

واذا كنا قد تعرضنا فى بداية حديثنا عن موضوع الوساطة لموقف الحكومة العثمانية ومحاولاتها ووجهة نظرها فى الأسس التى يجب أن تجرى

---

(٢١) الوثيقة ٦٦ فى ١٠/١٠/١٩١١ من جراى الى كارترايت (فينا) ٠

(٢٢) البرقية ١٠٩ فى ١٩/١٠/١٩١١ من كارترايت الى جراى ٠

(٢٣) الوثيقة ٨٣ (سرى) من جراى الى جونستون فى ١٣/١٢/١٩١١ ٠

عليها الوساطة ودوافعها لذلك ، فاننا لا نستطيع ان نختتم هذا الحديث دون التعرض لموقف الحكومة الايطالية ـ وهى الطرف الآخر فى النزاع ـ من مبدأ الوساطة فى ذاته ، ثم وجهة نظرها فى الأسس التى يجب ان تجرى عليها الوساطة ودوافعها لذلك أيضا ٠

لقد كانت الحكومة الايطالية لا تمانع فى ان تجرى مفاوضات بينها وبين الحكومة العثمانية ، ولكن بعد ما يتم احتلالها لليبيا ، ولذلك كانت تعتبر التوسط قبل ذلك أمرا سابقا لاوانه ، وذلك حتى تواجه تركيا بالأمر الواقع ولا يصير ثمة مجال للحديث عن انسحاب ايطاليا من ليبيا بعد ان صار احتلالها لها حقيقة واقعة ٠

ومن ناحية اخرى كانت ايطاليا تريد أن تتجنب قيام حالة شاذة فى ليبيا كالحالة القائمة فى مصر (أى سيادة اسمية للدولة العثمانية مع سيطرة فعلية للدولة المحتلة) ، ولذلك فهى لا تقبل ان يكون التوسط الأعلى أساس نقل ملكية ليبيا الى ايطاليا بدون قيد أو شرط ٠

وعرضت الحكومة الايطالية استعدادها لأن تقدم لتركيا تعويضا ماديا وأدبيا مقابل انتزاع القطر الليبى منها ولكن بشرطين أولهما أن تمتنع الحكومة العثمانية عن القيام بأعمال من شأنها اثارة مشاعر الأهالى فى الولاية وتشجيعهم على مقاومة الايطاليين ، وثانيهما عدم اطالة أمد الحرب ، وفى أى الحالات فان ايطاليا مصرة على عدم مناقشة مبدء ملكيتها المطلقة غير المقيدة للقطر الليبى ٠

وعلى ضوء هذه الافكار الايطالية وجد السفير البريطانى فى روما أن ايطاليا لن ترحب بالوساطة الى أن يتم احتلال ليبيا عسكريا ، كما فهم السفير أن الحكومة الايطالية تبحث مسألة ارضاء تركيا ماديا وأدبيا بتعويضها ماديا بالمال أو اقليميا فى ارترية ، وأدبيا بالاعتراف بسلطة الخليفة الروحية فى ليبيا ، مع الموافقة على التحكيم بينها وبين تركيا فى المسائل الأخرى المعلقة أو التى يختلفان عليها (٢٤) ٠

وقد أكد امبريالى ـ سفير ايطاليا فى لندن ـ بشدة لوزير خارجية بريطانيا أن ايطاليا يجب أن تئول اليها الملكية التامة لليبيا دون أى حقوق من أى نوع لتركيا ، كما ذكر ان ايطاليا قد تعطى لتركيا تعويضا ماديا وأدبيا اذا وافقت تركيا فورا على امتلاكهم ليبيا على هذا الأساس ، ولكن ايطاليا لن

---

(٢٤) الوثيقة ٢٠٤ فى ١٩١١/١٠/١٤ من جراى الى جوشن (برلين) ٠

تقدم لتركيا أى تعويض بالمرة اذا طردت تركيا الايطاليين من امبراطوريتها أو أطالت أمد الحرب (٢٥) .

كما أكد وزير الخارجية وجهة النظر ذاتها للسفير البريطانى فى روما ، فاعتبر ان الوقت غير مناسب للوساطة ، وانه عندما يكون احتلال ليبيا بالقوات العسكرية قد صار حقيقة واقعة فان أيطاليا ستكون فى مركز أفضل فى المفاوضات ، وستكون تركيا أكثر ميلا للاذعان والاعتراف بالأساس الوحيد الذى لا مندوحة عنه والذى يعتقد الوزير الايطالى ان بلاده ستقبله الا وهو نقل ملكية ليبيا الى ايطاليا دون أية تحفظات .

فقد كان المركيز دون سان جوليانو وزير خارجية ايطاليا هو الآخر يتوقع انه قبل ان تحقق ايطاليا نصرا عسكريا حاسما فانه لن يكون هناك ميل لدى الرأى العام التركى لقبول مثل هذا الصلح ، لان اعتقاد الترك بأن المقاومة قد نجحت فى وقف التقدم الايطالى سيزيد من اصرار الترك وتمسكهم خصوصا وان القوات الايطالية لم تستطع التقدم وراء مدينة طرابلس ، كما أكد السفير البريطانى فى روما مسألة التعويض المالى ، والتعويض الاقليمى (فى ارترية) والاعتراف بالخلافة ، والترضية الادبية بالموافقة على مبدأ التحكيم (٢٦) .

وقد عرض السفير الايطالى فى لندن وجهة نظر اعتبرها شخصية ولا تعبر عن رأى حكومته التى لم يكن قد استشارها بعد ، وتقوم وجهة نظر السفير الايطالى على تقديم ترضية لتركيا من الناحية الدينية بالاعتراف بالزعامة الدينية للسلطان العثمانى ودفع مبلغ سنوى لشيخ الاسلام بحيث لا يؤخذ على انه جزية ، وقد فهم وزير خارجية بريطانيا فيما بعد من السفير الايطالى فى لندن ان حكومته لا تعارض اقتراحه من حيث المبدأ ولكنها لا تستطيع أن تتقدم هى بهذا الاقتراح حيث كانت ترى انه اذا قدم هذا الاقتراح من جهة أخرى اليها (الى ايطاليا) ثم تتظاهر بانها تقوم بدراسته ففى هذا حفاظ على هيبتها .

وقد رأى جراى وزير خارجية بريطانيا انه يستطيع الاستعانة بهذا الاقتراح ضمن الاقتراحات الأخرى عندمايبحث مع بقية الدول الأوربية مسألة التوسط (٢٧) .

---

(٢٥) البرقية ٢٠٩ فى ١١/١٠/١٩١١ من جراى الى رود (روما) .

(٢٦) البرقية ١٠٣ فى ١٢/١٠/١٩١١ من رود (روما) الى جراى .

(٢٧) الوثيقة ٨٤ فى ٢٩/٤/١٩١٢ من جراى الى رود (روما) .

وظلت بريطانيا متمسكة برأيها فى أن يكون التوسط ـ عندما يحين أوانه ـ جماعيا ، ووافقت الحكومة الايطالية ـ على لسان سفيرها فى لندن امبريالى ـ على وجهة النظر القائلة بان احتمال قبول الاتراك لوجهة النظر الايطالية اذا اتخذت خطوة مشتركة من جانب الدول ، أكثر من احتمال قبولها لو تقدمت بها دولة واحدة ٠

أما الحكومة العثمانية فقد تركت انطباعا لدى السفير البريطانى فى الآستانة بانها لن تقبل ـ فى الفترة الأولى من الحرب على الأقل ـ الوساطة المشتركة اذا كانت على أساس ضم ليبيا الى ايطاليا « حيث ان أهالى هذه البلاد (الدولة العثمانية) يعتقدون ان الحرب الحالية انما هى نتيجة اتحاد المسيحية وتكتلها ضد الاسلام » ، وأن العمل المشترك فى الوساطة على أساس التخلى عن ليبيا لايطاليا سيؤكد هذا الاعتقاد « والفكرة السائدة التى يتزايد أنصارها انه باطالة أمد المقاومة قد يمكن الحصول على شروط أفضل » (٢٨) ٠

---

(٢٨) البرقية ٢٩٠ فى ١٩١١/١٠/٢٥ من لوثر (الآستانة) الى جراى ٠

الفصل التاسع

الصلح

الاتصالات التمهيدية :

لا شك فى أن كلا الطرفين (تركيا وايطاليا) كانا يعتقدان بتعذر الاستمرار فى الحرب ، فايطاليا ـ رغم سيطرة قواتها على بعض المناطق وبخاصة على السواحل فى طرابلس وبرقة ـ الا انها اصطدمت بمقاومة شديدة من جانب الأهالى يدعمهم المتطوعون من بعض الأقطار وبخاصة مصر ، وكذلك بعض القوات التركية ، وتحول بينهم وبين التوغل فى داخل ليبيا أو حتى الشعور بالأمان فى المناطق التى سيطروا عليها ٠

ذلك أن المجاهدين العرب قد بثوا الرعب فى قلوب الطليان مما جعل هؤلاء يلزمون خنادقهم ويحتمون خلف خطوطهم المحصنة بدلا من الزحف ، كما أن الطليان تركوا القتال جانبا منتظرين ما سوف تحدثه منشوراتهم ونداءاتهم من نتائج قد تكسبهم الحرب دون ما حاجة الى الاشتباك فى معارك ، ولكنهم بما أظهروه من ضروب الاستهتار بأرواح الأهلين وعقائدهم وشعائرهم وتقاليدهم ، وما ارتكبوه من فظائع جعلوا العرب يخفون الى ميدان الجهاد زرافات ووحدانا ، خصوصا وانه بعد قرار ايطاليا ضم طرابلس وبرقة فى نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١١ صار الطليان يعتبرون المجاهدين عصاة خارجين على الحكومة الشرعية (أى الايطالية) يستحقون العقاب مما جعلهم يقتلون الكثيرين دون محاكمة (١) ٠

ولعل من أعظم أخطاء الايطاليين التى أدت الى عنف مقاومة الأهلين أنهم حاولوا أن يكسبوا حملتهم على ليبيا صبغة دينية ، فقد بارك قساوستهم اساطيل الحملة عند خروجها ، ودقت النواقيس وأقيمت الصلوات ووزع رجال الكنيسة الصلبان المهداة من البابا الى هؤلاء (الصليبيين الجدد) ، وأفرط الطليان ـ عند كل مناسبة ـ فى الاحتفال بالنصر فى كنائسهم مهما كانت هذه الانتصارات قليلة القيمة ، بل انهم كانوا يقيمون هذه الاحتفالات ليس فقط فى بلادهم بل وفى مدينة طرابلس ذاتها ، يقدمون الشكر لله الذى أعانهم على انتزاع الهلال واعلاء الصليب مكانه فأثارت هذه الحماقة ثائرة المجاهدين ، وأشعلت فى نفوسهم الكراهية للغزاة المعتدين ، وقد اعترف بعض الكتاب ومراسلى الصحف الأوربيين

---

(١) محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة صرص ١٢٩ ـ ١٣٢ ٠

الذين شهدوا الحرب الايطالية الليبية أن هذا التصرف من جانب الطليان كان العامل الحاسم فى اشتداد مقاومة العرب لهم (٢) ٠

وعلى الرغم من وجود بعض الخلاف بين السيد أحمد الشريف السنوسى وبين العثمانيين الذين حرصوا على ما يبدو فى أثناء الحرب الايطالية الليبية على أن تظل قيادة الجهاد فى برقة ، وبالأحرى فى طرابلس ، فى أيديهم ، مما اضطر السيد السنوسى الى البقاء فى الكفرة خصوصا وأن النضال كان لا يزال دائرا فى الجنوب بينه وبين الفرنسيين ، ومع ذلك فان اعتداء الطليان على طرابلس وبرقة سرعان ما أزال كل أثر للخلاف بين الكفرة والآستانة ، ومن الكفرة أصدر السيد أحمد الشريف السنوسى فى منتصف يناير (كانون ثان) ١٩١٢ نداءه المشهور يحث فيه الطرابلسيين والبرقاويين على الجهاد ، ويعلن فيه نبأ اعتزامه النزول بنفسه الى الميدان على رأس قوة من المجاهدين ، وقد نقش هذا النداء على راية من الحرير حملها المجاهدون من مكان لآخر بين القبائل الضاربة فى الجنوب خصوصا ، وكان من أثر هذا النداء ان تدفقت جموع المجاهدين والمتطوعين على المعسكرات العثمانية وعلى مراكز العرب ٠

ولم يكن الطليان يتوقعون ذلك ، بل على اعكس كانوا يتوقعون أن يتقاعس السنوسى عن الجهاد بسبب خلافه مع العثمانيين ، وقد اعترف السلطان العثمانى نفسه بهذه الجهود التى قام بها السيد أحمد الشريف من أجل مقاومة الغزو الايطالى للقطر الليبى ، فأهداه فى مارس (آذار) ١٩١٢ سيفا ونيشانا مرصعا بالجواهر تقديرا لجهوده ، وكانت زعامة السنوسى وجهود السنوسيين أكثر وضوحا وأعمق أثرا فى سير الجهاد ضد الايطاليين فى برقة خصوصا ، حيث ظهرت أيضا شخصية السيد عمر المختار (٣) ٠

ومن ناحية الدولة العثمانية فانها كانت تشعر بحرج موقفها ، وعدم حصولها على أى دعم مادى أو معنوى من الدول سواء الصديقة أو غير الصديقة ، كما كان النظام فى الدولة غير مستقر ، ونذر القلاقل فى البلقان تبدو فى الافق ٠ فانه ازاء صمود السنوسيين تؤيدهم جموع المتطوعين ، بالاضافة الى مجموعة الضباط العثمانيين أمثال أنور ومصطفى كمال وعزيز على (المصرى) ، وتكبد الايطاليين خسائر فادحة ، وجهت ايطاليا اهتمامها ـ كما رأينا ـ الى ضرب الموانى العثمانية على ساحل البحر الأحمر خلال

---

(٢) المرجع السابق ص ١٣٤ ٠

(٣) المرجع نفسه صص ١٣٦ ، ١٣٧ ٠

الفتـرة من يناير (كانون ثـان) الى يولية (تموز) ١٩١٢ ، كمـا شـــجع الايطاليـون ثـوار عسير ضد الدولة العثمانية ٠

وفي الوقت نفســه كانت الحكومة العثمانيــة ترى انــه من الصـــعب الاستجابة لطلب الايطاليين التنازل عن القطـر الليبي خوفـا من ســخط الرأى العـام الذى لا يوافق على ذلك ، وقــد كانت هناك فعــلا حركــة قويــة تعــارض التســليم بمطالب ايطاليــا ، وكان يتزعمها في برقــة السيد أحمد الشريف السنوسي الذى بعث بخطـاب مشـهور الى أنــور بــك في درنــة يعلن فيــه انــه لن يقبــل الصلح على أساس تسـليم البـلاد للعـدو ، وحـذره من أثـر ذلك في نفوس المســلمين ، كمـا كان يتزعـم هذه الحركــة في طرابلس سليمان البارونى الذى ارســل برقيــة الى مجلس المبعوثان يعارض باســم المجاهديــن عقــد أى صــلح مع ايطاليــا لا يتضمن جـلاء الغــزاة عن البلاد ٠

الا ان الحكومة العثمانيــة صــارت مع ذلك تهتم بانهــاء الحرب الطرابلسية بسرعــة بعد أن رأت ان الحرب تمتــد الى الشــواطىء التركية ذاتهـا وممتلكـات الدولة على البحـر المتوسط ، كما كانت تتوقــع انــدلاع الحرب في شبه جزيرة البلقــان ، ولــذا فهى تريــد ان تتفرغ لمواجهــة الأخطـار الجديدة ٠ وقــد رأينا كيف حــاول الاســطول الايطالى اقتحـام مضيق الدردنيــل ولــو ان نيــران العثمانيين ردت الطليــان على أعقابهم ، كمـا اتجــه هؤلاء الى الهجوم علــى جزر بحر ايجــه (الدوديكانيز) فاحتلوا رودس والجــزر القريبــة منها ٠ وســاءت حالة الدولة أكثــر بوجــود الانقسامات الداخليــة بين الائتلافيين والاتحــاديين ممــا دعــا الاتراك الى التكاتف لمعالجــة هــذه المشــكلات فسـقطت الـوزارة وتألفت (الوزارة الكبرى) لأنها كانت تضـم كبــار القوم وذلك في ٢٣ يولية (تموز) ١٩١٢ برئاســة أحمد مختــار باشــا الغــازى الذى كان يتولى في عهــد السلطان عبد الحميد وخــلال السنة الأولى من العهــد الدســـتورى منصــب القومسييرية العثمانية (المعتمد العثمانى) في مصر ٠ وقــد حـدث هذا التغيير الوزارى في الوقت الذى كانت لا تزال فيه مفاوضــات الصلح جاريــة بين تركيــا وايطاليــا ، وهى المفاوضــات التى بدأت في لوزان (بسويسرا) في ١٢ يوليــو (تموز) ١٩١٢ ٠

لذلك كله لــم يكن غريبــا أن يميل الطرفــان الى الصلح ٠ وكان لابـــد من اجــراء اتصـــالات استطلاعية سريــة بين الطرفين ولــو بصفــة شـــخصية في سويسرا (٤) ، وقــد طلب بوانكاريه رئيس الوزارة الفرنسية ووزير خارجيتها من بومبــار (سفيره في الآستانة) أن يستفسر من الصـــدر الأعظم عن الشائعات

---

(٤) البرقيــة ٨٠ في ١٩١٢/٧/١٣ من رود (رومــا) الى جراى ٠

التى ترددت حول مباحثات الصلح الجارية بين الطرفين ، وقد ذكر الصدر الأعظم للسفير الفرنسى أنه ادرك أن الحكومة الايطالية تميل للدخول فى مباحثات حول الصلح ، وأن الحكومة العثمانية كانت على استعداد لبحث هذه الفكرة ، واعتبرت الحكومة العثمانية أن أفضل حل فى نظرها هو أن تتكون من برقة وطرابلس ولاية تتمتع بالحكم الذاتى تحت حكم أمير مسلم تختاره حكومة الباب العالى بالاشتراك مع الحكومة الايطالية ، على ان يجرى بحث الاصلاحات التى يراد ادخالها فى ليبيا بين الأمير الحاكم والحكومة الايطالية (أى دون أى تدخل من جانب الحكومة العثمانية) ، مع ضرورة منح امتيازات اقتصادية لايطاليا التى ستستمر ـ طبقا للمشروع العثمانى ـ فى احتلال سواحل طرابلس على أن تقوم باخلاء برقة ٠

وقد نقل بوانكاريه هذه الشروط العثمانية الى كل من الحكومة البريطانية ، والحكومة الايطالية ، عن طريق سفيرها فى باريس ، الذى سخر من هذه المقترحات (٥) ٠

كما انه بعد وصول بوانكاريه رئيس الوزارة الفرنسية ووزير خارجيتها الى سان بطر سبورج فى زيارة رسمية تلقى من سفيره فى الآستانة برقية تفيد بان اثنين من الوزراء الترك أجريا محادثات غير رسمية قدما خلالها اقتراحا بان ترسل تركيا بعثة الى طرابلس عبر مصر أو عبر تونس « بقصد تهدئة العرب فى ليبيا » ، ولو انه طبقا للمعلومات التى استقاها السفير البريطانى فى روما من زميله الفرنسى فان هدف البعثة التى اقترحتها الحكومة العثمانية هو معرفة رأى أهالى ليبيا فى الشروط التى يوافقون علي وقف القتال على أساسها (٦) ٠

وقد رحب كل من وزير الخارجية الروسية ورئيس الوزارة الفرنسية بالاقتراح على أساس انه يتيح الفرصة لوقف القتال ، تمهيدا للتوصل الى صيغة معينة للصلح تحفظ ماء وجه الترك وكرامتهم ، وفى الوقت نفسه تعترف بالأمر الواقع (أى الاحتلال الايطالى) ٠ ولكن الوزير الروسى ورئيس الوزارة الفرنسية أصيبا بخيبة أمل عندما علما ان الحكومة الايطالية أبلغت الحكومة الفرنسية بانها لا يمكن ان توافق على البعثة التركية المقترحة الى ليبيا الا بشرط ان تعترف تركيا أولا بضم ليبيا الى ايطاليا أو ـ كما يقول السفير البريطانى فى روما ـ كانت الحكومة الايطالية تريد ان يكون هدف البعثة التأكد من الشروط التى يقبل بها عرب ليبيا السيادة

---

(٥) الرسالة رقم ٣٤٠ فى ١٩١٢/٧/١٦ من جراى الى كارنيجى ٠

(٦) البرقية ٩٢ فى ١٩١٢/٨/١٥ من رود (روما) الى جراى ٠

الايطالية (أى ان هذه السيادة أمر مفروغ منه) ، وعلاوة على ذلك فان الحكومة الايطالية كانت تفضل بحث مسألة السيادة بين الحكومات وعدم عرضها على عرب ليبيا .

وقد اتفق وزير الخارجية الروسية مع بوانكاريه على ان يحاول الأول اقناع الحكومة الايطالية ـ عن طريق القائم بالأعمال الايطالى فى سان بطرسبورج ـ بقبول الاقتراح التركى بارسال بعثة الى ليبيا بدون شروط مسبقة ، على أن يحاول بوانكاريه ـ من ناحية أخرى ـ اقناع الترك بتقديم اقتراحهم بطريقة رسمية حتى تستطيع الدول ان تتخذ خطوة مشتركة .

وقد احيط السفير البريطانى فى سان بطرسبورج علما بهذا كله ، وأبرق به الى وزير الخارجية البريطانية الذى رد بأنه لا يستطيع أن يعطى رأيا فى الاقتراح التركى اذا كان هذا الاقتراح يخلو من أى ايضاح بشأن المقصود من البعثة التركية الى عرب ليبيا ، ولكن اذا كان الترك يقصدون وقف القتال واقناع عرب ليبيا بفعل ذلك ، فانه ـ بالتأكيد يرى انه يجب على الايطاليين عدم التمسك بضرورة الحصول على اعتراف الترك بالضم ، « فقد كانوا (الايطاليون) يقولون دائما انهم لا يطالبون بأكثر من قبول ضمنى للأمر للواقع » (٧) .

ولم تلبث الأمور أن تكشفت عندما أبلغ وزير الخارجية التركى القائم بالأعمال البريطانى فى الآستانة بان الحكومة العثمانية ليس لديها نية ايفاد بعثة الى عرب ليبيا فى ذلك الوقت ، وانه من السابق لأوانه فعل ذلك قبل التوصل الى أساس صالح للتفاوض ، واعترف الوزير التركى بانه اتخذت فعلا خطوات لجس نبض الحكومة الايطالية بشأن أساس للتفاوض (٨) .

ولما كانت الحكومة البريطانية قد عبرت عن استعدادها للاعتراف بأى نظام جديد تتفق عليه ايطاليا والدولة العثمانية فى ليبيا اذا توفرت للمصالح التجارية البريطانية الحماية الكافية ، فان المركيز دى سان جوليانو وزير خارجية ايطاليا كان يرى أن هذه العبارة غير محددة أو دقيقة بما فيه الكفاية ، وطالب وزارة الخارجية البريطانية بأن تعلن صراحة اعتراف الحكومة البريطانية بالسيادة الايطالية على ليبيا . وقد رد وكيل

---

(٧) البرقية ٦٦٦ فى ١٩١٢/٨/١٧ من جراى الى بوكانان (سان بطرسبورج) .

(٨) البرقية ٢٩٩ فى ١٩١٢/٨/١٩ من مارلنج (الآستانة) الى جراى .

الخارجيـة البريطانيـة على هذا الطلب الذى عرضـه السـفير الايطالـى فى لندن بأنه من الصعب ان يكـون للحكومة البريطانيـة رأى محـدد وقاطـع فى مسألة تجهل تفاصيلهـا (أى تجهل الشروط التى على أساسها سيبرم الصـلح) ، ولكن اذا قبلت تركيـا صراحـة السـيادة الايطالية على ليبيـا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فـان الحكومة البريطانية لن تثير صعوبـات أو عقبـات فى وجـه ايطاليـا « ولن نكـون أتراكـا أكثـر من التـرك » • وفسر سير آرثر نيكولسون للسفير الايطالـى المقصـود من عبـارة ضمان الحمايـة لمصالح بريطانيـا التجاريـة ، بان المقصـود هو الباب المفتـوح والمسـاواة فى المعاملة ، وأضاف وكيل الخارجيـة البريطانية بأنـه اذا طلبت ايطاليـا من بريطانيا الموافقـة على الغـاء الامتيازات فى طرابلس وارتضينا ذلك ، فان بريطانيا تتوقـع موقفـا مماثلا من ايطاليـا ، أى لا تثير هذه صعوبات اذا رغبت بريطانيا فى الغـاء الامتيازات فى مصر أو تعديلها (٩) •

وعـلاوة على ذلك فقد كانت الحكومة البريطانية تعتبر وضـع جـزر بحـر ايجـه أمـرا يهم الدول الأوربيـة جميعا ، وقـد رد السفير الايطالى فى لنـدن على هذه الملحوظـة الأخيـرة بانه فى الصـلح النهائـى سـوف تعيـد ايطاليـا هذه الجـزر الى الدولة العثمانيـة بشرط تعهـد الأخيرة بمنح بعض الضمانـات والامتيازات لأهالى هذه الجزر (١٠) • أما بشـان الملحوظـة البريطانية المتصـلة بالامتيازات الأجنبيـة فقـد أوضحها السفير البريطانـى فى روما لوزير الخارجية الايطالية وقـد رد هذا الأخير بانه يعتقـد ان نقـل السيادة فى ليبيـا (مـن تركيـا لايطاليـا) وادخـال « العدالة الأوربيـة » أى تطبيق القوانين الأوربية يعنى تلقائيـا اختفـاء الامتيازات التى تعتبر « أمـرا استلزمه الحكم الاسلامى » • وعرض وزير الخارجيـة الايطالية استعداده لعقـد اتفاقيـة سريـة مرضية مـع بريطانيا اذا عرض مشروع محـدد للاحتمالات المقبلة فى مصر على ألا يـرد ذكـر هذه الاتفاقيـة السريـة فى اعتراف بريطانيا بالسيادة الايطالية والذى سـتبلغ بـه الدول (١١) •

مقترحـات ايطاليـة للصـلح :

وقـد عرض تيتونى سفير ايطاليا فى باريس على الحكومة الفرنسـية مقترحـات لكى تتولـى الأخيرة بدورهـا عرضها على الحكومة العثمانية كأساس للصـلح بين الطرفين ، وتتضمن المقترحـات الايطاليـة وقف القتـال وسـحب

---

(٩) الرسالة ٢٣١ فى ١٩١٢/١٠/٥ ، ٢٣٦ فى ١٩١٢/١٠/٨ من جراى الى درنج (روما) •

(١٠) الرسالة ٢٣٩ فى ١٩١٢/١٠/١٤ من جراى الى درنج •

(١١) البرقيـة ١٤١ فى ١٩١٢/١٠/١٨ من رود (روما) الى جراى •

تركيا لقواتها العسكرية من ليبيا واعتراف الدول باستحواذ ايطاليا عليها مع عدم الاشارة الى السيادة العثمانية على ليبيا ٠

وقد رد بوانكاريه رئيس الوزارة ووزير الخارجية الفرنسية بأن الحكومة الفرنسية سوف تفى بالتزاماتها التى تنص عليها الاتفاقيات مع ايطاليا فيما يتصل بطرابلس الغرب ، ولكن الحكومة الفرنسية ـ بدون ان تعلم ما اذا كانت الحكومة العثمانية تقبل هذه الشروط أم لا ، وما اذا كانت الدول الأوربية الأخرى توافق على الاشتراك فى تزكية هذه الشروط وتوصية الباب العالى بقبولها ـ فانها (أى الحكومة الفرنسية) لا تستطيع أن تقوم بعرض هذه المقترحات على سلطات الآستانة كما طلب تيتونى (١٢) ٠

المفاوضات :

ولم تلبث الاتصالات التمهيدية أن تحولت الى مفاوضات رسمية فى أوشى (لوزان) بسويسرا ، واذا كانت الوزارة التركية قد سقطت وتشكلت وزارة أحمد مختار باشا الغازى فى ٢٣ يوليو (تموز) ١٩١٢ فقد سارت الوزارة الجديدة قدما فى المفاوضات رغم احتجاج السنوسيين على ذلك ، كما أن أحد المجاهدين العرب وهو الأمير شكيب ارسلان ـ وهو من أشد خصوم ايطاليا وكان قد ذهب الى برقة للاشتراك فى النضال ـ قد رأى أن خير خدمة يمكن أن يسديها للقطر الليبى هى الذهاب بسرعة الى الآستانة لمذاكرة رجال الوزارة الجديدة فى أمر طرابلس الغرب واثنائهم عن التساهل مع الطليان ، الا أن هذه المساعى والاحتجاجات لم تؤثر فى تعطيل أو وقف مفاوضات الصلح التى استمرت طوال شهرى أغسطس (آب) وسبتمبر (أيلول) وخلال الأسبوعين الأولين من شهر أكتوبر (تشرين أول) ، وقد حاول المندوبون العثمانيون خلال هذه الفترة الظفر بصلح مشرف يمكن ان يحصل على موافقة البرلمان التركى ٠

ومن ناحية أخرى كانت الحكومة الايطالية تصر على موقفها المتصلب العنيد وتحاول املاء شروطها ، وفى الوقت نفسه شنت الحكومة الايطالية حرب أعصاب من أجل ارغام الحكومة العثمانية على التعجيل بانهاء المفاوضات بما يتفق والشروط الايطالية ، فأخذت تهدد بأن المفاوضين الايطاليين لن يستطيعوا البقاء فى أوشى أكثر من ذلك ، وصمم جيوليتى على قطع المفاوضات عند منتصف ليل ١٥ أكتوبر ١٩١٢ أيا كانت النتائج التى سوف تترتب على ذلك « فقد أثير الرأى العام الايطالى بما فيه الكفاية ، فاذا كانت الحكومة العثمانية تتوق حقا الى اتفاق فما عليها الا أن تفوض

(١٢) البرقية ١٦٩ (سرى) فى ١٩١٢/١٠/١٣ من برتى (باريس) الى جراى ٠

مندوبيها ببرقيــة قبل منتصف الليــل بالموافقــة على مقترحــات ايطاليــا التى لــم ولــن تتغير أو تتبـدل » ٠

وعندما ســأله القائــم بالأعمــال البريطانــى فى روما عما اذا كان ـ فى حالة قطــع المفاوضــات ـ يستطيع أن يعــرف كيف يمكن أن تســتأنف اذا أبلغت الحكومة العثمانيــة بعد ذلك برغبتهــا فى قبــول شروط ايطاليــا ، رفض جيوليتى أن يعد بشىء ، ولا حتى ما اذا كان المفاوضــون الايطاليون سيظلون فى أوشى أم لا ، وطلب من القائــم بالأعمال البريطانــى أن تســتخدم بريطانيا نفوذها لاقنــاع الحكومة العثمانيــة بأن تبــرق الى ممثليها فى الساعة الأخيــرة ٠

ومن ناحيــة أخــرى لاحظ القائــم بالأعمال البريطانــى فى روما أن نشاطا ضخما يجرى فى وزارة البحريــة الايطاليــة ، وأنــه يجــرى استدعاء للضبــاط من اجازاتهم بسرعــة ، وان ثمــة شــائعة بان الســفينتين الحربيتين الايطاليتين الباقيتين فى سبيزيا وهما (بندتو برن) ، (فيتوريو امانويل) على اســتعداد للاقــلاع وانهما فى انتظــار التعليمات لهما فقط ٠

كمــا اشــار القائــم بالأعمال البريطانــى الى أن هنــاك حديثا يتردد فى الصحف والدوائــر السياسية فى ايطاليــا حــول الخطــوات التى سوف تتخذها الحكومة الايطاليــة اذا ما توقفت مفاوضــات الصلح نهائيــا ، والرأى موزع بين قصف أزمير وغيرهــا من المواقــع على الســـاحل الآســيوى ، والهجــوم علــى ســواحل تركيــا الأوربيــة ، ومحاولة اقتحــام الدردنيــل مــرة أخــرى ، وبين الاســتيلاء على ما تبقى من جــزر بحر ايجــة ٠ وتوقــع القائــم بالأعمـــال البريطانــى فى رومــا أن يكــون العمل الذى ســتقوم بــه ايطاليــا ضد تركيــا عمــلا بحريــا حيث لــم يكن لــدى ايطاليــا قــوات بريــة تســتطيع ارسالهــا الى الخــارج بســبب ازديــاد الأعمــال العســكرية فى ليبيــا مما لا يســـمح بســحب أى قــوات منهــا (١٣) ٠

وقــد كان للظــروف الداخليــة والخارجيــة التى تمر بهــا الدولة العثمانية عــلاوة على حرب الأعصــاب التى شنتها عليها الحكومة الايطاليــة أن انتدبت الوزارة العثمانيــة احــد أعضائهــا للسفر الى مؤتمر الصــلح مزودا بســلطات واســعة ممــا أدى فى النهايــة الى توقيــع معاهــدة الصــلح فى أوشى (لوزان) فى الساعة ٣ر٤٥ من بعد ظهر يــوم ١٨ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٢ ٠

وقبــل التوقيــع النهائــى على معاهــدة الصلح بيومين أى فى الســادس عشر من أكتوبر كلفت الحكومة الايطاليــة سفيرها فى لنــدن بابــلاغ وزير خارجية

---

(١٣) الرسالة ٣٢٢ فى ١٩١٢/١٠/١٥ من درنج (روما) الى جراى ٠

بريطانيا بتوقيع الصلح بين تركيا وايطاليا (حيث كان قد تم التوقيع على معاهدة الصلح بالأحرف الأولى فى ١٥ أكتوبر) ، وأن يعبر للحكومة البريطانية عن شكر الحكومة الايطالية للدور الذى قامت به بريطانيا من أجل الوصول الى الصلح .

وقد عبر جراى وزير خارجية بريطانيا عن رضائه الشديد عن هذه النتيجة لانها « فى مصلحة تركيا كما هى فى مصلحة ايطاليا ، علاوة على انه من مصلحة المجتمع الأوربى ألا تدخل أية دولة من الدول الكبرى فى حرب فى هذه اللحظة » (١٤) .

وفى اليوم التالى (١٧ أكتوبر) بعث القائم بالأعمال البريطانى فى روما الى وزير الخارجية ملخصا للمواد الأربع التى يتكون منها المرسوم الملكى الايطالى بشأن ليبيا والذى نشر فى مساء ذلك اليوم فى الجريدة الرسمية الايطالية ، ووعد بارسال النص الكامل فى اليوم التالى ،وفعلا بعث درنج بترجمة لنص المرسوم الملكى الايطالى المؤرخ فى ١٧ أكتوبر حول ادارة طرابلس وبرقة (الملحق ٢ من المعاهدة) .

وفى الوقت نفسه ، وبدون انتظار التبليغ الرسمى بالتوقيع النهائى على معاهدة الصلح عبرت معظم الدول الأوربية (النمسا وألمانيا وروسيا) وبدون تحفظ عن استعدادها للاعتراف بالسيادة الايطالية على ليبيا بمجرد توقيع الصلح (١٥) . واعترفت فعلا هذه الدول الثلاث .

ويلاحظ أن اعتراف كل من الحكومتين البريطانية والفرنسية بالوضع الجديد فى ليبيا قد تأخر بضعة أيام عن اعتراف الدول الأوربية الأخرى ، لا لعدم رضاء الحكومتين عن الصلح وشروطه ولكن لأسباب ترجع الى مصالح هاتين الدولتين الغربيتين (بريطانيا وفرنسا) .

فقد قدم المركيز امبريالى سفير ايطاليا فى لندن مذكرة مؤرخة فى ١٩ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٢ الى جراى وزير خارجية بريطانيا يبلغه فيها بأن حالة الحرب بين ايطاليا وتركيا قد انتهت بمقتضى معاهدة الصلح التى وقعها مندوبو الدولتين فى لوزان بتاريخ ١٨ أكتوبر وفيها تعهدت الحكومة العثمانية بسحب قواتها من طرابلس وبرقة اللتين

---

(١٤) الرسالة ٢٤٢ فى ١٩١٢/١٠/١٦ من جراى الى درنج (روما) .

(١٥) البرقية ١٣٨ فى ١٩١٢/١٠/١٨ من رود (روما) الى جراى ، والرسالة ٢٤٣ فى ١٩١٢/١٠/١٨ من جراى الى رود .

وضعتا تحت السيادة الايطالية طبقا للمرسوم الصادر فى ٢٥ فبراير (شباط) ١٩١٢ ، وبناء عليه طلب السفير الايطالى باسم حكومته ان تعترف الحكومة البريطانية بالسيادة الايطالية على طرابلس وبرقة • وقد شعر جراى بانه من الصعب ومن غير المرغوب فيه ان تقف بريطانيا وحدها ولا تعترف بسيادة ايطاليا على ليبيا ، ولكنه من باب التسويف وعد باستشارة زملائه الوزراء (١٦) •

وفى ٢٢ أكتوبر عاد السفير الايطالى فى لندن ليؤكد باسم حكومته لوزير الخارجية البريطانية ان التجارة البريطانية سوف تتمتع بمعاملة متساوية مع تجارة الدول الأخرى ، وانه عندما تتفق الدول على تعديل الامتيازات الأجنبية فى مصر أو الغائها فان الحكومة الايطالية ستكون مستعدة للمشاركة فى ذلك ، فرد وزير الخارجية البريطانية بان الحكومة البريطانية عندما تطلب من ايطاليا المشاركة فى أمر يتصل بالامتيازات فى مصر (التعديل أو الالغاء) فانه يجب على الحكومة الايطالية ألا تطالب بشروط خاصة لم تطلبها الدول الأخرى (١٧) •

وفى ٢٥ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٢ بعث وزير الخارجية البريطانية الى الركيز امبريالى سفير ايطاليا فى لندن يبلغه باعتراف الحكومة البريطانية بالسيادة الايطالية على القطر الليبى •

أما بالنسبة لفرنسا فقد أخذ القلق يساور الحكومة الايطالية من موقف الحكومة الفرنسية ، « وهى الدولة الوحيدة التى لم تصدر اعترافها حتى الآن ، ويبدو انها تميل الى جعل تسوية الحدود التونسية شرطا للاعتراف بالسيادة الايطالية على ليبيا ، وسيكون لاستمرار تأخر فرنسا اسوأ الأثر على الرأى العام الايطالى » • ولكن لم تلبث وكالة ستيفانى الايطالية للأنباء أن اعلنت مساء ٢٢ أكتوبر ١٩١٢ اعتراف فرنسا بالسيادة الايطالية على ليبيا (١٨) •

وقد قررت ايطاليا أن تقدم شيئا الى كل من بريطانيا وفرنسا اعترافا بجميلهما وموقفهما ابان الحرب ضد الدولة العثمانية ، وما دامت الدولتان قد اعترفتا بالسيادة الايطالية على ليبيا • فقد أعربت الحكومة الايطالية عن رغبتها وترحيبها بفكرة التوصل الى تسويات بينها وبين بريطانيا

---

(١٦) الرسالة ٢٤٣ فى ١٨/١٠/١٩١٢ من جراى الى رود •

(١٧) رسالة جراى الى رود فى ٢٢/١٠/١٩١٢ •

(١٨) البرقية ١٤٣ فى ١٩/١٠/١٩١٢ ، ١٤٦ فى ٢٣/١٠/٩١٢ من رود (روما) الى جراى :

وفرنسا لحماية مصالح كلا الدولتين فى شمال افريقية ، كما صدر بيان رسمى ايطالى فى ٢٨ أكتوبر بان الحكومتين الايطالية والفرنسية ـ بروح الود وبما يتفق واتفاقياتهما فى سنة ١٩٠٢ ـ ترغبان فى بحث الاجراءات التى يرونها مناسبة لكى تتخذها الحكومة الايطالية فى ليبيا والحكومة الفرنسية فى مراكش ، وتؤكد الحكومتان رغبتهما فى عدم وضع عقبات فى سبيل تنفيذ هذه الاجراءات ٠

كما اتفقت الحكومتان (الايطالية والفرنسية) على تاكيد معاملة فرنسا باعتبارها الدولة الأولى بالرعاية فى ليبيا ، ومعاملة ايطاليا باعتبارها الدولة الأولى بالرعاية فى مراكش ، وان هذه المعاملة ستطبق على الرعايا والمؤسسات والمشروعات والمنتجات التى لكل من الدولتين بلا استثناء (١٩) ٠

وثائق الصلح :

تعرف اتفاقية الصلح بين الدولتين بمعاهدة أوشى أو لوزان ، وقد وقعت بالاحرف الأولى فى ١٥ أكتوبر ١٩١٢ وتم التوقيع النهائى عليها فى ١٨ أكتوبر ، وهى تتألف من قسمين :

١ ـ قسم سرى ألحقت به بعض الملاحق ٠
٢ ـ قسم علنى ويؤلف الجزء الأخير من المعاهدة ، الا انه تقرر نشره وحده واعتباره معاهدة كاملة وقائمة بذاتها وليس جزءا من المعاهدة العامة ٠

أولا ـ المعاهدةالسرية :

وتبدأ بمقدمة عن الغرض الذى استهدفه المفاوضون من عقد هذه المعاهدة « حيث ان الحكومة الايطالية لا يمكنها ان تخالف القانون المؤرخ فى ٢٥ فبراير (شباط) ١٩١٢ والذى الحق طرابلس وبنغازى بالمملكة الايطالية ، والدولة العثمانية لا تستطيع ان تعترف بالقرار المذكور اعترافا صريحا (طبعا خوفا من الرأى العام العربى والاسلامى) ، وللتغلب على هذه المشكلة اتفق الطرفان المتعاقدان على :

مادة ١ ـ ينشر السلطان خلال ثلاثة أيام فرمانا وفق الملحق (١) (بمنح أهالى ليبيا الحكم الذاتى) ٠

---

(١٩) البرقية ١٤٩ فى ١٩١٢/١٠/٢٥ ، والرسالة ٣٤٤ فى ١٩١٢/١٠/٢٨ من رود الى جراى ٠
(م ـ ١١ الرسالة)

مادة ٢ - يعين ممثل السلطان والرؤساء الدينيون بعد أخذ رأى الحكومة الايطالية ويتقاضون رواتبهم من الخزانة المحلية ، اما راتب القاضى الشرعى فتدفعها الحكومة العثمانية ، على ألا يزيد عدد الرؤساء الدينيين عن عدد الذين كانوا موجودين قبل الحرب ٠

مادة ٣ - وخلال ثلاثة أيام من صدور الفرمان السلطانى المشار اليه فى المادة الأولى تصدر الحكومة الايطالية مرسوما ملكيا وفق الملحق (٢) (باعلان العفو العام عن أهالى ليبيا) ٠

مادة ٤ - وخلال الأيام الثلاثة التى تعقب صدور الفرمان السلطانى المشار اليه فى المادة الأولى تصدر الحكومة العثمانية ارادة سلطانية وفق الملحق (٣) (بالعفو العام عن أهالى جزر بحر ايجة والتعهد بادخال اصلاحات فيها) ٠

مادة ٥ - وفور اصدار المراسيم الثلاثة المذكورة فى الملاحق السابقة يوقع مندوبو الطرفين المتعاقدين على المعاهدة العلنية وفق النص المذكور فى الملحق رقم (٤) ٠

مادة ٦ - تمتنع الحكومة العثمانية من الآن عن ارسال الأسلحة أو الذخائر أو الضباط والجنود الى طرابلس الغرب وبرقة ٠

مادة ٧ - التكاليف التى تحملها الطرفان فى الانفاق على أسرى الحرب سوف تعتبر بمثابة تعويضات ٠

مادة ٨ - يتعهد الطرفان بالمحافظة على سرية الاتفاق الحالى ، ومع ذلك تحتفظ الحكومتان بحق اذاعة هذا الاتفاق عند تقديم المعاهدة العلنية (الملحق رقم ٤) الى مجالسهما النيابية ،

والاتفاق الحالى يكون سارى المفعول من يوم التوقيع عليه ٠

مادة ٩ - من المعلوم ان الملاحق المذكورة فى الاتفاق الحالى تكون جزءا لا يتجزأ منه ٠

(تحريرا فى لوزان - من نسختين - فى ١٥ أكتوبر ١٩١٢) ٠

وقد وقع على هذه المعاهدة كل من بيترو برتولينى وجيدو فوسيناتو

وجيوزيب فولبى عن ايطاليـا ، ومحمد نبيـه وروميى اوغلو فخر الدين عن الدولة العثمانيـة ٠

الملحـق ١

وهو عبـارة عن نص الفرمان السلطانـى الذى يمنـح أهالى طرابلس الغرب وبرقـة الحكم الذاتـى الكامل أو (المختاريـة التامة) ، وقـد صـدر هـذا الفرمان فعـلا بتاريخ ٥ من ذى القعـدة ١٣٣٠ هـ الموافق ١٦ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٢ ، وقـد جـاء فيه انـه « لمـا كانت الحكومة (العثمانية) غير قـادرة على اسـداء العـون المثمر الذى تحتاجـون اليـه للدفـاع عن بلادكم ، ولمـا كانت ــ من جهـة أخـرى ــ تفكـر فى سـعادتكم الحاليـة والمستقبلة ، وتريد استبعاد دوام الحرب التى تنـزل الضرر بكم وبعائلاتكم وتجلب الأخطـار على دولتنـا ، وبنـاء على امنيتنا فى نشر السـلام والرخـاء فى بلادكم ، واستنادا الى مالنا من حقوق السـيادة نمنحكم الحكم الذاتـى الكامل ٠ وقـد قررنـا أن نعيـن لديكـم خادمنـا المخلص شمس الدين بـك بلقب نائـب سـلطان ومهمتـه حمايـة المصالح العثمانيـة فى بلادكـم لمدة خمس سـنوات وبعدهـا نحتفظ لانفسـنا بحـق تجديد تعيينه أو تعيين خلف لـه ، وفى نيتنا استمرار تطبيق الشريعـة الاسـلامية دومـا ، ومن أجـل هذه الغايـة احتفظنـا لانفسـنا بحـق تعيين القاضى الذى سيعين بدوره نوابـا عنـه من بين العلماء المحليين ٠ وسـوف ندفـع راتـب هذا القاضى ، أما رواتـب نائـب السلطان والموظفين الآخرين المكلفين بمهمة المحافظـة على الشريعـة فسـتكون من الايرادات المحلية ٠

الملحـق ٢

وهو نص قـرار ملكـى أصـدره ملك ايطاليـا « استنادا الى القانون ٨٣ الصـادر فى ٢٥ فبراير (شباط) ١٩١٢ القاضـى بوضـع طرابلس وبرقـة تحت السـيادة التامة والكاملة للمملكة الايطاليـة ــ ورغبـة فى التعجيل بتهدئـة الأحـوال فى طرابلس وبرقـة » نصـت المـادة الأولى منـه على العفـو التـام والكامل عن سـكان طرابلس وبرقـة الذين اشـتركوا فى القتـال مع عـدم التعرض لأى فـرد فى شـخصه أو ممتلكاته أو ممارسـته لحقوقه بسـبب الأعمـال السياسـية أو الحربيـة التى قـام بهـا أو الآراء التى عبر عنها فى اثناء الحرب ، مع الافراج فـورا عن المعتقلين واعـادة المنفين ٠

ونصت المـادة الثانية على تمتع أهالى طرابلس وبرقـة ــ كما كانوا فى فى الماضى ــ بالحريـة التامة فى ممارسـة شعائـر الدين الاسلامى ، وانـه سيستمر ذكـر اسـم السلطان ــ بصفتـه الخليفـة ــ فى الصلوات العامة للمسلمين

مع الاعتراف بالشخص الذى يعينه ممثلا له ، والذى سيحصل على راتبه من الخزانة المحلية ٠

كما نصت هذه المادة على احترام الاوقافات ، وعدم وضع أى قيد على علاقات المسلمين مع الرئيس الدينى (القاضى) الذى سيعينه شيخ الاسلام أو مع نوابه الذين سيعينهم هو (القاضى) والذين ستدفع رواتبهم من الخزانة المحلية ٠

أما المادة الثالثة فقد اعترفت لممثل السلطان بصلاحيات حماية مصالح الامبراطورية العثمانية والرعايا العثمانيين الذين سيعيشون فى الولايتين طبقا للقانون ٧٣ الصادر فى ٢٥ فبراير (شباط) ١٩١٢ ٠

ووعدت المادة الرابعة بتشكيل لجنة بمرسوم ملكى يكون من بين أعضائها بعض الأعيان المحليين ، لاقتراح التنظيمات المدنية والادارية للولايتين مستمدة من مبادىء الحرية واحترام العادات والتقاليد المحلية ٠

الملحق ٣

وهو نص قرار يتصل بجزر بحر ايجة ، وفيه تتعهد الحكومة العثمانية بادخال اصلاحات ادارية وقضائية من أجل طمأنة أهالى هذه الجزر من رعايا الدولة العثمانية ، وتحقيق المساواة أمام القانون ، والأمن والرفاهية لهم دون تفرقة بسبب العقيدة ، مع تعيين موظفين وقضاة من ذوى الكفاءة وممن يعرفون لغة البلاد ٠ كما نص القرار على منح العفو العام عن الأهالى الذين اشتركوا فى الأعمال العسكرية ٠

ثانيا ـ المعاهدة العلنية وتتمثل فى :

الملحق ٤

ويتضمن المعاهدة المبرمة فى ١٥ أكتوبر ١٩١٢ والتى اتفق الطرفان على اذاعتها بعد انجاز ما ورد فى الملاحق الثلاثة ، وتتألف المعاهدة العلنية من احدى عشرة مادة :

تنص المادة الأولى على تعهد الدولتين ـ بمجرد توقيع هذه المعاهدة ـ على وقف الأعمال العدوانية فورا ومن جانب كلا الطرفين مع ايفاد مبعوثين خاصين الى المواقع المختلفة للتأكد من تنفيذ ذلك ٠

وفى المادة الثانية تعهدت الدولة العثمانية بسحب قواتها وضباطها

وموظفيها المدنيين من طرابلس وبرقة ، وتتعهد ايطاليا بسحب قواتها وضباطها وموظفيها المدنيين من الجزر التى احتلتها فى بحر ايجة ، على ان تتم ايطاليا اخلاء جزر بحر ايجة فور انتهاء الدولة العثمانية من اخلاء طرابلس وبرقة ٠

وتنص المادة الثالثة على تبادل الأسرى فى أقرب وقت ممكن ٠

وتعهدت الدولتان فى المادة الرابعة بالعفو التام الكامل فتمنح حكومة المملكة الايطالية عفوها عن أهالى طرابلس وبرقة ، وتمنح الحكومة العثمانية عفوها عن أهالى جزر بحر ايجة من رعايا السلطان العثمانى ممن اشتركوا فى الأعمال العدوانية ما عدا المتهمين فى جرائم القانون العام ٠

وتنص المادة الخامسة على أن المعاهدات والاتفاقيات من أى نوع والتى كانت معقودة بين الدولتين قبل نشوب الحرب تعود الى السريان فورا ٠

أما المادة السادسة ففيها تتعهد ايطاليا بان تبرم مع تركيا معاهدة تجارية على أساس القانون العام الأوربى أى تحفظ لتركيا كل استقلالها الاقتصادى ، على الا توضع هذه المعاهدة التجارية موضع التنفيذ الا عندما توضع موضع التنفيذ المعاهدات التجارية المبرمة على نفس الاساس بين الدولة العثمانية والدول الأوربية الأخرى ٠

وتنص المادة السابعة على أن توقف الحكومة الايطالية عن العمل مكاتب البريد الايطالية التى كانت تعمل فى الامبراطورية العثمانية حالما تلغى مكاتبها الدول الأوربية التى لها مثل هذه المكاتب فى أراضى الدولة ٠

أما المادة الثامنة ففيها تعبر الحكومة العثمانية عن نيتها فى فتح باب المفاوضات مع الدول الأخرى بقصد الغاء نظام الامتيازات الأجنبية فى تركيا واحلال نظام من القانون الدولى مكانه ، والحكومة الايطالية ـ اذ تعترف برجاحة نوايا الباب العالى ـ تعلن تاييدها الكامل له فى هذا الخصوص ٠

وتنص المادة التاسعة على ان الحكومة العثمانية ـ اعترافا منها بالخدمات الجليلة والمخلصة التى قدمها لها الرعايا الايطاليون الذين كانوا يعملون فى اداراتها والذين أرغموا على ترك وظائفهم عندما نشبت الحرب ـ تعلن استعدادها لاعادتهم الى المراكز والوظائف التى كانوا يشغلونها ، على أن تصرف لهم مرتبات عن شهور العزل (رواتب المعزولية) ٠

وفى المادة العاشرة تعهدت الحكومة الايطالية بان تدفع سنويا لصندوق الدين العثمانى ولحساب الحكومة العثمانية مبلغا يتناسب مع متوسط المبالغ التى خصصت للدين العام من ايرادات الولايتين (برقة وطرابلس) فى السنوات الثلاث السابقة على الحرب ، على ألا تقل الحصة عن مليونى ليرة ايطالية .

ونصت المادة الحادية عشرة على ان توضع هذه المعاهدة موضع التنفيذ فى نفس اليوم الذى توقع فيه .

وقد وقع على هذه المعاهدة نفس المندوبين الايطاليين والترك الذين وقعوا على المعاهدة السرية (٢٠) .

● ● ●

ولقد اعتبر السفير البريطانى فى الآستانة أن شروط الصلح « افضل ما يمكن أن تحصل عليه الحكومة العثمانية فى ظل الظروف القائمة » ، واعتبر ان الوزارة التركية القائمة « قد أظهرت وطنية وحكمة فى الموافقة على هذه الشروط ، حيث كان من الصعب عليهم انهاء الحرب التى كان نظام الاتحاديين مسئولا عنها الى حد ما ، ولكن لا شك فى ان مصالح الامبراطورية العثمانية قد أملت هذا الموقف » .

وفى رأى السفير البريطانى أيضا أن الحرب الطرابلسية كشفت للانجليز مدى أهمية الجامعة الاسلامية وقيمتها كقوة سياسية ، فهو يرى أن المشاعر الاسلامية التى بدت عنيفة فى بداية الحرب « لم تتحول الى أعمال أكثر من ارسال معونة مالية الى العرب المسلمين فى طرابلس وبرقة » . كما كان السفير البريطانى يرى انه اذا كانت ايطاليا ـ طبقا للمعاهدة ـ لن تخلى جزر بحر ايجة فى الحال ، فان هذا كان فى مصلحة الباب العالى « لأن ايطاليا بذلك سوف تحول دون احتلال اليونان لهذه الجزر خلال الحرب التى توشك ان تنشب » (٢١) .

ولا شك فى أن الحكومة البريطانية كانت سعيدة بهذه النتيجة فقد كسبت ايطاليا القطر الليبى ، وكان لدور بريطانيا الفضل فى هذا

---

(٢٠) الرسالة ٣٢٨ فى ١٩١٢/١٠/١٩ من رود (روما) الى جراى ، ومرفق بها قصاصة من صحيفة (ايطاليا) عدد ١٠/١٩ ، الوثيقة ٣٧٨ فى ١٩١٢/١٢/٢ من رود الى جراى .

(٢١) الرسالة ٨٧٣ فى ١٩١٢/١٠/١٧ من لوثر (الآستانة) الى جراى .

النجاح الذى حققته ايطاليا ، مما يجعل الأمل كبيرا فى انتزاع ايطاليا من صفوف التحالف الثلاثى الى صفوف الوفاق الثلاثى . وبالاضافة الى ذلك فان الحكومة العثمانية ـ بضياع ليبيا منها ـ قد نالت ـ من وجهة نظر بريطانيا ـ جزاء توثيق علاقاتها مع ألمانيا مما اعتبرته بريطانيا خطرا على مصالحها فى هذه المنطقة من العالم وهى منطقة شرقى البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج ، التى على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للمصالح البريطانية ، وأخيرا فقد استراحت بريطانيا من هذه المشكلة بالوصول الى حل ترتضيه الحكومة العثمانية ودون أن يبدو أن هذه الأخيرة قد تعرضت لضغط من أجل قبول هذا الحل .

وعلى الرغم من ان وزارة الاتحاديين هى التى فتحت باب المفاوضات غير المباشرة ، وأظهرت استعدادها للتنازل عن الأراضى التى احتلها الايطاليون ، فقد أصبحوا بعد خروجهم من الوزارة يحاربون فكرة التنازل عن أى شبر من الأرض لايطاليا ، فاصدر مؤتمرهم العام قرارا (بمعارضة كل صلح مع ايطاليا يفضى الى التخلى عن طرابلس وبنغازى لقاء تعويض) (٢٢) ، يريدون احراج وزارة خصومهم .

وقد حاولت الحكومة العثمانية أن تتشدد نوعا ما فى شروط الصلح ، وقد رأينا كيف كانت المفاوضات مهددة بالتوقف بسبب عدم ميل الحكومة العثمانية الى التسليم بكل مطالب ايطاليا وشروطها ، رغبة فى الحفاظ على كرامة الامبراطورية ومكانة السلطان فى العالمين العربى والاسلامى ، ورغبة فى تفادى حملات الاتحاديين العنيفة ضدها ، ولكنها وقد أدركت أنه لا مناص من نشوب الحرب فى البلقان كانت مضطرة الى التساهل والتسليم ، وهذا لا يعفى وزارة الاتحاديين من المسئولية ، فهى التى أهملت شئون الولاية منذ بداية ظهور الخطر الايطالى .

ويلاحظ أن الحكومة العثمانية وقعت على معاهدة الصلح مع ايطاليا دون أن تستشير الزعماء العرب ، وأغفلت رغبات المجاهدين السنوسيين الذين تحملوا العبء الأكبر فى مقاومة الغزو الايطالى ووقف تقدم الطليان وشد أزر العدد القليل من الجند العثمانى الذين سمحت وزارة حقى باشا ببقائهم فى طرابلس ، فهؤلاء المجاهدون لم يكن لهم رأى فى شروط المعاهدة التى قررت مصيرهم ، مما كان له اسوأ الأثر على العرب فى ليبيا .

---

(٢٢) صحيفة الاهرام العدد ١٠٤٩٣ فى ١٩١٢/٩/٤ ، والعدد ١٠٤٩٩ فى ١٩١٢/٩/١١ .

حقا لم يكن فى طرابلس كثير من جند الترك ، الا ان الليبيين ـ بعد ابرام الصلح ـ حرموا من معاونة الضباط الترك ، كما حرموا من المساعدات المالية والأسلحة التى كانت تتسرب اليهم مما أدى الى انقطاع أمل الليبيين فى مساعدة الدولة لهم ، وتاثر الروح المعنوية عندهم ، حتى لقد اضطر عزيز المصرى ـ الذى ظل فى ساحة القتال يدير المعارك بعد انسحاب الضباط الترك ـ الى مغادرة القطر الليبى عائدا الى الآستانة عن طريق القاهرة بعد تسعة أشهر من ابرام الصلح ، بعد ان ادرك عدم استطاعته مواصلة القتال ٠

الفصل العاشر

ما بعد الصلح

بعد عقد صلح أو شي استدعت الحكومة العثمانية قواتها من ليبيا ، ويقال انه تبودلت برقيات مطولة وعديدة بالشفرة بين أنور بك والآستانة وعلمت السلطات البريطانية فى القاهرة ان أنور كان يرفض قبول الصلح مع ايطاليا وانه لن يوقف القتال فى ليبيا ، ومع ذلك لم يلبث أنور أن امتثل لتعليمات حكومته وقرر الرحيل (١) وظهر أنور فى الاسكندرية تحت اسم مستعار استعدادا للرحيل الى الآستانة على باخرة روسية (٢) .

وعندما اعتزم أنور مغادرة القطر الليبى امتثالا لأوامر حكومته عهد بالقيادة العامة الى عزيز على (المصرى) قائد منطقة بنغازى ، وكان معنى هذا ان ممثل الدولة فى القطر الليبى (أنور) ما كان يرى فى عقد الصلح سببا يدعو الى وقف القتال فى ليبيا ، بل ان هناك من يذهب الى القول بان أنور — عندما استقدم عزيز المصرى من اليمن انما كان يريد — اذا اضطرت الحكومة العثمانية الى قبول الصلح مع ايطاليا فى آخر الأمر — ان يبقى عزيز المصرى فى الميدان لادارة العمليات العسكرية ، ويدعو وجوده فى الوقت نفسه — وهو مصرى الجنسية — الى اقبال المصريين على مساعدة عرب ليبيا الذين يتولى عزيز المصرى قيادتهم فى هذا الكفاح (٣) .

وليس هذا التفسير مستبعدا ، فقد أبلغ السفير الايطالى فى لندن وزير الخارجية البريطانية فى ٢٨ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٢ انه منذ ابرام الصلح بين تركيا وايطاليا أوقفت السلطات المصرية التفتيش ومراقبة التهريب واعتبر ذلك عقبة فى سبيل اقرار السلام وتهدئة البلاد الليبية ، وهدد السفير الايطالى باستمرار ايطاليا فى احتلال جزر بحر ايجة وقد ابلغ جراى كتشنر بذلك ، وبأن وزير خارجية ايطاليا « يعتمد على مشاعرنا الودية فيما يختص بنقل الأسلحة فى شمال افريقية ... ونحن نرغب فى الوفاء بكل التزامات حسن الجوار » (٤) .

ومما يدل على تردد الدولة العثمانية ورغبتها فى استمرار المقاومة

---

(١) البرقية ٦٥ فى ١٩١٢/١٠/١٨ من كتشنر (القاهرة) الى جراى .

(٢) البرقية ٨٣ فى ١٩١٢/١٢/٢ من كتشنر الى جراى .

(٣) شكرى : السنوسية صص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٤) الوثيقة ٢٧٥ فى ١٩١٢/١١/٢٨ من جراى الى رود (روما) .

ضد ايطاليا فى ليبيا ولكن بدون ان تتورط هى رسميا فى هذا الامر ان أنور بك زار شيخ السنوسيين فى جغبوب لابلاغه بما صح عليه عزم السلطان العثمانى من حيث « اسناد أمر الامة الليبية الى سيادته واخباره بان الخليفة قد منح الامة الطرابلسية استقلالها تاركا لها الحق فى ان تقرر مصيرها وتدافع عن نفسها » ، ولهذا التبليغ أهمية كبرى فهو يدل على ان تركيا ما كانت تريد فى ذلك الوقت ان تسلم القطر الليبى الى ايطاليا لقمة سائغة على الرغم من توقيع المعاهدة بين الحكومتين العثمانية والايطالية ، ولذلك يرى البعض ان هذا التبليغ قد دعم أركان الامارة السنوسية على أساس ان صاحب الحق الشرعى والقانونى فى السيادة على ليبيا وهو السلطان قد منح الاستقلال للسنوسية وأسند اليهم النظر فى شئون الامة الطرابلسية فأصبح من هذا التاريخ استقلال الامارة السنوسية حقيقة كاملة من ناحية الأمر الواقع ومن الناحية الشرعية والقانونية التى يساندها وجود نائب للسلطان وذكر الخليفة فى الصلوات العامة كضمان فى مواجهة الايطاليين (٥) ٠

ولو اننى اعتقد ان الدولة العثمانية تهربت من مسئولية الدفاع بعد ان تسبب اهمالها وتقصيرها فى الوصول الى هذه النتيجة المؤلمة ، ولم يكن من المتوقع ان يستطيع اهالى ليبيا الصمود طويلا بامكانياتهم المحدودة المتواضعة اذا ما قورنت باستعدادات الطليان وتجهيزاتهم ٠
وعلى كل حال فان محاولات ايطاليا للحيلولة دون اشتراك السنوسى فى القتال ضدها باءت بالفشل ، فقد كان يمقت السيطرة الايطالية على البلاد ، ويرى انه من واجب الأهالى وفى مقدمتهم السنوسيون تحمل عبء مقاومة الغزاة (٦) ٠

وقد وافق السيد أحمد الشريف السنوسى فى لقائه مع أنور على اسناد القيادة العامة فى برقة الى عزيز المصرى ، ولذلك ذهب عزيز الى جغبوب لتوجيه الشكر الى السيد السنوسى وكان يصحبه فى هذه الرحلة الى جغبوب السيد عمر المختار ٠ وعلى ذلك لم يتوقف الجهاد ضد الايطاليين فى ليبيا ، وكان يشرف عليه السيد أحمد الشريف السنوسى ، ويقود عملياته العسكرية عزيز على المصرى الذى أبى التسليم للايطاليين بعد عقد صلح أوشى وقرر مواصلة الجهاد الى النهاية ، رغم انه فى ١٣ يناير (كانون ثان) ١٩١٣ رحلت عن طرابلس بقية القوة التركية على الناقلة الايطالية سانيو وكان قوامها ١١٧٨ رجل بين عسكرى ومدنى وقد ودعتها على رصيف الميناء قوة ايطالية من المشاة وأدت لها التحية ، وكان على رأس القوة التركية

---

(٥) شكرى : المرجع السابق صص ١٤٦ ، ١٤٧ ٠

(٦) الرسالة ٨٤ فى ١٩١٣/١١/١٤ من الكولونيل جونز (بنغازى) الى جراى ٠

نشأت بك الذى تولى القيادة العليا للقوات بعد رحيل ابراهيم باشا والى طرابلس فى أغسطس (آب) ١٩١١ ، وقد اتجهت الناقلة الايطالية سانيو الى الساحل السورى ، وقيل انه تم التوصل الى تفاهم بين الحكومتين الايطالية واليونانية حتى لا تتعرض السفن الحربية اليونانية للناقلة فى رحلتها فى البحر المتوسط (٧) • ولو أن سفير ايطاليا فى لندن شكا ـ بعد ذلك ـ الى وزير الخارجية البريطانية فى ٢٢ فبراير (شباط) ١٩١٣ من وجود ضباط وجنود ومدفعية من الجيش العثمانى متناثرة هنا وهناك فى كل أنحاء برقة مشيرا الى خطورة الأثر الذى ينجم عن وجودهم من حيث الحفاظ على وحدة القبائل وتماسكها فى معاداة الايطاليين ومقاومتهم ، حيث أن وجود الترك يساعد فى تجنيد وتدريب وتنظيم العرب فى عمليات المقاومة وبالتالى فان الترك يعتبرون ـ من وجهة النظر الايطالية ـ السبب فى النفور والتباعد بين السلطات الايطالية ورؤساء القبائل ، فهم السند للمقاومة العربية ، وبوعودهم بالمعونة من مصر وتركيا يساعدون على رفع الروح المعنوية للمجاهدين بدرجة تجعلهم يشكون فى أن صلحا قد عقد فعلا بين تركيا وايطاليا ، كما يمثلون عقبة فى وجه التغلغل السلمى لايطاليا الذى يزداد صعوبة يوما بعد يوم (٨) •

وكان القتال فى القطر الليبى يدور فى ميدانين رئيسيين : ميدان طرابلس الغرب وميدان برقة • وفى الميدان الأول استغل زعماء المجاهدين منشور السلطان الملحق بمعاهدة الصلح (الملحق ١) والذى قرر فيه السلطان ـ بما له من حقوق السيادة ـ منح طرابلس الغرب وبرقة استقلالا داخليا مطلقا وتاما فعقدوا عدة اجتماعات فى لواء الجبل الغربى ولواء فزان وورفلة وقرروا قبول هذا الفرمان ، وعهد الى الشيخ سليمان البارونى « باعلان استقلالهم وتبليغه الى من يلزم تبليغه ، وتشكيل حكومة تقوم بما يلزم من حفظ الراحة وتعميم الأمن ومحافظة شرف الدين والوطن على قواعد الشرع الشريف والنظامات العمرانية ، مع القيام بما يجب اتخاذه من وسائل المدافعة كالمال والرجال والسلاح » •

وتولى البارونى رئاسة الحكومة الجديدة ، وقام بابلاغ ما حدث الى الدول والى شمس الدين باشا نائب السلطان فى طرابلس ، وأرسل وفدا الى أوربا مهمته السعى لدى الدول حتى ينال اعترافها بالحكومة الجديدة ، ثم تنظيم الدعاية لهذه الحكومة فى الخارج • وشرع البارونى ـ فى أواخر ١٩١٢ ـ ينظم الحكومة والادارة فى البلاد ، ولكن الحكومة الطرابلسية الجديدة لم تلبث أن

(٧) الرسالة ١ فى ١٩١٣/١/١٦ من ديكسون (طرابلس) الى جراى •

(٨) مذكرة المركيز امبريالى الى وزارة الخارجية البريطانية فى ١٩١٣/٢/٢٢ •

صادفت جملة صعاب ، منها ان نائب السلطاني العثماني انقلب داعية للطليان يحض الناس على ترك السلاح وقبول العيش تحت حكومة الطليان ، بل انه أرسل تبليغا فى ٢٧ ديسمبر (كانون أول) ١٩١٢ الى البارونى أعلن له فيه انه (أى شمس الدين باشا) لا يزال نائب السلطان فى طرابلس وبرقة (أى لا يعترف بحكومة البارونى) ، وكان الايطاليون قد حاولوا اغراء البارونى بالتسليم حتى من قبل صلح أوشى عندما حاولوا تنفيره من الترك ولكنهم لم ينجحوا فى مسعاهم • ولذلك ، ونظرا لتفوق قوات العدو عددا وعدة ، ولما كان الطليان قد أبلغوا البارونى باستعدادهم للاعتراف باستقلال طرابلس الغرب داخليا فقد وجد المجاهدون انتهاز هذه الفرصة والدخول فى مفاوضات مع ايطاليا فى تونس ، الا ان الايطاليين لم يلبثوا أن تهربوا من وعدهم بمنح طرابلس الاستقلال الداخلى ، وذلك بعد الانتصارات التى احرزتها قواتهم ، وعندئذ وافق الطرفان على قواعد جديدة تتضمن العفو عن المجاهدين مع بعض المنافع الأخرى لهم ، واضطر البارونى ـ أمام الرغبة التى ابدتها السلطات الفرنسية فى تونس ـ الى أن ينصح اللاجئين الطرابلسيين بالعودة الى بلادهم ، أما البارونى فقد ارتحل الى الآستانة فى أواخر سنة ١٩١٣ (٩) •

أما فى ميدان برقة فقد استمر الجهاد دون هوادة بقيادة عزيز المصرى وبمؤازرة السنوسيين ، وقد كتب عزيز المصرى فى ٢٧ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٢ الى سليمان البارونى ـ بعد اجتماع زعماء الحركة الوطنية فى طرابلس والذين اعلنوا فيه انشاء حكومة وطنية ـ ابلغه انه « بثباتنا نستجلب قلوب الأمم الاسلامية واعاناتها ، وكم من أمم وقعت فى شر مما نحن فيه ونجت وعلت بالثبات » وطلب اليه ان « تؤسسوا المخابرة بيننا ولا تيأسسوا من بعض الخائنين ••• وأرجوكم منع الشقاق فالعرب كالماس لا يؤثر فيه الا جنسه وتكفينا التجارب ، حاربنا بعضنا وكسرنا بعضنا خدمة للأجانب وأعداء الدين » (١٠) •

ودارت معارك عديدة فى المنطقة الغربية والوسطى من برقة حيث قرر الايطاليون احتلال الجبل الأخضر ، واحتل الايطاليون عددا من المواقع • وفى ١٦ مايو (آيار) ١٩١٣ وقعت فى الجبل واقعة يوم الجمعة المشهورة بالقرب من درنة ، وقد اشترك فى هذه الواقعة السيد أحمد الشريف السنوسى مع بعض القبائل وأسهم فيها أيضا من تبقى من الضباط

---

(٩) شكرى : المرجع السابق ص ص ١٤٧ ـ ١٥٠ •

(١٠) محمد عبد الرحمن برج : عزيز المصرى ص ٧٠ •

العثمانيين ، وانهزم الايطاليون وارتدوا الى درنة ، وتوالت المعارك واحتل الايطاليون المزيد من المواقع ٠

وسرعان ما أحاطت الصعوبات الشديدة بالمجاهدين من كل جانب ، فقد انقطعت عنهم الموارد من الاسلحة والذخائر والمؤن ، بالاضافة الى ما نجم عن الضغط الشديد الذى مارسته ايطاليا على الدولة العثمانية حتى تأمر هذه الأخيرة باستدعاء القلة الباقية من القوات التى ظلت تحارب فى برقة بالرغم من عقد الصلح وتكف عن مساعدة المجاهدين ٠ فقد وصلت الى عزيز المصرى برقية من الحكومة العثمانية تأمره بالانسحاب بمن معه من الضباط والجنود من برقة الى السلوم حيث يجدون فى انتظارهم باخرة عثمانية تقلهم الى تركيا ، وازاء الصعوبات التى صارت تحيط بعزيز المصرى فقد رأى ان يمتثل لأمر الحكومة العثمانية ، ولكنه لم يلبث أن صادف صعوبة جديدة ٠

ذلك انه فى اثناء اشتداد المقاومة ضد الطليان حل موسم الحصاد لسنة ١٩١٣ وعلم الايطاليون بذلك فانتهزوا الفرصة للهجوم على الجيش على غرة فانسحب الجيش الى معسكر درنة ٠ كما ان المجاهدين كانوا قد أخذوا كثيرين من الاسرى الطليان واراد عزيز المصرى اطلاق سراح بعضهم فعارض السنوسيون ، وفى هذا الوقت كان عزيز المصرى يتجهز للانسحاب نحو الحدود ـ امتثالا لبرقية الحكومة العثمانية ـ ولم يرض المجاهدون عن خروج عزيز بجنده وسلاحه ويحرم المجاهدين من الأسلحة والذخائر التى كانوا فى حاجة اليها فطلبوا منه ان يسلمهم الأسلحة والذخائر ولكنه رفض على أساس انه بعد عقد الصلح بين تركيا والدولة لا يجوز تسليم الأسلحة ليحارب بها المجاهدون ايطاليا ، كما انه انما يذعن لأوامر حكومة الآستانة ، فحاول المجاهدون أخذ الأسلحة عنوة ، ودارت معركة كان من الممكن ان تتطور تطورا سيئا لولا أن عزيز المصرى استطاع الوصول الى السلوم وفى ١٦ يوليو (تموز) ١٩١٣ وصل الى الاسكندرية ومنها ذهب الى الآستانة ٠

وبذلك أصبحت البلاد خالية من وسائل الدفاع ، واسندت قيادة المجاهدين الى عمر المختار الذى كون جيشا وطنيا يتربص بالطليان اذا خرجوا من مواقعهم لقتلهم والحصول على أسلحة يستخدمونها وظل الحال كذلك حتى نشبت الحرب العالمية الاولى فى أغسطس (آب) ١٩١٤ (١١) ٠

واذا اردنا ان نحلل موقف عزيز المصرى فانه يمكن القول بانه تربى

---

(١١) شكرى : المرجع السابق صص ١٥٥ ، ١٥٦ ٠

تربيــة عسكرية وعرفت عنه الدقــة والصرامــة وكان يرى ان أول واجبــات الرجــل العسكرى تنفيذ التعليمات الصــادرة اليــه ، وقــد تكــرر منــه ذلك الموقف نفســه مع الشريف حسين فى الحجاز ابــان الثــورة العربية سنة ١٩١٦ ٠

ولكننــا كنــا نتوقــع الا يتمســك عزيز برأيــه فى مســألة الأســلحة والذخيرة ، فالتمســك بالرأى واجب الرجــل العســكرى حتى لا يختل النظــام ، وتــرك الأسلحة للمجاهدين لــن يؤدى الى اختــلال النظــام بــل على العكس سيدعم هذه المقاومة ، خصوصا وانه كان تجيش فى صدره مشاعــر قويـــة عربيــة واسلامية ٠

ويعــزو محمد فريد فى مذكراتــه الى الخديــو عباس حلمى بــث الفرقــة بين عزيز المصرى والسنوسى بايعــاز من الايطاليين ، فيذكــر ان هــؤلاء « اســتنصحوه فيما يفعلونــه فى برقــة وطلبــوا منــه المساعدة مقابــل تسهيل مشترى ســكة حديد مربوط منــه ، فقــال لهم ان أحسن طريقــة هــى مخابــرة كل من عزيز بــك والشيخ السنوسى بشأن الصلح كل على حــدة اى بشرط الا يعلم احدهما بما يجرى مع الآخــر ، حتى اذا علما فيما بعــد أن كلا منهما يخابر الطليــان على غــرة من الآخــر يفقــد الثقــة فيه ، وبذلك يزول اتفاقهما وهو المطلوب ، فوافقــوه على هذا الرأى وهو مكلف بتنفيذ بعضــه ، فاوفد من مصر حسن بــك حمــادة (وهو محامى سورى درزى من رجــال الشــيخ على يوسف ومن جواسيس المعيــة من سنين) الى عزيز بــك المصرى ومعــه ستة آلاف جنيه مصرى بصفة اعانــة ماليــة اسلامية وأخــذ ينصحه بتــرك برقــة مع من معــه من العســاكر النظاميــة لعــدم الفائــدة من استمرار الحرب بعــد عقــد الصــلح مع الدولة العليــة ، وأنــه اذا كان يريــد الاشتغال بمســألة اســتقلال العــرب وتأليف ســلطنة وخلافــة عربيــة فالأحسن أن ينســحب الى بيروت وهى الآن خاليــة من الجنــد بسبب حرب البلقــان ٠٠٠ وأصغى عزيز الى هذه الوساوس وأخذ يناوىء الشيخ السنوسى فجاد أخاه (هلالى) واراد قتله بدعوى انه يخابر الطليــان فاغتــاظ الشيخ وقــال لعزيز بــك الأحسن بان ينســحب هو وجنــوده فانســحب وهاجمه العرب فى الطريق وقتلوا من رجاله ضابطــا ونحو أربعين عسكريا ، وبذلك خلى جيش السنوسى من الضباط والنظــام العســـكرى وســهل على الطليــان فتح بلاده ، وهذا من فعــل وخيانــة عباس حلمى خديو مصر ، هــذه المعلومات وصلت لــى عن لســان يحيى بــك صديق القاضى ، لأنه ســافر الى الســلوم عند وصــول عزيز ورفاقــه بدعــوى ان لــه أقاربــا بين ضباطه ، وهو الذى نقــل التفصيلات لمن نقلها الى هنــا بجنيف مشــافهة » (١٢) ٠

● ● ●

---

(٢) محمد فريــد : مذكراتــى بعد الهجرة (١٩٠٤ ــ ١٩١٩) المجلد الاول صص ٩٩ ، ١٠٠ ٠

خاتمـــة

وهكذا عشـنا هذه الحقبـة من الزمان ، ورأينـا كيف كانت ليبيـا محط أطمـاع الايطاليين بعد أن افلتت منهم تونس ، وعلى الرغـم من الظروف التى جعلت ايطاليـا تتجـه نحـو التوسـع الاستعمارى فى شرق افريقيـة فـان انشـغالها ونشـاطها فى هذه المنطقـة لـم يجعل ليبيـا تغيب عن تفكيرهـا ، بـل ان بعض ساسـة ايطاليـا كانوا يسـعون الى (التقـاط مفاتيـح البحـر المتوسط فى البحر الأحمر) بالتوغـل من سـاحل البحر الأحمر الافريقى غربـا الى دارفور للالتفـاف حـول ليبيـا من الجنـوب ٠

ثـم رأينـا مسـاعى ايطاليـا لتحقيق أهدافهـا فى ليبيـا بالحصـول على تأييد أكبـر عـدد من الدول الأوربيـة الكبرى ، أو على الاقـل عـدم قيـام معارضـة من جانب هذه الدول للخطـوة التى كانت ايطاليـا تزمـع القيام بهـا ، وعلى الرغـم من أن ايطاليـا كانت عضوا فى المحالفـة الثلاثية مـع ألمانيـا والنمسـا فقـد اتجـه الايطاليون نحو كسـب تأييد بريطانيا قبـل أيـة دولة أخـرى على أساس أن العمل الايطالـى يهدف الى المحافظـة على التوازن الدولى فى البحر المتوسـط وهذا أمـر يهم بريطانيا وذلك بعـد سـيطرة فرنسـا على تونس ، كما كانت ايطاليـا تعتقد أن الوضـع فى البحر المتوسـط ـ شانه شـأن النشـاط فى شرق افريقيـة ـ يعتمد على موافقـة بريطانيا وتاييدها ٠ وعلى ذلك توصـلت الدولتـان (بريطانيا وايطاليـا) الى اتفـاق سـنة ١٨٨٧ تجـدد سنة ١٩٠٢ حين اعترفت بريطانيا بحـق ايطاليـا فى ليبيـا مقابـل تعهـد ايطاليـا بمسـاعدة بريطانيا فى المسألة المصريـة ٠

كمـا ضمنت ايطاليـا تأييد فرنسـا منافسـتها الكبـرى فى الشـمال الافريقى وذلك فى الاتفاقيـة السريـة التى عقـدت بينهما فى سنة ١٩٠٠ وفيها اعترف الايطاليون بحقوق فرنسـا فى مراكش مقابـل تأييد فرنسـا للمخططـات الايطاليـة فى ليبيـا ولـم يكن معني ذلك اغفـال ايطاليـا لحليفتيها فى التحالف الثلاثى : ألمانيا والنمسـا ، وقـد لاحظنـا أن سياسـة ايطاليـا كانت تقـوم على أساس تبـادل المصالح الاستعماريـة بينها وبين الدول الأوربيـة وخصوصـا دول الوفـاق (طرابلس مقابـل مصر لبريطانيـا ومراكش لفرنسـا والمضايـق لروسـيا) ، كما لاحظنـا ان ايطاليـا فى سياسـتها الأوربيـة حاولت الجمع بين المتناقضات فاستطاعت أن تتفاهم مع ألمانيـا والنمسـا من ناحيـة ، ومع فرنسـا وبريطانيـا وروسـيا من ناحيـة أخـرى ، مع ما كان بين هذه الدول من أحقـاد وخلافـات سياسـية ، وذلك على ضوء سياسـة التكتلات الأوربية ، أى انـه أمكـن القـول بان ايطاليـا نجحت فى الحصـول على تأييـد كـل من الكتلتين الأوربيتين المتنافسـتين المتصارعتين : التحالف والوفاق ٠

واذا كانت دوافـع ايطاليـا لارسال حملتها ضد ليبيـا متعـددة متنوعـة

حيث ثبت ان الحزب الكاثوليكى فى ايطاليا كان من أشهد المؤيدين لضم ليبيا ، بل ان معظم مالية الفاتيكان كانت فى يد بنك روما الذى أسهم ماديا فى اثارة الرأى العام الايطالى للضغط على حكومته ، بل قيل ان البابا نفسه أظهر رضاء عظيما لنجاح الأسلحة الايطالية ، ولو أنه فى الظاهر حاول ان ينفى ان الحرب الليبية حرب مقدسة شنت باسم العقيدة والكنيسة وبمؤازرتهما ٠

وقد استطاعت هذه الدراسة أن تكشف ــ استنادا الى الوثائق الرسمية ــ حقيقة موقف الدول الاوربية سواء قبل وقوع الغزو الايطالى أو بعده ، فهذا وزير الخارجية البريطانية يعلن ان حكومته تتعاطف مع أية خطوة قد تجد ايطاليا نفسها مضطرة لاتخاذها لحماية مصالحها أو لتصحيح الاخطاء التى وقعت بحق الرعايا الايطاليين فى أى جزء من العالم ، وآثرت الحكومة البريطانية ان تقف جانبا بمنأى عن الحرب (فالمسألة لا تخصنا) وذلك تحت اسم الحياد ، حتى عندما طلبت منها الحكومة العثمانية التدخل اعتذرت بعد استطاعتها القيام بمساع حميدة فى ذلك الوقت ٠

أما فرنسا فقد أبدت استعدادها للتوسط بشرطين أولهما ان يكون التوسط جماعيا ، وثانيهما ان يكون التوسط فى نطاق ارتباطات والتزامات فرنسا السابقة نحو ايطاليا ، وهى ارتباطات تقوم على أساس اطلاق يد ايطاليا فى القطر الليبى ، وأخذت الصحف الفرنسية تردد ان ايطاليا تستطيع الاعتماد على اخلاص الفرنسيين ، وأن مهمة ايطاليا فى ليبيا مهمة حضارية « حيث ان ليبيا يجب ان تشارك فى التقدم والتطور والثراء الذى صارت تعرفه مصر وتونس والجزائر وسوف تعرفه مراكش غدا » (أى فى ظل السيطرة الأوربية) ٠

حتى المانيا التى كانت تعتبر صديقة للدولة العثمانية صداقة اغضبت بريطانيا من الحكومة العثمانية ، عبرت عن تعاطفها مع شكاوى ومعاناة ايطاليا فى ليبيا ، بل لقد تردد ان ايطاليا حصلت ــ قبل اقدامها على غزو ليبيا ــ على موافقة ألمانيا وتاييدها ، بل وأخذت الصحافة الألمانية تلقى بالمسئولية على بريطانيا وفرنسا وذلك من أجل ابعاد المسئولية عن ألمانيا صديقة تركيا وحليفة ايطاليا ، وصارت ألمانيا ترى ان أفضل سبيل أمام الدولة العثمانية هو قبول الانذار الايطالى واغلاق باب النزاع مع احتفاظ المانيا لنفسها بحق القيام بمساعيها الحميدة فى اللحظة المناسبة ، واللحظة المناسبة كانت فى نظر الألمان بعد احتلال ايطاليا لطرابلس ، بل وتردد أيضا أن السفير الألمانى فى الآستانة نصح حكومة الباب العالى بألا تعلق الآمال على تدخل ألمانيا ، وان على الترك ان يوطنوا أنفسهم على فقدان ليبيا ٠

أمـا النمسـا فانها اذا كانت قـد عبرت عن قلقهـا من غـزو ايطاليـا للقطـر الليبى فما كان ذلك الا لخوفها من امتداد العمليـات العسكرية بين ايطاليـا وتركيـا الى البلقـان ممـا يهدد مشروعـات النمسـا التى كانت تعتبر البلقـان منطقـة نفوذ لها تنافسها فيه ايطاليـا مثلما تنافسها فيه روسيا ٠

●●●

ولعـل من أهم ما توصـل اليـه البحث ـ استنادا الى الوثائـق ـ محاولات بريطانيا اسـتخدام مصر لتحقيق أهدافها السياسـيـة والحصول على مكاسـب سياسية أو اقليمية متسـترة وراء مصالح مصر ، وفى مقدمة تلك المحاولات مسـاعى بريطانيا ـ ارضـاء لايطاليـا ـ للتمسـك بما اعتبرتـه حيـاد مصر حتى لا تكـون الأخيـرة ـ كما تدعى بريطانيـا ـ معبرا للقـوات والأسلحة والمتطوعين الى ليبيـا لمقاومة الغـزو الايطالى ، فتتعرض مصر ذاتهـا للخطـر الايطالـى ويقـع عبء الدفـاع عنهـا على عاتـق بريطانيا ، بينمـا كانت بريطانيا فى الحقيقة تريد ان تحيط الحملة الايطاليـة بالضمانـات التى تكفـل لهـا النجـاح ٠

ومن ناحيـة أخـرى فكـرت بريطانيا فى أن تضـم الى مصر منطقـة على سـاحل البحر المتوسـط غربى السـلوم وتضـم ميناء البرديـة على أسـاس ان ذلك يدعـم مركـز بريطانيا العسـكرى فى مصر من أى خطر قـد يأتيهـا من ناحيـة الغـرب ٠

ومن الغريب ان بريطانيـا التى ضغطت على الحكومة المصريـة فى سنة ١٩٢٥ للتنازل عن واحـة جغبـوب للحـكم الايطالى فى ليبيـا كانت ابـان الحرب التركيـة الايطاليـة تعلن وتؤكـد ان جغبـوب أرض مصريـة ، سـواء فـى مواجهـة الترك عندما اشـيع أن أنـور بـك القائـد العثمانى فى ليبيـا ارسل قـوة لاحتـلال الواحـة ، أو فى مواجهـة الايطاليين الذين كانـوا يطالبـون بضـم جغبـوب الى برقـة حتى تصير لهم السيطرة عليها ٠

ومن الأمـور المتصـلة بمصر والتى أثيرت ابان الحملة الايطاليـة علـى ليبيـا موضـوع حـق ايطاليـا فى ارتريـة وبالتالى حقهـا فى اسـتخدام قـوات اسلامية من ارتريـة فى الحرب ضد الدولة العثمانية الاسـلامية ، وفى هذا الشـأن كانت الحكومة المصريـة ترى ان ارتريـة عندما انتقلت الى أيدى الايطاليين لـم تكن أرضا بـلا صاحب بـل كانت تديرهـا مصر ولـم تنقطـع علاقتها بهـا ، وان ايطاليـا اعترفت بالسلطة المصريـة هنـاك ورفعت العلـم المصرى الى جانب العلم الايطالـى لفتـرة ، وعلى ذلك ، وحيث ان مصر لـم تتنـازل رسميا عن حقوقهـا فان الحكومة المصريـة كانت ترى أن ايطاليا لا يحق لهـا ان تجنـد قـوات ارتريـة للقتـال ضد تركيـا صاحبـة السيادة على مصر ٠

ولكن ايطاليا رفضت وجهة النظر المصرية واعتبرت ان سيادة ايطاليا على ارترية ليست محلا للمناقشة وبالتالى فمن حقها استخدام قوات من ارترية فى ليبيا ، مستندة فى ذلك الى عدد من المعاهدات والاتفاقيات وقعت بين ايطاليا من جهة وكل من الحبشة وبريطانيا ومصر من جهة أخرى بشأن تخطيط الحدود فى شرق افريقية • وقد اوردت الحكومة الايطالية هذه المعاهدات كدليل على تنازل مصر عن حقها فى ارترية ، وكون مصر طرفا فى بعض هذه الاتفاقيات ليس دليلا كافيا لأن مصر فى ذلك الوقت لم تكن تدير أمورها بنفسها بل كانت تسيطر عليها وتوجه سياستها الحكومة البريطانية حتى ان ممثل الحكومة المصرية الذى وقع على هذه المعاهدات باسم مصر كان موظفا بريطانيا وبذلك اثبت البحث ان مصر لم تتنازل عن حقها وحق الدولة العثمانية صاحبة السيادة العليا ، بدليل ان مصر استمرت فى دفع الجزية السنوية عن مصوع للباب العالى بعد احتلال الايطاليين لها ، ولم تلبث الحكومة البريطانية أن سلمت بوجهة نظر ايطاليا بشأن ارترية وأعلنت ان احتجاج الحكومة المصرية غير مقبول وانه ليس فى نية بريطانيا الوقوف فى وجه مرور قوات ارترية عبر قناة السويس الى ليبيا •

كما كشف البحث عن موقف الخديو عباس حلمى الثانى ابان الحرب فى ليبيا وكيف انه امتنع عن تقديم المساعدات للمجاهدين فى القطر الليبى مقابل شراء ايطاليا لخط سكة خديد مريوط الذى يمتلكه بمبلغ كبير ، وقد اكدت الوثائق ذلك ، وأوضحت كيف تدخلت الحكومة البريطانية بعد ان شعرت بالقلق ازاء هذه الصفقة حيث اعتبرت انها تؤثر على أمن مصر البريطانية وسلامتها ، كما استولت الدهشة على الحكومة البريطانية لهذا التصرف من جانب ايطاليا بعد الموقف الودى الممالىء لايطاليا والذى اتخذته الحكومة البريطانية ، والحكومة المصرية تحت ضغط الحكومة البريطانية خلال النزاع التركى الايطالى •

وكان آخر مواقف الخديو ما يعزى اليه من تدخله لبث الفرقة بين السنوسى وعزيز المصرى الذى قاد الكفاح فى ليبيا عقب توقيع الدولة العثمانية صلح أوشى مع ايطاليا •

ومن الأمور التى كشفت عنها الدراسة ـ استنادا الى الوثائق ـ موقف الدول الأوربية الكبرى من الوساطة لعقد الصلح بين تركيا وايطاليا ، وكيف كانت معظم المساعى العثمانية متجهة صوب بريطانيا مما يدل على الاعتقاد بأن بريطانيا كانت هى الدولة الوحيدة القادرة على حل المشكلة ، وتناول البحث العديد من الاقتراحات العثمانية التى لم يحظ أى منها بقبول ايطاليا لانها لم تكن تسلم بالتنازل عن القطر الليبى لايطاليا ، وكشفت الدراسة كيف ان بريطانيا اتخذت من صعوبة التوفيق بين وجهتى النظر

التركيــة والايطاليــة ذريعــة لرفض الوســاطة لعقـد الصلح بين الطرفين ، كمــا تمســـكت بفكــرة ان يكــون التوســط جماعيــا من جانب الدول الخمس الكبرى حتى لا تقــع عليهــا وحدهــا مســئولية اغضــاب أي من الطرفين ٠

ثــم تناولت الدراســة المقترحــات الإيطاليــة التى كانت تقــوم أساســا على الاعتراف بالسيادة الايطالية على ليبيــا ، وكيف كانت ايطاليــا تفضــل ارجــاء الصــلح الى ان يصبح احتــلال ليبيــا حقيقــة واقعــة ، حيث عندئــذ تكــون ايطاليــا فى مركــز أفضــل فى مفاوضــات الصلح وتستطيع إمــلاء شروطهــا ، وفى الوقت نفســه تكــون تركيــا أكثــر ميــلا للاذعــان والتســليم بوجهــة النظــر الايطاليــة ٠

وأخيــرا عقــد الصلح فى أوشى بين الطرفين ، ورغــم التحايــل الذى الذى تضمنتــه وثائــق الصــلح من حيث عــدم النص على اعتراف حكومـــة الباب العالــى بالتنازل عن ليبيــا لايطاليــا ، فقــد تخلت الدولة العثمانيــة فعــلا عن ليبيــا ، ومع ذلك فان المقاومة الوطنيــة لــم تفتــر ولــم تهــدأ ، بـــل استمرت تحت القيــادة العسكرية لعزيز المصرى أولا ، ثــم تحت القيـــادة العســكرية للزعمــاء الليبيين أنفســهم مثل عمر المختــار ، ولقــد أقلقت هذه المقاومة السلطات الايطاليــة التى لــم يهــدأ لهــا بــال ، ولولا أن ايطاليا ابــان الحرب العالميــة الأولى وفى الفتــرة ما بين الحربين العالميتين كانت تحظى بمساندة الدول وفى مقدمتها بريطانيا لمــا استطاعت البقــاء فى ليبيــا رغــم اجراءات القمــع والبطش الشــديدة ٠ وعلى كل حــال فقــد هيــأ الله سبحانه الظروف عقب الحرب العالميــة الثانيــة وخروج ايطاليــا منها منهزمة مما اتــاح الفرصــة لاســـتقلال ليبيــا وفشــل المؤامرات الدولية ضــد استقلالها ووحدتها ٠

ولقــد فسر بعض المؤرخين الحرب الايطاليـــة فى ليبيــا على أساس أن ايطاليــا لــم تســتطع ان تروض نفســها على رؤيــة الفرنسيين والانجليــز والاســبان يثبتــون أقدامهم على طــول الساحل الافريقى الشــمالى ، ولا أن يــروا ليبيــا وقــد احتلتهــا دولة أخــرى ، ولكن الثمن كان فى رأى هؤلاء المؤرخين باهظــا ، فقد كان الثمن الذى دفعتــه ايطاليــا فى ســبيل ليبيــا تكاليف الثمانين ألف جنــدى والقــوات البحريــة الضخمة والســبعة آلاف مليــون ليرة التــى تكلفتها الحملة على ليبيا ، الفقيرة ، وبأهلها المعادين لايطاليا ، وبفيافيهـــــا الشــاسعة المتراميــة حتى اطــلق عليها نتـــى « الصنــدوق الهائــل مـــن الرمـــال » ٠

ومــا كان الايطاليــون يدرون ان ليبيــا ليســت كذلك ، بــل هى جزيرة تســـبح على بحر من النفط الذى افــاء بــه اللــه سبحانه وتعالى على أهـــل ليبيــا ، والذى نرجو ان ينفقــوا عائداتــه فيما يعــود بالخير عليهم وعلــى عالــم الاســـلام ٠

والحمد للــه رب العالمين

بيان بأسماء الشخصيات المعاصرة للأحداث

- امبريالى (المركيز) : السفير الايطالى فى لندن (١٩١٠ ـ ١٩٢١) .
- انوربك : الملحق العسكرى العثمانى فى برلين (١٩٠٩ ـ ١٩١٣) .
- اهرنتال (الكونت) : وزير خارجية النمسا والمجر (١٩٠٦ ـ ١٩١٢) .
- اوبيرن : مستشار بالسفارة البريطانية فى سان بطرسبورج واحيانا قائم بالأعمال (١٩٠٦ ـ ١٩١٥) .
- برتى : سفير بريطانيا فى باريس (١٩٠٥ ـ ١٩١٨) .
- بنكندورف (الكونت) : سفير روسيا فى لندن (١٩٠٣ ـ ١٩١٧) .
- بوانكاريه (ريمون) : رئيس الوزارة الفرنسية ووزير الخارجية (١٩١٢ ـ ١٩١٣) .
- بوكانان (سير جورج) : سفير بريطانيا فى سان بطرسبورج (١٩١٠ ـ ١٩١٨) .
- بومبارد (موريس) : سفير فرنسا فى الآستانة (١٩٠٩ ـ ١٩١٤) .
- بيشون (ستيفان) : وزير الخارجية الفرنسية (١٩٠٦ ـ ١٩١١) .
- توفيق باشا : السفير العثمانى فى لندن (١٩٠٩ ـ ١٩١٤) .
- تيرل (لفتنانت كولونيل) : الملحق العسكرى بالسفارة البريطانية فى الآستانة (١٩٠٩ ـ ١٩١٣) .
- جاجوف (الهرفون ـــ) سفير المانيا فى روما (١٩٠٩ ـ ١٩١٢) .
- جرانفيل : السكرتير الأول وأحيانا قائم بالأعمال بسفارة بريطانيا فى برلين (١٩١١ ـ ١٩١٣) .
- جراهام : السكرتير الثانى ثم الأول بسفارة بريطانيا فى باريس (١٩٠٥ ـ ١٩١٦) .
- جراى (سير ادوارد) وزير الخارجية البريطانية (١٩٠٥ ـ ١٩١٦) .
- جواد بك : مستشار بالسفارة التركية فى لندن (١٩٠٨ ـ ١٩١٣) .
- جوشن : سفير بريطانيا فى برلين (١٩٠٨ ـ ١٩١٤) .

- جوليانــو (المركيز دى ســان ـــ) : وزير الخارجيــة الايطاليـــة (١٩١٠ ـ ١٩١٤) ٠
- جيوليتى (السنيور) : رئيس الوزارة الايطالية (١٩٠٦ ـ ١٩٠٩) ، (١٩١١ ـ ١٩١٤) ٠
- جيير (دى) الوزير الروسى فى بوخارســت (١٩٠٢ ـ ١٩١٢) ، السفير الروسى فى الآســـتانة (١٩١٢ ـ ١٩١٤) ٠
- حسين حلمى باشــا : الصــدر الأعظم (١٩٠٩) ، السفير العثمانـــى فى فينــا (١٩١٢ ـ ١٩١٨) ٠
- ديرنج (هربرت) : مستشـــار السفارة البريطانية فى رومــا وأحيانا قائـم بالأعمــال (١٩١١ ـ ١٩١٥) ٠
- رفعت باشـــا : وزير الخارجيــة العثمانيــة (١٩٠٩ ـ ١٩١١ ، الســفير العثمانى فى باريس (١٩١١ ـ ١٩١٤) ٠
- رود (سيررنل) : ســفير بريطانيا فى رومــا (١٩٠٨ ـ ١٩١٢) ٠
- سازونوف (سيرج) : وزير الخارجية الروسية (١٩١٠ ـ ١٩١٦) ٠
- فانجنهايم (البـــارون فــون ـــ) : ســـفير المانيــا فى الآســـتانة (١٩١٢ ـ ١٩١٥) ٠
- كارترايت : سفير بريطانيا فى فينــا (١٩٠٨ ـ ١٩١٣) ٠
- كارنيجى : مستشـــار بالسفارة البريطانية فى باريس ، وأحيانا قائـم بالأعمــال (١٩٠٨ ـ ١٩١٣) ٠
- كامبــون (بــول) : سفير فرنســا فى لنــدن (١٨٩٨ ـ ١٩٢٠) ٠
- كامبون (جــول) : سفير فرنســا فى برلين (١٩٠٧ ـ ١٩١٤) ٠
- كروزييه : سفير فرنســا فى فينــا (١٩٠٧ ـ ١٩١٢) ٠
- لوتزاتى (السنيور لويجى) : رئيس الوزارة الايطاليــة ووزير الداخلية (١٩١٠ ـ ١٩١١) ٠
- لوثــر (سير جيرار) : سفير بريطانيــا فى الآستانة (١٩٠٨ ـ ١٩١٣) ٠
- مارتينــو (السنيور دى ـــ) : سكرتير) سكرتير عــام وزارة الخارجيــة الايطاليــة (١٩١٣ ـ ١٩١٩) ٠

- مارلنج : مستشار بالسفارة البريطانية فى الآستانة وأحيانا قائم بالأعمال (١٩١٠ ـ ١٩١٥) .
- مارشال فون بيبر شتاين (البارون ادولف) : سفير ألمانيا فى الآستانة (١٨٩٧ ـ ١٩١٢) .
- مالت (ادوارد) : مساعد وكيل الخارجية البريطانية (١٩٠٧ ـ ١٩١٣) .
- مترنيخ (الكونت بول فون وولف) : سفير ألمانيا فى لندن (١٩٠١ ـ ١٩١٢) .
- محمد طلعت بك : وزير الداخلية العثمانى (١٩٠٩ ـ ١٩١٣) .
- محمد نبيه بك : مندوب الدولة العثمانية فى مفاوضات الصلح مع ايطاليا (١٩١١) ثم سفير تركيا فى روما (١٩١٢ ـ ١٩١٥) .
- نيراتوف : القائم بأعمال وزير الخارجية الروسية (١٩١١ ـ ١٩١٤) .
- نيكولسون (سير آرثر) : الوكيل الدائم لوزارة الخارجية البريطانية (١٩١٠ ـ ١٩١٦) .

مصـــادر الدراســـة

أولا ـ وثائـق غير منشـورة :

وثائق وزارة الخارجيـة البريطانيـة المحفوظـة بـدار السـجلات العامة بلنـدن Public Record Office تحت الأرقـام :

٤٠٧/١٧٧	للفترة من يوليو الى ديسمبر ١٩١١
٤٠٧/١٧٨	للفترة من يناير الى يونيو ١٩١٢
٤٠٧/١٧٩	للفترة من يوليو الى ديسمبر ١٩١٢
٤٠٧/١٨٠	للفترة من يناير الى يونيـو ١٩١٣
٤٠٧/١٨١	للفترة من يوليو الى ديسمبر ١٩١٣

ثانيـا ـ الكتب العربيـة :

- أبو القاسـم سعد يحيى البارونى : حيـاة سليمان باشـا البارونـى (القاهرة ١٩٤٨) .
- أحمد شـفيق : مذكراتـى فى نصف قـرن (القاهرة) .
- أحمد صدقى الدجانـى : ليبيـا قبيـل الاحتلال الايطالى (القاهرة ١٩٧١) .
- توفيق برو : العرب والترك فى العهد الدستورى العثمانى (القاهرة ١٩٦٠) .
- رنوفان (بيير) تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ ـ ١٩١٤ ترجمة جلال يحيى (القاهرة ١٩٧١) .
- سـاطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية (بيروت ١٩٦٠) .
- ستودار (لوثرو ب) : حاضر العالم الاسلامى ، ترجمة عجاج نويهض ط ٣ جـزءان (بيروت ١٩٧١) .
- سليم قبعين : تاريـخ الحرب العثمانية الايطالية (القاهرة ١٩١٢) .
- كاكيـا (انتونى جوزيف) : ليبيـا فى العهـد العثمانـى الثانـى (القاهرة ١٩٤٦) .
- سـامى حكيم : جغبـوب (القاهرة ١٩٧٨) .
- السيد رجب حـراز : ارتريـة (القاهرة ١٩٧٤) .
- شوقى عطا الله الجمل : سياسـة مصر فى البحر الاحمـر فى النصف الثانى من القـرن التاسع عشر (القاهرة ١٩٧٣) .
- شوقى عطا الله الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها (القاهرة ١٩٧١) .

- الطاهر أحمد الزاوى : جهـاد الابطال فى طرابلس الغرب (القاهرة) ٠
- محمد حلمى (ابـن عبد المعطى صالح) : المذكـرات الحلمية عن الحـرب الطرابلسية (المنيا ١٣٣٠ هـ) ٠
- محمد صبرى : الامبراطوريـة السـودانية فى القـرن التاسـع عشر (القاهرة ١٩٤٨) ٠
- محمد عبد الرحمن بـرج : عزيز المصرى والحركة العربية (القاهرة ١٩٧٩) ٠
- محمد الطيب الاشهب : السنوسى الكبير (القاهرة د٠ت) ٠
- محمد الطيب الاشهب : عمر المختـار (القاهرة ١٩٥٧) ٠
- محمد عثمان الحشائشى : مفـرج الكرب عن طرابلس الغرب (القاهرة) ٠
- محمد فـؤاد شـكرى : السنوسية دين ودولة (القاهرة ١٩٤٨) ٠
- محمد فريد : مذكراتى بعد الهجرة ـ المجلـد الأول (القاهرة ١٩٧٨) ٠
- محمد مصطفى بازامـة العـدوان جـ١ (طرابلس ١٩٦٥) ٠
- محمود حسن صالح منسى : حركة اليقظة العربية ط ١ (القاهرة ١٩٧٢) ٠
- محمود حسن صالح منسى : محاضرات فى تاريـخ أوربا المعاصر ٠
- مصطفى بعيـو : المجمل فى تاريخ ليبيـا (الاسكندرية ١٩٤٧) ٠
- منصور عمر الشتيوى : الغـزو الايطالى لليبيـا (بيروت ١٩٧٠) ٠
- نقولا زيـادة : ليبيـا فى العصـور الحديثة (القاهرة ١٩٦٦) ٠
- هنـرى انيس ميخائيل : العلاقات الانجليزية الليبيـة (القاهرة ١٩٧٠) ٠

ثالثا : الكتـب الأجنبيـة :

- Abbott, G. F. : The Holy War in Tripoli (Lond. 1912).
- Barclay, Sir Thomas : The Turco - Italian War (Lond. 1912).
- Bennett, E. N. : With the Turks in Tripoli (Lond. 1912).
- Gottlieb, W. W. : Studies in Secret Diplomacy (Lond. 1957).
- Lapworth, Ch. : Libya and the New Italy (Lond. 1912)
- Villari, L. : The Expansion of Italy (Lond. 1930).

للمؤلف



كتب

- تصريح بلفور
- مشروع قناة السويس بين اتباع سان سيمون وفردينان دى لسبس
- حركة اليقظة العربية

وبحـــوث

- جرترود بل اداة الاستعمار البريطانى فى العراق
- فرنسا والصهيونية
- موقف أهل الشام من التبعية للحجاز
- صور من التضامن الاسلامى ابان الحرب العالمية الأولى
- احداث الشرق العربى ابان الحرب العالمية الأولى امام البرلمان البريطانى
- تاريخ مصر الحديث فى الوثائق الامريكية

الثمن ١٨٠ قرشا

دار الطباعة الحديثة

أول ش الجيش ــ بالقاهرة